موسوعة العلماء والشعراء

علماء الكيمياء الشعراء

تأليف المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوى

مؤرخ علم الرياضيات وتاريخ العلم والعلماء



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : موسوعة علماء الكيمياء الشعراء
المـــــــــؤلف : المؤرخ والمفكر الإسلامي
سمير محمد عثمان الحفناوي
رقـــم الإيداع :
الترقيم الدولي :

الطبعة الأولى ٢٠١٠



Tokoboko_5@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ثمرة فؤادي......

وروح قلبي ......

وفلذة كبدي....

ابنتي الراحلة : ياسمين



أهدى هذا الكتاب لكل من توفى له ولد وكان صابرًا محتسبًا عند الله فلقد ساعدتني ياسمين على جمع مخطوطات العرب والمسلمين وكانت تحرص معي دائمًا على إحياء ذكراهم فى التاريخ أبد الدهر وأسأل الله أن تكون ذخرا لنا يوم القيامة وأن يدخلنا الله وإياكم الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب ... وأتوسل من القارئين أن يدعوا لى ولوالدتها أن يفرغ الله علينا صبرًا وأن تأخذ بأيدينا إلى الجنة من غير أن يُنصب لنا ميزان أو يُكتب لنا ديوان.

والدك : المؤرخ المصري
سمير الحفناوى

الفصل الأول: تمهيد

الحمد لله الذي خلق آدم من طينٍ ثم نفخ فيه روحا ، ثم اصطفاه للرسالة كما اصطفى من بعده إدريس ونوحا ، واتخذ إبراهيم خليلا وموسى كليما وإسماعيل ذبيحا، ونصر هودًا على عاد وألان الحديد لداود ؛ ووسع لسليمان في الأرض وسخّر له ريحا، وأنقذ لقمان من المنام وآتاه الحكمة في المنام فاستيقظ بليغا فصيحا ، ونجى يوسف من الجب وعلمه من تأويل الأحاديث فكان فى تعبيره للرؤيا نجيحا،واختص المصطفى محمدًا ﷺ بتمام رسالاته كما وهبه حوضاً مورورداً ومقاماً فسيحاً وأنزل عليه فى محكم كتابه الحكيم :

أحمده سبحانه على كل حال وعلى نعمه التى ليس لها زوال ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا ند له، لا مثيل له، لا شبيه له، شهد لذاته بالوحدانية قبل أن تشهد له مخلوقاته

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خيرة خلقه وحبيبه ، حمل منهج السماء بأمانة إلى كافة الناس أجمعين ، بواسطة الأمين جبريل ، تنزيل من رب العالمين ألا وهو القرآن الكريم ذلك القبس السماويّ المنير الذى يشع الخطوط المستقيمة للسلوك الفرديّ ذلك القبس السماوي المنير رمزاً لكل ماهو حق ولكل ماهو عدل ولكل ماهو واجب.

أما بعد : فالإنسان العادى السويِّ لايستطيع أن يعيش مجرداً من المشاعر والأحاسيس ، حتى ولو كان يستخدم التجريد والتجارب العملية فى عمله ، سواء أكان فى معمله أو فى كتاباته الخاصة أو فى التفكير والتأمل فى مسألة صدّعت رأسه وأخذت بتلابيب عقله .

أولا : الكيمياء والحب:

في أواسط العقد السادس من القرن الماضي، قامت المحللة النفسية « دوروثي تينفو» بعملية مسح شملت نحو ٤٠٠ شخص، طلبت منهم وصف الحب. فجاءت إجابات الكثيرين منهم لتتحدّث عن الخوف، والارتجاف، والاحمرار خجلاً، والشعور بالضعف، وتغيير في نبرة الصوت . بالفعل هذا ما يحدث عندما ينجذب الحبيبان إلى بعضهما بعضًا، وذلك بسبب اشتعال فتيل عدد من التفاعلات الكيميائية في الدماغ وفي الجسم. لكنّ هذا الأمر لا يحصل بشكل عبثي، إذ هناك تفسيرات منطقية وعلمية لهذه الأحاسيس والمشاعر الجميلة .

واحد من أكثر المركّبات الكيميائية المرتبطة بالحب وبمشاعره، هو «الفينيل إيثيل أمين» Phenyl Ethylamine، الذي نجد كميات ضئيلة منه في الدماغ، و«الفينيل إيثيل أمين» هو فيتامين طبيعي، له تأثير يشبه تأثير المخدّر، الأمر الذي يعطيك الطاقة حتى تبقى الليل بطوله مستيقظًا للتحدّث مع الحبيب الجديد.

الشعور بالتخدير :

لا يقتصر إفراز الدماغ لهرمونات الحب عند اختبارنا للحظات الرومانسية فقط، بل يفرزها أيضًا عند قيامنا بنشاطات غير رومانسية، وتحديدًا خلال ممارستنا لنشاطات تحتاج إلى بذل جهد جسدي كبير مثل التزلج، أو لمجرّد قيامنا بعدد من النشاطات التي نحبّها كأكل الشوكولا مثلاً، فإنّها تحتوي على كميات صغيرة من مخدّر الحب، «الفينيل إيثيل أمين»، ما يفسّر سبب إدمان البعض أو حبّهم للشوكولا إلى حد الجنون، مما دفع خبراء التغذية إلى تصنيفها ضمن لائحة الأطعمة التي تساعدنا على الإسترخاء و الشعور بالراحة.Comfort Food هذا ويتسبّب إفراز «الفينيل إيثيل أمين»، بتحفيز الجسم على إفراز مادة كيميائية عصبونية هي «الدوبامين»، وكما أظهرت دراسة حديثة جرت في جامعة أموري، قيام إناث جرذان الحقل، باختيار أزواجهن بعد إفراز أدمغتهن لمادة «الدوبامين»، وتابعت الدراسة أنّه بعدما قام الفريق المشرف عليها بحقن أنثى الجرذ «بالدوبامين» بوجود جرذ ذكر، تمكّنت فيما بعد من التعرّف على الجرذ نفسه عندما كان ضمن مجموعة من الجرذان .

أمّا على صعيد البشر، فيؤدّي تناولنا أطعمة الحب كالشوكولا إلى رفع معدل «الدوبامين» في أدمغتنا، ما يؤدّي إلى دفع وتعزيز عملية إنتاج «الأوكسيتوسين»، الذي يطلق عليه في بعض الأحيان اسم «مادة العناق الكيميائية»، إذ يعرّف العلماء دور هذه المادة في عملية الأمومة، وفي تسبّبها بانقباضات المخاض، بالإضافة إلى دوره الأساس في عملية الرضاعة الطبيعية، ويؤمن العلماء أن كلا الجنسين يفرزان هذا الهرمون عندما يتلامسان ويتعانقان، بينما تصل قمة هرمون «الأوكسيتوسين» عند الوصول إلى النشوة الجنسية.

هذا وتضمّ لائحة هرمونات الحب، هرمونًا إضافيًا وهو «النوريبينيفرين»، الذي يدفع الجسم إلى إنتاج «الأدرينالين»، ما يتسبّب برفع أو بتحليق معدّلات ضغط الدم (الحبيبين)، خاصة عندما تتواجد بالقرب من الحبيب ، ما يفسّر سبب إمكانية اختبارنا لمشاعر مثل انتفاض القلب من مكانه وتعرّق راحتي اليد .بماذا يخبر الدماغ القلب؟ كيف يقوم الجسم بترجمة هذه العمليات الكيميائية إلى مشاعر حسية أو جسدية؟ الأمر الذي تجيب عليه دراسة أميركية تشرح أهمية عصب «الفاغوس» الذي يطلق عليه بالعربية اسم «العصب الحائر» أو «المبهم»، الذي يصل إلى أرجاء الجسم كافة .إذ يقوم هذا العصب بنقل الإشارات من الدماغ إلى كل أعضاء الجسم، ما يؤدّي إلى تسارع ضربات القلب، فتشعر وكأنّه سيخرج من بين أضلعك، إضافة إلى شعورك بانقلاب معدتك رأسًا على عقب، وطبعًا بالإثارة الجنسية . عرف الجميع هذا الشعور الذي يُطلق عليه الخبراء في الحب اسم «الوثبة»

حيث نشعر إلى حد ما باضطراب في المعدة، شعور يطلق عليه بعضهم اسم الشعور «المجوف»، يظهر في المنطقة الموجودة بين أسفل البطن والقلب. وقد أوردت دراسة ثانية مبدأ «التفكير التطفلي»، حيث يقوم دماغك بالتركيز على الشخص الذي يجذبك، أو الشخص الذي تهتمّ لأمره . عندما يقوم القلب بالتحكّم بالعقل، فإنّ ما يحصل في الواقع هو تحكّم جزء من العقل ببقية الأجزاء، فاللحاء هو المنطقة الدماغية المسئولة عن التفكير المنطقي، بينما يُعتبر الجهاز الحافي أو Limbic System المسئول عن التحكّم بالعواطف . لكن إفراز الدماغ كمية كبيرة من الهرمونات المسئولة عن الشعور بالسعادة مثل «الفينيل إيثيل أمين» و«الدوبامين»، يعطي السيطرة للجهاز الحافي.

لماذا ينتهي شهر العسل بين الحبيبين؟

تفيد الدراسات أنّه بعد مرور فترة من الزمن تتراوح بين ١٨ شهرًا و ٤ سنوات، يعتاد الجسم على محفّزات الحب هذه . خلال هذه الفترة يعمد الدماغ إلى إنتاج «الأندروفينات»، التي تعمل بطريقة معاكسة «للفينيل إيثيل أمين»، حيث تعمل على تهدئة الدماغ، قتل الوجع، والتخفيف من التوتر. لذا فإنّ ما نطلق عليه اسم وجع الفراق، ماهو إلا شكل من أشكال سحب المخدر من الجسم. بمعنى آخر خلال فترة شهر العسل في أي علاقة حب، يكون الدماغ معبأ على آخره بالهرمونات الكيميائية المسئولة عن الحب، أكثر من أي وقت في السنوات التي تلي هذه الفترة، الأمر الذي يفسّر عدم قدرة البعض على الانخراط في علاقات حب طويلة الأمد .لهذا السبب وجدت إحدى الدراسات أنّ نسبة الطلاق بين أي زوجين ترتفع لتصل إلى القمة خلال السنة الرابعة من الزواج. لكنّ هذا الأمر لم يحصل على إجماع الخبراء، إذ يشير بعضهم إلى أنّ الحب يحتاج إلى التجديد، وأنّ الأشخاص الذين يفشلون في علاقاتهم، ما هم إلا أشخاص يعانون الخمول والكسل بعد مرور فترة من بداية علاقاتهم ،كل ما سبق يطرح أمامنا تساؤلاً وهو: هل تخمد شرارة الحب نتيجة خمول الحبيبين، أو نتيجة تعوّدهم و بروز مناعة لديهم ضدّ المواد الكيميائية المسئولة عن الحب التي يفرزها الدماغ؟

ثانيا : الكيمياء والأدب:

بين الأدب بما فيه والشعر ، وبين الكيمياء علاقة خاصة، وهذه العلاقة لا أوردها اعتباطاً وإنما هي كذلك .

فالكيمياء بنت نظرياتها العلمية الحديثة المهمة على سبيل المثال نظرية الكم على الفرضيات والخيال، والاحتمالات وبدأت علاقة الكيميائي بما حوله بالفرضيات التي اعتمدت على الخيال بشكل كبير.

واستطاع أن يثبتها بالتجريب وبالتفسير العلمي الدقيق وإن كانت جاءت فرضيات في البدء . وإن بضاعة الأديب سواء أكان شاعراً أم ناقداً أم خلافهما هي تلك التي لدى الكيميائي مثل الفرضيات والخيال الخصب والناقد يغلّب رأيا على آخر فهو في الواقع يستخدم نظرية الاحتمالات الرياضية دون أن يدري .

وهكذا تلتقي الكيمياء بالأدب في هذه الجوانب. والحقيقة أنّ كل العلوم تحتاج إلى التجريب والخيال والاحتمالات، ولكن الكيمياء تكاد تقترب من النقد الأدبي اقتراباً شديداً، وليس ببعيد عنّا كتاب الراحل د.«علي الوردي»[1] «كيمياء الكلمات»، ووردت عبارة كيمياء الشعر كثيراً لدى النقاد، والمفردة Chemistry وهي مفردة أخذت من العربية بمعنى الكمي، وهو ما خفي من الأشياء كأن يقال فارس كمي أي يكمن أو يختفي وقديماً قال الشاعر مادحاً :

إذا الكماة تنحوا أن تصيبهم حدا الرماح وصلناها بأيدينا

وهكذا كتب على الكيمياء أن تظل أسيرة المخفي والمستور حين كانت تسمّى خيمياء وهي مفردة عربية بطبيعة الحال، ويقال أن أصل المفردة هو شامان Shaman وهي تعني السحر الأسود في العبرية، وكان اليهود يستخدمون خواص المواد قديماً في تسخير العوام والجهلة، وبما عرف عنهم من وسائل المكر والخداع، ولكن الرأي الأصوب هو الأصل العربي المتجذر من كمأ . وتطور الفرعان (الكيمياء والأدب) تطوراً كبيراً، فالكيمياء لم تعد سراً لا يعرفه سوى الكيميائيين الذين ضيعوا علينا وعلى أنفسهم الوقت وهم يريدون تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب في العصور الوسطى، فلقد توسعت اليوم وأصبحت تدخل في كل شاردة وواردة من حياة بني الإنسان. وكذلك الأدب تطورت نظرياته وتعددت مكوناته، لكن الطريف في الأمر انتكاسة الأدب في العصور الحديثة واحتلاله مكانة الكيمياء المتأخرة قديماً، فالكيمياء خرجت من لغة الأحاجي والطلاسم إلى علم له أصوله وقواعده والشعر

---

(١) **علي الوردي**: عالم اجتماع عراقي(١٩١٣ ــ ١٣ تموز ١٩٩٥ م) وأستاذ ومؤرخ عرف باعتداله وموضوعيته وهو من رواد العلمانية فى العراق . ولد فى بغداد فى حى الكاظمية . وحياته الدراسية :

* حصل على الماجستير عام ١٩٤٦م، من جامعة تكساس الأمريكية.
* حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٠ م، من جامعة تكساس الأمريكية.
* قال له رئيس جامعة تكساس عند تقديم الشهادة له: (أيها الدكتور الوردي ستكون الأول في مستقبل علم (الاجتماع) وعمل أستاذ فى كلية الآداب جامعة بغداد وتأثر بابن خلدون وكانت له عديد من الأبحاث والمؤلفات ولم يلتفت لمستقبله الشخصي وعاش حياة مليئة بالأتعاب والمعاناة والاختلاف مع الحكّام.

انتكس على سبيل المثال انتكاسة عظيمة حين أوغلت نصوصه الحديثة في الغموض حتى أصبح طلاسم في طلاسم ونحتاج إلى جهد الكيميائي الحصيف ليفك لنا طلاسمه، وحتى النقد ليس بأحسن حالاً من الشعر. أنا شخصياً أخذت على نفسي عهداً بألا أهمل أحدهما، فحين أتعب من الكيمياء التي رميت بالقسوة وبالجفاف، أجد في واحة الشعر والأدب كل حبور. وحين يضيق صدري بتلك الحماقات التي ترتكب باسم الأدب أدس وجهي في كتاب كيميائي، فينقلني إلى أجواء مثل تلك التي أوردها «باولو كويلو» في روايته الذائعة الصيت «الخيميائي» . وكم جمع حقل الأدب والكيمياء من نابغين نبغوا في الحقلين معاً، بل نجد من يشتغل بالنظريات النقدية الحديثة وقد جاء من حقول أخرى ليست أدبية مثل الكيمياء.

ثالثا : الشعر تفاعل كيميائي وجداني:

عّلق الأديب العربي القديم «الصفدي» على فوائد علم الخيمياء بقولة : صناعة الكيمياء لم تصح في العلم ولكنها صحت في العشق والأدب وتصديقا لكلام الصفدي السابق فان بعض الشعراء والأدباء استعار وبشكل مبدع فكرة حجر الفلاسفة التي تعتبر حجر الزاوية وقطب الرحى لصنعة الخيمياء، استعاروا هذا المعنى للتعبير عن رغبة الإنسان اللحوحة والسرمدية لتغير طبيعة الأشياء المادية والروحية من نسق مبتذل إلى نسق أجلّ وأعلى مرتبة.ومن التوظيف الرائق لمفاهيم الكيمياء في العشق والصبابة تغزل الكيميائي والشاعر «ابن نباته» المصري إذ يقول :

تعلمت علم الكيمياء بحبهِ غزال بجسمي ما بعينيه من سقمِ

فصعّدت أنفاسي وقطّرت ادمعي فصح من التدبير تصفيره جسمي

ولا يخفى على اللبيب أن ألفاظ (التصعيد، التقطير، التدبير) من ألفاظ الكيمياء القديمة، وأن تصّفير جسم المحب الملتاع تشبيه وكناية عن صفرة الذهب الذي أتعب الكيميائيين السعي لتحصيله: فتوجد بعض الأشعار الرائقة للكيميائي والأديب الطغرائي[1] التي يشير فيها إلي فكرة علم الكيمياء (مفتاح العلوم والكنوز) مثل قوله:

وورثت هرمس سر صنعته الذي مازال ظناً في الغيوب مرجما

وملكت مفتاح الكنوز بحكمة كشفت لي السر الخفي المبهما

(١) هو العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن على بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين أصفهاني المنشأ، المعروف بالطغرائي، أحد كبار العلماء فى الكيمياء لإسهاماته الجليلة فى هذا العلم ؛ ولاكتشافاته وابتكاراته الكيميائية الكثيرة . اهتم بالنظريات الكيميائية كثيرة الاستعمال آنذاك . له ديوان شعر . وسوف يأتي ذكره بالتفصيل فى الفصل القادم .

في الحقيقة لم يقتصر استخدام الكيمياء كمصطلح استعاري لتجسيد و إبراز أحاسيس الغرام بل استخدم كذلك حديثا في المعاني السياسية و من أحدث من أبدع في ذلك الشاعر «نزار قباني» في قصيدة عن انتفاضة أطفال الحجارة التي عنون لها «بكيمياء الحجر»!!!.

أما فيما يتعلق بالأدب الغربي فقد شهد عدة كيميائيين قرضوا الشعر، كان من أشهرهم الانجليزي «همفري ديفي» الذي كتب بعض الأشعار العاطفية في صباه وكذلك «هوفمان» الشاعر والأديب والكيميائي الحاصل علي جائزة نوبل . لكن في الغالب تميز الأدب الغربي في الكيمياء بوضوح في مجال الرواية والأدب المسرحي.

الرواية الأدبية الكيميائية... بين الخيال العلمي والفلسفة البشرية:

للأسف كما كان الحال مع الشعر العربي- في الغالب- لم ينظر للكيمياء إلا من وجهة النظر السلبية المتمثلة بمحاولة الكيميائيين العبثية لتغيير طبيعة الأشياء بطرق وتجارب عديمة الثمرة الحقيقية، فإننا نجد وبصورة مشابهة أن الأدب الغربي وبالأخص في مجال الرواية كرّس و أكّد الصورة النمطية السيئة للكيمياء فيما يتعلق بجانبها المظلم. فمن ذلك مثلا رواية الدكتور «جيكل» والمستر «هايد» التي وظفت فيها الكيمياء «كمخلب قط» مقيت لتشريح النفس البشرية واستخرج مكوناتها فهذه الرواية الفلسفية النفسية تدور حول عالم كيميائي يصنع مشروب أو دواء كيميائي يكشف أغوار النفس البشرية الشريرة، عندما يتحول العالم اللبق والخجول إلي مسخ بشري بغيض .الأنكى من ذلك والأسوأ، إتجاه بعض الأدباء الغربيين إلى ربط الكيمياء بجانب العواطف الغريزية الجنسية ، فكثير ما تستخدم توصيفات كيمياء العواطف والأحاسيس لإضفاء مزيد من التشويق لموضوع ملتهب أصلا ولهذا شاع استخدام مصطلح كيمياء الجسد للدلالة علي اللذة الجانحة في الجانب المقابل توجد بعض الأعمال الأدبية التي توظف الكيمياء في سياق مقبول وإيجابي كرواية (الخيميائي) للكاتب البرازيلي المعاصر «باُبلو كويلو» التي ترمز لسعي النفس البشرية وتلهفها الأبدي للبحث عن قدرها الذى قد تطارده في أقاصى المعمورة الشرق الإسلامي في الرواية المذكورة

على كل حال لقد تم استخدام الكيمياء بشكل متوسع جداً في الأدب القصص الحديث المعروف بالخيال العلمي science fiction لدرجة أن الأمثلة على هذه الأعمال الأدبية عصية على الحصر أو المتابعة لكن يمكن الاكتفاء بالإشارة لبعض الأعمال الأدبية المنتقاة، ليس لقيمتها الفنية فهي بالجملة ضعيفة فنياً مقارنه بكتابات الروائي الانجليز «هـ. ج ويلز» صاحب رواية «آلة الزمن»، لكن اختيارها تم لأنها تدور بوضوح حول الكيمياء بالإضافة وهو الأهم إن مؤلفي هذه الروايات هم في الأصل من أهل حرفة الكيمياء، لا بل إن أحدهم حاصل على جائزة نوبل في الكيمياء. العمل الأدبي الأول هو أحلام الكربون للعالمة الأدبية «سوزان جينيز» التي أنتجت توليفة مشكلة من قصة حب مع اعتراضنا سياسة مع العنصر الأهم وهو الرسالة العلمية الغير مباشره .

هذه الرسالة العلمية تم توصيلها بشكل قصصي عن طريق تتبع أحداث حياة عالمة محيطات شابة تحاول فهم أحجية تغير المناخ الكوني ودور غاز CO_2 في ذلك. الشيء الذي ليس فقط له أثر علي تغيير المناخ لكن له أيضا علاقة بالأحلام والكواليس المبثوثة في ثنايا الرواية. العمل الأدبي الآخر له خاصية فنية فريدة فهو عبارة عن عرض مسرحي قام بتأليفه «رولد هوفمان» الكيميائي والشاعر الشهير الحاصل على جائزة نوبل والكيميائي والروائي «كارل دجيراسي» المشهور في أوساط الصيادلة والكيمياء العضوية بأبو «حبوب الحمل» (لمساهمته في اكتشافها وتطويرها).

لقد حمل عملهما الفني المسرحي اسم (أكسجين) Oxygen ، وهو يدور حول أحداث متخيلة لنقاش ومحاجة علمية يديرها أعضاء لجنة جائزة نوبل لاختيار شخصية كيميائية تاريخية عاشت قديما و تستحق أن تمنح الجائزة الرفيعة . بلا شك كان اكتشاف الأكسجين حدثاً علمياً كبيرا يستحق مكتشفة منحه جائزة نوبل الاستثنائية هذه، ولهذا تدور أحداث المسرحية لمحاولة معرفة العالم الأكثر استحقاقا لهذا الإنجاز من بين عدة علماء كبار مثل «لافوازية»[1] و«بريستلي»[2] كلاهما ساهم بجهد هام في هذا الإكتشاف.

(١) **أنطوان- لوران لافوا زييه** (Antoine-Laurent de Lavoisier)، عاش ما بين ٢٦ أغسطس ١٧٤٣م ـ مايو ١٧٩٤م، أحد النبلاء الفرنسيين ذو صيت في تاريخ الكيمياء والتمويل والأحياء والاقتصاد. أول من صاغ قانون حفظ المادة، وتعرّف على الأوكسجين وقام بتسميته (في عام ١٧٧٨م)، وفنّد نظرية اللاهوب، وساعد في تشكيل نظام التسمية الكيميائي. وعادةً يشار إلى لافوازييه بأنه أحد آباء الكيمياء الحديثة. بدأ محاميا ثم نال جائزة لابتكاره نظاما جديدا لإنارة الشوارع في باريس، وكان يقضي وقت الفراغ في الأبحاث الكيميائية ، حيث يعرف بأبو الكيمياء الحديثة، تم إعدامه بعد قيام الثورة الفرنسية. بتهمة ترطيب تبغ الجيش خلال عمله في لجنة المعايير المترية. ورغم انه لم يثبت عليه شيء فقد أُعدم. ومازالت العبارة التي قيلت له في قاعة المحكمة: «الجمهورية ليست بحاجة إلى علماء بل بحاجة إلى عدالة» وصمة في تاريخ القضاء الفرنسي. واستخفافاً مشيناً للعبقرية مثيلها نادر في التاريخ. كانت تجارب لافوا زييه من النوع الكمي بالدرجة الأولى. قام بتعيين تركيب حامضي «النيتريك والكبريتيك» وكان أول من أنتج «الغاز المائي» Water – Gas واخترع «المغياز» **Gasometer** (وهو جهاز لقياس كميات الغازات يستعمل عادة في المختبرات). أدخل لافوا زييه مصطلحات وأسماء كيميائية جديدة قبلها غيره من الكيميائيين وحلت محل النظام القديم.

(٢) جُوزيف بريسْتلى (Joseph Priestley) مكتشف الأكسجين ـ ولد جوزيف فى ١٣ مارس ١٧٣٣ فى قرية بجوار مدينة ليدز بانجلترا . كان والده نسّاجا أو صوّافاً ، توفى وترك ابنه يتيماً فى السابعة من عمره ، فكفلته عمّته ونشّأته فى جوٍ من الفكر الحر ـ اكتشف غاز الأكسجين واستخدمه لأول مرة لعلاج مرض الإسقربوط لأمراء البحرية الإنجليزية لعلاج الجنود ، واكتشاف غاز أول أكسيد الكربون واكتشاف غاز أكسيد النيتروز وحمض الهيدروكلوريك وكلوريد الأمونيوم . وتوفى مساء الاثنين ٦ من فبراير عام ١٨٠٤م ومنزله الآن مُتحف وطني يستطيع الزوار أن يشاهدوا فيه القوارير والبواتق والأنابيق والمواد الكيميائية التى كان يستعملها بريستلى فى تجاربه.

الصورة أقوي من ألف كلمة ما زال هنالك مجال آخر فني شاق كان للكيمياء تأثير تفاعلي معه وهو مجال الفن التشكيلي و التصوري. كما هو معلوم يوجد قائمة طويلة جدا من اللوحات الفنية التي تدور حول علماء الكيمياء وأحداث الكيمياء الكبرى فعلي سبيل المثال هناك رسومات مشهورة تخلد تجارب «لافوازية» مع غاز الأكسجين. و في المقابل بعض مفاهيم الكيمياء في لوحات الفنانين المعاصرين مثل «سلفادور دالي». العجيب في الأمر أن هنالك معارض فنية حديثة لا تعرض لوحات فنية مرسومة أو مصورة و لكن تعرض نتاج البحوث العلمية الجادة مثل الأشكال الثلاثية الأبعاد لبعض المركبات الكيميائية مثل الأدوية و الهرمونات و غيرها. هذه الأشكال مولدة بالحاسب الآلي و لا شك لبعضها لمسات فنية مقبولة. أخيرا هنالك أيضا الأشكال الفنية البديعة التي تصور بعض اكتشافات الكيمياء ورجالاتها المشهورين ، لكن هذه الأشكال موجودة علي طوابع البريد التذكارية وليست علي جدران المعارض الفنية.

رابعا : الكيمياء قديما وحديثا:

ما منا أحد لا يعرف علم الكيمياء، وهو من أبرز العلوم الطبيعية في الوقت الحاضر، ولكن ما أصل هذه التسمية؟ ومن الذي أطلق هذا الاسم؟ وقد اختلفت المصادر فى أصل كلمة «كيميـــاء» وهو اللفظ الدال على هذا العلم المتعلق بمعرفة المادة وخواصها وطرق تحولاتها، يقول الدكتور «فاضل أحمد الطائي»[(١)] فى كتابه «أعلام العرب فى الكيمياء» : «الكيمياء اشتقت من لفظة (شمي) أو (الكمي) Alkhemy وهو الاسم الذى كان يطلقه قدماء المصريين على بلادهم، ومعنى هذا اللفظ: (التربة السوداء). وقد استعمل اليونانيون هذا اللفظ فيما بعد (فى عهد الطيالسة) للدلالة على صناعة المصريين القدماء».ويقول «ف. ج. مور»: وكثير من المستشرقين أمثال وسارتون«أطلق العرب على أرض مصر لفظة (الكم) .Alkem ومن المحتمل أن يكون هذا هو أصل لفظة كمي»، «Alkhemy» التى تطورت فيما بعد إلى «كيميــاءChemistry » ولكن بعض المؤلفين العرب يخالفون هذا الرأي منهم« أبو عبد الله يوسف الخوارزمي» الذى يميل إلى أن هذا اللفظ عربي أصيل مشتق من الفعل «كمي يكمى». ويقال كمي الشهادة أي سترها وأخفاها، ومنه الكمأة (نبات معروف بالصحراء فى حين أن «الصفدي» يقول« إنها معربة من اللفظ العبراني «كيم يه» ومعناه «من الله». ومن الألفاظ المستخدمة لفظة «السيـــمياء» وهى اللفظة التى اصطلح العلماء فيما بعد على إطلاقها على الكيمياء القديمة فى عصور ما قبل الإسلام.

(١) الطائي : فاضا أحمد : أعلام العرب فى الكيمياء .

وإذا تتبعنا مختلف المراجع القديمة نجد هذا العلم تطلق عليه أسماء كثيرة منها: الكيمياء ـ السيمياء ـ الخيمياء ـ الصنعة ـ علم الصنعة ـ علم الحجر ـ علم التدبير ـ علم الميزان ـ صنعة الكيمياء ـ صنعة الإكسير ـ الصنعة الإلهية ـ الحجر المكتوم ـ السر المكتوم ـ السر الأعظم ـ حجر الفلاسفة.

وتدلنا كثرة الأسماء التى كانت تطلق على هذا العلم قديما على عدم نضجه قبل الإسلام. أما علماء الكيمياء المسلمون فقد أطلقوا على هذا العلم أسماء كثيرة منها: علم الصنعة ـ صنعة الكيمياء ـ صنعة الإكسير ـ الحكمة ـ علم الحجر ـ علم التدبير ـ علم الميزان .

خامسا: غرام الحكّام والعلماء بالكيمياء:

علم الكيمياء هو العلم الذي يُعنى بطبيعة المادة وتركيبها وما يتناولها من تغيرات، وهناك عدة أنواع من الكيمياء، منها الكيمياء العضوية، وهي دراسة مركبات الكربون، والكيمياء غير العضوية، وتدرس العناصر الأخرى ومركباتها. أما الكيمياء الحيوية، فهو علم يبحث في التركيب الكيماوي للكائنات الحية، وفي التغيرات التي تحدث باستمرار فيها، ولقد أصبح لهذا العلم شأن كبير في دراسة التغييرات الكيميائية التي تصحب الأمراض المختلفة، وفي تشخيص الأمراض وعلاجها في الإنسان[1]. وهناك أيضا الكيمياء القديمة (الخيمياء) وهي فن قديم ضرب في جذور الكيمياء الحديثة، وقال البعض بنشوئه في مصر، وقال آخرون في الصين (القرن٣ أو٥ق.م) وهدفه تحويل المعادن إلى ذهب. وتعتبر الإسكندرية المركز الأول للكيمياء القديمة، حيث تأثرت بفلسفة الإغريق، ونُسِبَ إليها أنها موطن البحث عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة الذي يحيل المعادن الخسيسة إلى ثمينة، ويعيد الشباب إلى الإنسان. وزامل الكيمياء القديمة التنجيم، واختلط بها السحرُ، حين وصلت إلى العرب في القرن الثامن الميلادي، وبقيت معهم إلى القرن الثاني عشر، وانتقلت إلى أوربا ترجمات أعمالهم التي اشتهرت منها كتابات جابر بن حيان، واليوناني زوسيموس. وسيطرت الرمزية على هذه الكيمياء في العصور الوسطى وأغرقها الغموض[2]. أيضا من أنواع الكيمياء: الكيمياء الكهربية ، والكيميائيات البترولية، وغيرها.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة (ط مصورة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) مج ٢، ص ١٥٣٠، ١٥٣١.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٣١ .

وعن الكيمياء يقول الخوارزمي في كتابه «مفاتيح العلوم» (اسم هذه الصناعة: الكيمياء، وهو عربي، واشتقاقه من: كمَى يكمي، إذا ستر وأخفى، ويقال: كمى الشهادةَ يكميها، إذا كتمها. والمحققون لهذه الصناعة يسمونها: الحكمة، على الإطلاق، وبعضهم يسميها: الصنعة)[1]. ولقد أُغْرِمَ بعض الحكَّام بهذه الكيمياء، لدرجة أن أحدهم قدَّم حياته ثمنا لحبه هذا، فقد عُرف عن يحيى بن تميم المعز بن باديس ولوعه بما لا أصل له من علم الكيمياء المعروف بعلم جابر الذي كتب على تآليفه فيها بعض الأدباء هذين البيتين:

هـذا الـذي بمقالـه ... عـزَّ الأوائـلُ والأواخـرُ

مـا أنـت إلا كاسـرُ ... كـذب الـذى سـماك جـابرُ

لقد كلف حب يحيى للكيمياء حياته، حيث إن ثلاثة من إخوته المنفيين صغارا تنكروا وزعموا أنهم من المصامدة، وأنهم من العارفين بالكيمياء، فطلب منهم الإطلاع على ما عندهم من سرِّها، ولما اشترطوا الخلوة خلا بهم ومعه وزيره وخادم مقرّب، فأحضروا الأبواط والرصاص لإحالته ذهبا وشرعوا في العمل، وريثما تمكنوا من إخراج السكاكين المختفية ووثبوا على الوزير والخادم فقتلوهما، أما هو فقد أثخنوه بالجراح، وهم يقولون له: أيها الكلب نحن أخوتك فلان وفلان وفلان، نفيتنا وبقيت في الملك وحدك، وظل يحيى يعاني من جراحه تلك حتى مات ثاني أيام عيد الأضحى ٥٠٩ هـ[2].
وقد فُتِنَ عددٌ من الشعراء والأدباء العرب بالكيمياء القديمة (الخيمياء) وبخاصة بعد أن امتدت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. ويعد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان واحدًا من أشهر شعراء عصره الذين نظموا شعرهم في هذا العلم. وفي هذا يقول د. جلال شوقي: «ولعلَّ صناعة الكيمياء كانت من أسبق العلوم نظمًا في الحضارة العربية الإسلامية، إذ يرجع تاريخ أوَّل نظم فيها إلى القرن الأوَّل للهجرة، حيث نجد ديوان خالد بن يزيد في الحكمة، الذي تبلغ عدة أبياته الثلاثة آلاف بيت تقريبا، وقد تمَّ نظمه خلال النصف الثاني من القرن الهجري الأوَّل، ولقد توالت بعد هذا الديوان منظومات أخرى في الكيمياء، بل وفي جميع فروع العلم والمعرفة»[3] .

---

(١) العلوم العقلية في المنظومات العربية ـ دراسة وثائقية ونصوص. د. جلال شوقي. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر ـ (سلسلة التراث العلمي العربي) ١٩٩٠م ، ص ٥٢٣.

(٢) البلاط الأدبي للمعز بن باديس ـ دراسة تاريخية أدبية نقدية. د. عبده عبد العزيز قلقيله. الرياض: عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ / ١٩٨٣م ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) العلوم العقلية. ص ٥٢٧ .

وسوف نتحدث هنا عن بعض الشعراء العرب الذين اهتموا بالكيمياء - والتي عرفت بالصنعة، أو التدبير، وعرف أصحابها باسم الصنعويين - والذين اهتموا بذكرها في قصائدهم وأشعارهم ومنظوماتهم . ويهمنا في هذا المقام أيضا الإشارة إلى أن هؤلاء الشعراء العرب عندما تحدثوا عن الكيمياء أو الصنعة في منظوماتهم، إنما كانوا يتحدثون عنها باعتبارها صنعة يشوبها شيء من الغموض والرموز والسحر، وليس هدفهم الحديث عن كيمياء الحروف، أو الحروف الملونة التي تحدث عنها فيما بعد الشاعر الفرنسي «جان آرثر رامبو» في أشعاره.

سادسا : العرب يُصَنّفون معارفهُمْ بالشعْر:

نقصد بالتأليف بالشعر عند العرب نَظْمَ الكتاب أو المصنَّف شعراً، سواء كان هذا الكتاب لغوياً أو نحوياً، أو صرفياً، أو عروضياً، أو بلاغياً، أو أدبياً قصصياً، أو فقهياً، أو زراعياً، أو ملاحياً، أو فلكياً، أو رياضياً، أو كيميائياً، أو طبياً، أو تاريخياً... والحقيقة أننا سنُعاين فيما يلي من هذه الدراسة آثاراً شعرية تتصل بكل علم من العلوم السابقة. وربما نذكر نتفاً من الأشعار التي كانت قوام كل مؤلَّف أو مصنَّف للتدليل والتمثيل. وقد كان العرب وما زالوا، أمة الشعر، فالشعر كان، منذ الجاهلية، ينثال على كل لسان أو يكاد! وكانت العرب تعلي شأن الشاعر أيّما إعلاء، فقبائلهم حين ينبغ فيها شاعر «تأتي القبائل لتهنئتها، وتصنع الأطعمة، وتجتمع النساء ليلعبن في المزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويستبشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم»[(١)].

إن الروح الشعرية الطاغية قد ضربت جذورها في أعماق النفس العربية، ثم سرت في دماء العرب عامة، فآلت بالشعر إلى أن يحتل مكانة سامية في النفوس والعقول معاً، حتى إن بعض المصنِّفين والعاملين في ميدان التأليف والبحث لم يتردد في التباهي بموهبته الشعرية، فسخّرها للتأليف والتصنيف، وراح ينظم بعض معارفه شعراً، وخاصة تلك التي برع فيها وتعمَّقها وأحصاها، وذلك تغليباً لرونق النظم وظله الخفيف، على جفاف النثر وظله الثقيل، ورغبة في تسهيل حفظ ما يُرى نفع في حفظه، فرواية الشعر المضطرب الوزن، تذكّر القارئ أو السامع، بأن خللاً فيه قد وقع فيتدارك ما اختلَّ، ويتذكَّر ما سقط، ويصحح ما جاء فاسداً... فتأتي المعلومة صحيحة وكاملة ومضبوطة.

---

(١) **ابن رشيق**: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٧٤ – ط٤. (ج١ : ٦٥).

والأمثلة على ما تقدم كثيرة، بل وكثيرة جداً، ففي ميدان اللغة، وهو ميدان صال فيه العرب وجالوا، واستأثر بالجم من جهودهم الفكرية، نقع على منظومة في «غريب اللغة وشرحه» لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (328هـ) عنوانها «قصيدة في مُشْكل اللغة»[1] نشرها الأستاذ عز الدين البدوي النجار وقد افتتح أبو بكر الأنباري قصيدته بقوله:

يا مُدَّعي عِلْمَ الغريبِ والقريضِ والمثَلْ

نمِّقْ جوابي ما القزيحُ والشَّقيح لألَلْ

ويجيب الأنباري نفسه عن سؤاله شارحاً: «قال أبو عبيدة: القريض هو القصيدة من الشعر خاصة دون الرجز والقزيح فيه قولان. قال أبو بكر: القزيح: المليح. تقول العرب: مليحٌ قزيحٌ.

وقال آخرون: القزيح: العجيب. قال أبو بكر: والشقيح: القبيح، يقال قبيحٌ شقيحٌ. والألَل: قال أبو عمرو: البَرْق. ثم يضيف الأنباري في قصيدته:

وما العِمار والعَمار والخَبار والسَّفَلْ؟ ويمضي شارحاً بعده الكلمات التي ساقها في البيت، معتمداً في ذلك على أئمة اللغة، كصنيعه في البيتين السابقين.

ولم تكن قصيدة أبي محمد بن القاسم الأنباري فريدةً في بابها، فقد ذكر ابن النديم (384هـ) في «الفهرست» تحت عنوان: (القصائد التي قيلت في الغريب): «قصيدة الشرقي بن القطامي» و«قصيدة موسى بن حرنيد» و«قصيدة يحيى بن نجيم» و«قصيدة الأبراري» و«قصيدة شبل بن عزرة» و«قصيدة أحمد الأنباري»[2] وفي كتب فهارس المخطوطات[3] نطالع إشارات إلى مخطوطات شرحت قصائد في اللغة، مثل: «شرح مثلث قطرب» (المتوفى سنة 206هـ) لمجهول. ومثل شرح منظومة ثعلب المسمى «الموطأ في اللغة» وقد نهض به عبد الوهاب بن الحسن بن بركات المهلبي (685هـ) وأولها بعد البسملة:

يا مُوْلعاً بالغضَبِ	**والهَجْرِ والتجنّبِ**
حُبُّكَ قد برَّحَ بي	**في جِدّه واللعب**

---

(١) **ابن الأنبا ري،** محمد بن القاسم، قصيدة في مشكل اللغة، دمشق ١٩٨٩ م (مستل من مجمع اللغة العربية بدمشق).

(٢) **ابن النديم:** الفهرست، تحقيق رضا تجدد، بيروت ١٩٧١. ص ١٩٦ .

(٣) حمصي، أسماء: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية – علوم اللغة العربية – دمشق ١٩٧٣. ص ٩٧ ، ٩٨ .

وذكرت كتب التراث أيضاً، أن لابن مالك النحوي الطائي (672هـ) أرجوزة في ثلاثة آلاف بيت بعنوان (الأعلام بمثالث الكلام). وفيها ذكر الألفاظ التي لكل منها ثلاثة معان باختلاف حركاتها[1].

وفي ميدان النحو الذي حظي هو الآخر بحفاوة بالغة من ذوي الهم العلمي عند العرب، نطالع لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي، وهو من أعظم نحاة القرن السابع شهرة، وقد ذكرناه من قبل، نطالع قواعد النحو العربي وقد نُظِمت في ألف بيت. وعرف هذا العمل فيما بعد بـ«ألفيّة ابن مالك». وكانت هذه الألفية خلاصة نحوية مركزة ظفرت بشرح أكثر من أربعين عالماً. وفي هذه الألفية يقول ابن مالك في باب الكلام وما يتألف منه مثلاً:

كلامُنا لفّظٌ مُفيدٌ فاستقِمْ   واسمٌ وفِعْلٌ ثم حرفٌ الكَلِمْ

ونقرأ له في باب (المبتدأ والخبر) قوله:

مبتدأ زيدٌ، وعاذِرٌ خبَرْ   إنْ قَلْتُ: زيدٌ عاذرٌ مَنِ اعْتَذَرْ

وكذلك نراه يجمع (إنَّ) وأخواتها وعملها، الذي يخالف عمل (كان) وأخواتها، في قوله:

لأنَّ إنَّ ليتَ لكنَّ لعَلْ   كأنَّ، عكْسُ ما لِ(كانَ) مِنْ عمَلْ

ومن الكتب النحوية المهمة التي نُظِمت شعراً «الآجرومية» وهي مقدمة في النحو ألَّفها أبو عبد الله محمد بن داود بن آجروم الصنهاجي (723هـ). وكان فقيهاً ونحوياً ولغوياً ومقرئاً وشاعراً. ولم يكن في أهل (فاس) في وقته أعلم منه في النحو. وقد نظم (الآجرومية) ميمون الفخار، والعربي الفاسي، ومحمد نووي. واسم كتاب النووي هذا «النفحة المسكية في نظم الآجرومية»، وشرف الدين يحيى بن موسى العمريطي (98هـ) الذي سمَّى كتابه «الدرَّة البهيَّة في نظم الآجرومية» (وهو مطبوع ضمن مجموعة من المتون بما في ذلك الآجرومية ذاته، بعناية أحمد سعيد علي، بالقاهرة عام (1949م).

ونظم «الآجرومية» أيضاً عبد الله بن الحاج الشنقيطي (1209هـ). وللشنقيطي هذا مؤلفات عدة، أغلبها منظوم، منها مثلاً: نظم كتاب مختصر الخليل، ونظم الخزرجية في العروض، ونظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

---

(١) رزوق، فرج رزوق: الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية، مقال في مجلة المورد العراقية، المجلد ١٩، العدد الأول، ص ٢١٦ . والمجلد ٢٠، العدد الأول، بغداد ١٩٩٢.

ومن أمثلة نظْم الشنقيطي للآجرومية قوله:

قـــال عُبَيْـــدُ ربِّـــهِ مُحَمَّـــدُ اللهُ فـــي كـــلِّ الأمـــورِ أحمـــدُ

مُصـلّياً علـى الرسـولِ المُنْتَقـى وآلـــهِ وصَـــحْبهِ ذوي التَّقـــى

والبعـدُ والقَصْـدُ بـذا المنظـومِ تســـهيلُ منثـــورِ ابـــنِ آجـــرومِ

وفي باب الإعراب يقول:

الإعـرابُ تغييـرُ أواخِـرِ الكَلِـمْ تقـديراً أو لفظـاً فـذا الحـدّ اغتـنمْ

وذلـــك التغييـــرُ لاضـــطرابِ عوامـــلٍ تـــدخلُ للإعـــرابِ

أقســـامُه أربعـــةَ تُـــؤمُّ رَفْـعٌ ونَصْـبٌ ثـم خَفْـضٌ جَـزْمُ

فـــالأوَّلان دونَ رَيْـــبٍ وقَعـــا فـي الاسـمِ والفعلِ المضـارعِ معـا

فالاسـمُ قـد خُصِّـصَ بـالجرّ كمـا قـد خُصِّـص الفعـلُ بجَـزْمٍ فاعلمـا

وكذلك نظم السيوطي (911هـ) ألفيةً في النحو سماها (الفريدة). وهي مطبوعة. ولها شرح بعنوان «المطالع السعيدة في شرح الفريدة».

وإذا تركنا النحو، وانتقلنا إلى علم الصرف، وهو علم يهتم ببنية الكلمة العربية وبأوزانها ومجردها ومزيدها، وإبدالها وإعلالها، وجامدها ومشتقها، وقعنا على أمثلة كثيرة من نظم الصرف ، منها مثلاً «قصيدة أبنية الأفعال» التي نظمها «ابن مالك» صاحب الألفية النحوية المشار إليه سابقاً. وهذه القصيدة التي تسمى أيضاً بلامية الأفعال شرحها «ابن الناظم» ذاته، واسمه «بدر الدين محمد بن محمدٍ» (686هـ). وقد جاءت القصيدة على البحر البسيط، وتقع في (114) بيتاً. ونشر شرح الابن عليها الدكتور ناصر حسين علي بدمشق عام 1992م بعنوان «زبدة الأقوال في شرح قصيدة أبنية الأفعال». وإذا طالعنا كتاب (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق- علوم اللغة العربية) نقع على منظومة صرفية أخرى بعنوان «الترصيف في التصريف» نظمها عبد الرحمن بن عيسى ألمرشدي المكي (1037هـ) وأولها:

أضـل مـا إليـه تصـريف الهِمـمْ بحُســن حمـدِ الله وهَّـاب الـنِّعمْ

وتقع هذه المخطوطة في (12) ورقة ورقمها 1085

وقد ألَّف ناصيف اليازجي اللبناني المعاصر كتاباً سماه «الجمانة في شرح الخزانة». وهذا الكتاب هو أرجوزة في علم الصرف أسماها (الخزانة)، ثم علَّق عليها شرحاً لها سمَّاه «الجمانة».

وطبع هذا الكتاب في بيروت سنة 1872م. يقول ناصيف اليازجي في فاتحة كتابه مثلاً:

أقول بعد حمد ربٍّ محسنِ — لا علم لي إلا الذي علّمني

د اصطنعت هذه الخزانهْ — حاوية من شرحها الجمانهْ

جعلتها في الصرف مثل القطبِ — فقُلتُ والله الكريمُ حسبي

ثم قال:

الصرفُ عِلّمٌ بأصول تُعرف — بها مباني كَلِمٍ تُصرَّفُ

والأحرفُ التي ابتنت منها الكلِم — إلى صحيحٍ وعليلٍ تنقسمْ

وأحرفُ العلّة واوٌ وألِف — والياءُ والباقي بصحةٍ وُصِفْ

تشرك الهمزة حرف العلّه — فتلك بَينَ بين في المحلّه

وفي مجال علوم اللغة العربية الأخرى كالبلاغة وفروعها، كعلم المعاني، والبيان، والبديع، يمكن المرء أن يشير إلى جهود «ابن الشحنة» (815هـ) واسمه «أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن أيوب» الحلبي الذي ألّف منظومة في علم المعاني والبيان والبديع، وقد شرح هذه المنظومة «محمد بن تقي الدين أبو بكر الحموي الدمشقي المحبي» (1010هـ). ومن هذا الشرح نسخة مخطوطة تقع في (68) ورقة في دار الكتب الظاهرية[١].

وكذلك ألَّف السيوطي (911هـ) قصيدة أسماها «عقود الجمان» وهي في علمي المعاني والبيان، وقد شرحها بنفسه. ومن هذا الشرح نسخة بين مخطوطات الظاهرية[٢].

كما يمكن المرء أن يشير في مجال البديع وحده إلى منظومة للشيخ الإمام زين الدين يحيى بن معطي المغربي الزواوي (628هـ) جمع فيها شواهد البديع من أشعار المبرزين من الشعراء، وذلك بأن حدّد نوع البديع، ثم أعطى الشاهد عليه، وأولها بعد البسملة:

يقول ابن معط قُلتُ لا متعاطيا — مقالة مَن يرجو الرضى والتعاطيا

(١) حمصي، أسماء: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية- علوم اللغة العربية- دمشق ١٩٧٣. ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٢) حمصي، أسماء: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية- علوم اللغة العربية- دمشق ١٩٧٣. ص٣١٦ .

ومن هذه المنظومة نسخة في دار الكتب الظاهرية تقع في (9) ورقات ضمن مجموع عدد أوراقه (27) ورقة[١].

وفي مجال العروض مر بنا ذكر نظم الشنقيطي للخزرجية في العروض قبل قليل. ونطالع في فهارس المخطوطات آثاراً أخرى في هذا الفن، منها منظومة في العروض «لمحمد بن الحسن الحسيني الشافعي الهروي» (676 هـ) أولها بعد البسملة:

أحمدُ مَنْ صلّى على محمدِ وآله نجومِ كلِّ مُهْتَدِ

وهي من مخطوطات الظاهرية، وقد كتبها ناظمها نفسه. وتقع في أربع ورقات[٢].

وأشار صاحب «معجم المؤلفين» إلى أن« إبراهيم بن عبد الله بن جمعان» اليمني الزبيدي (1083هـ) قد ألَّف مقطوعة في العروض سماها (آية الحائر).

وبين مخطوطات الظاهرية مخطوطة بعنوان «هالة العروض» وهي أرجوزة نظمها «محمد صالح بن أحمد بن سعيد المنير الدمشقي» (1321هـ). قدم بها لعلم العروض وتناول فيها الزحافات والعلل والأبحر والدوائر العروضية، وختمها بألقاب الأبيات، أتم نظمها في (الآستانة) في شعبان سنة 1299 هـ ، وأولها بعد البسملة:

يقول صالح بن احمدَ السري القدوةُ المشهورُ بالمُنيرِ

وهي نسخة بخط ناظمها، وتقع في (8) ورقات.

وفى ميدان الأدب القصصي جرب «أبان بن حميد اللاحقي»، وهو شاعر إسلامي من أهل البصرة، جرّب قدرته في النظم في صياغة كتاب (كليلة ودمنة) شعراً. وقد استغرق نظمه لهذا الكتاب ثلاثة أشهر. وبلغت أشعاره (14) ألف بيت، وقدمه إلى «يحيى بن خالد البرمكي»، فكافأه هذا عشرة آلاف دينار.

ونجد في كتاب (الأوراق) «للصولي» (335هـ) من هذا النظم ما يربو على (80) بيتاً. وأول ذاك النظم قول «أبان اللاحقي»:

هذا كتابُ أدبٍ ومحنهْ وهو الذي يُدعى كليلة ودِمْنهْ

فيه احتيالاتٌ وفيه رشدُ وهو كتابٌ وضَعَته الهِندُ

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٠ .

ومن نظمه مثلاً في باب الأسد والثور من كتاب كليلة ودمنة:

وإن مَـــن كـــان دنـــيَّ الـــنفسِ يرضـــى مـــن الأرفـــعِ بـــالأخسِّ

كمثـــلِ الكلـــب الشـــقيِّ البـــائسِ يفـــرح بـــالعظْمِ العتيـــقِ اليـــابسِ

وإن أهـــل الفضـــلِ لا يرضـــيهمُ شـــيء إذا مـــا كـــان لا يرضـــيهمُ

وذكر «الصولي» أيضاً أن «أباناً» هو الذي عمل القصيدة (ذات الحُلَل)، وفيها ذكر مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق، وغير ذلك، وهي قصيدة مشهورة[(١)].

وقد نظم «كليلة ودمنة» أيضاً «ابن الهبَّارية» (504هـ) وهو الذي نظم أيضاً كتاب «الصادح والباغم».

ومن ناظمي كتاب الفيلسوف الهندي، «محمد الجلال»، و«عبد المنعم بن حسن» و«علي بن داود» كاتب زبيدة-زوج الرشيد، و«جلال الدين النقاش» من القرن التاسع الهجري.وفي مجال الفقه الإسلامي نظم «محمد بن علي الرحبي»(المتوفى سنة 577هـ) أرجوزة في أحكام الإرث الإسلامي، وعرف كتابه (بمتن الرحبية) نسبة إليه.

وقد شرح هذا المتن كثيرون من العلماء، منهم: «أبو بكر أحمد السبتي»، و«جلال الدين السيوطي»، و«عبد القادر الفيومي»، و«محمد بن صالح الغزي»، و«محمد بن محمد المارديني»، وشرح هذا الأخير مطبوع. وكذلك شرحَ الرحبية «محمد بن خليل بن خمليون» وسمى شرحه: (تحفة الأخوان البهية على المقدمة الرحبية). وقد حقق هذا الشرح الأستاذ السائح «علي حسين»، وطبعه في طرابلس بليبيا عام 1990م، تحت عنوان (التحفة في علم المواريث). وفي أسباب الميراث نقرأ قول «الرحبي»[(٢)]:

أســـباب ميـــراث الـــورى ثلاثـــهْ كـــلٌّ يفيـــد ربَّـــهُ الوراثـــهْ

وهـــي نكـــاح وولاء ونسَـــبْ مـــا بعـــدهنَّ للمواريـــث ســـبَبْ

(١) الصولي، أبو بكر: الأوراق، تحقيق ج. هيورث، بيروت، ط٢، ١٩٧٩. ص١، ص ٤٦ : ٤٨.

(٢) ابن خمليون، محمد بن خليل: التحفة في علم المواريث، تحقيق السائح علي حسين- ليبيا، طرابلس ١٩٩٠. ص ٢٨ .

ويقول في موانع الإرث[1].

ويمنع الشخصَ من الميراثِ واحدةٌ من عِللٍ ثلاثِ

رقٌ وقتل واختلاف دينِ فافهمْ فليس الشك كاليقينِ

ويقول في باب أصحاب الثُمُن[2].

والثُمْنُ للزوجةِ والزوجاتِ مع البنين أو مع البناتِ

أو مع أولادِ البنين فاعلمِ ولا تظنَّ الجمعَ شرطاً فافهَمِ

ومن الكتب القريبة من الفقه والشرع وصلتنا كُتب تعالج قضية الإمامة في الإسلام منذ وفاة الرسول ﷺ إلى عصر كاتبها. ومن تلك الكتب كتاب بعنوان (الأرجوزة المختارة) للقاضي النعمان (363هـ). وقد حققها «إسماعيل قربان حسين»، ونشرها ضمن منشورات معهد الدراسات الإسلامية في (مونتريال) بكندا. وهذه الأرجوزة تلقي ضوءاً على موقف الفرق المختلفة من قضية الإمامة والأدلة التي قدمتها كل فرقة، وتعدّ هذه الأرجوزة التي أُلّفت في أيام الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله من أقدم النصوص الفاطمية في الإمامة، وفي مطلعها يقول الناظم مثلاً:

الحمد لله بديع ما خَلقْ عن غير تمثيلٍ على شيء سبقْ

بل سبَقَ الأشياء فابتداها خلقاً كما أراد إذ بَراها

ومن كتب الفرق المنظومة شعراً «القصيدة الصورية» التي أَلَّفها الداعية الإسماعيلي الأجل «محمد بن علي بن حسن الصوري»، وحقَّقها «عارف تامر»، ونشرها في نطاق منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق عام 1955م. وهي كما قال ناشرها:

«أقدم المصادر عن الإسماعيلية، ومن أهم الرسائل التي تنطق بالحقائق، وتمثل العقائد أصدق تمثيل، ومن أحسن المراجع في تاريخ قصص الأنبياء وعدد الأئمة المنحدرين من الإمام علي بن أبي طالب حتى الإمام المستنصر بالله الفاطمي.. ولذلك كانت تتناقلها الدعاة ويحافظون على سريتها وعدم تسربها، وليس بالغريب إذا قلت إن أكثرهم كان يحفظها غيباً بالنظر لاعتمادهم على بيانها الرائع وأصولها وفروعها، ومتانة أسلوبها وترتيبها».

---

(١) المصدر السابق ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢.

ومؤلف هذه القصيدة هو «محمد بن علي بن حسن» كانت مدينة (صور) مسقط رأسه، لذا نُسِب إليها، وقد عاش ردحاً في (طرابلس) داعية للفاطميين، وقام بالرحلة في طَلب العلم والحديث. وقيل إنه سمع بالكوفة من أربعمائة شيخ، وهبط القاهرة في عهد الإمام المستنصر بالله الفاطمي. واستوطن بغداد سنة 418هـ ، وقد توفي فيها سنة 441هـ .

والحقيقة أن هذه الأرجوزة الإسماعيلية ليست الوحيدة في تراثنا. فقد شاعت الأراجيز في العهود الفاطمية، واستعملت للدعاية وللتعبير عن الموضوعات الفلسفية والتعاليم العقائدية[1].

ولكي نعرف طريقة هذه المنظومات نسوق هنا مطلع القصيدة الصورية، وهي في باب القول بالحمد والاستفتاح .

الحمـــــد لله مُعِـــــلِّ العِلَـــــلِ	**ومبــــدع العقـــل القـــديم الأزلِ**
أبدعــــــه بــــــأمره العظـــــيمِ	**بــلا مثـــالٍ كـــان فـــي القـــديمِ**
وصــيَّر الأشــياء فــي هويتــهْ	**مجموعــة بأســرها فــي قدرتــهْ**
فهــو لهــا أصــل كــريم يجمــعُ	**فمنـــه تبـــدو وإليـــه ترجـــعُ**
ســبحانه مـــنْ ملـــكٍ ديَّـــانِ	**العقـــل والـــنفس لـــه عبـــدانِ**
جـلَّ عـن الإدراك فـي الضـمائرِ	**والوصـف بـالأعراض والجـواهرِ**

وفي مجال الفلاحة، نقرأ «لسعد بن أحمد بن ليون التجيبي» (750هـ) أرجوزة تشمل (1300) بيت. نشرها في غرناطة، عام 1975 م (جواكينا أجوارس أبنيث). وقد كان «ابن ليون التجيبي» عالماً موسوعياً له ولَعٌ باختصار الكتب، وتتلمذ على يديه في (المرية) من أعلام الأندلس «ابن خاتمة الأنصاري»، و«لسان الدين بن الخطيب»، و«ابن جعفر بن الزبير»، و«ابن رشيد الفهري». وسمى «ابن ليون» أرجوزته[2] «كتاب إبداء الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة». وقد عدّد المؤلف في كتابه هذا أركان الفلاحة شعراً، فكانت حسب قوله:

هــي الأراضــي والميــاه والزبــولُ	**والعمـــل الـــذي بيانـــه يطـــولُ**

(١) الصوري، محمد بن علي بن حسن: القصيدة الصورية، تحقيق عارف تامر، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٥. ص ١٧ ، ١٩ .

(٢) الطيبي، أمين توفيق: كتب الفلاحة الأندلسية، مقال في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد ٥ ، ٦، ص ٣٤٥ وما بعدها ـ طرابلس، ليبيا .١٩٨٩.

ونراه يشير إلى الأرض وما يحفظها أو يفسدها، فيقول مرتجزاً:

الفـــول والتـــرمس والكتَّـــانُ تحفـــظ الأرضَ وكـــذا الجلبـــانُ

والـدخن مُضـعِف لهـا والجلجـلانْ ومـــا يكـــرَّر بهـــا كـــل زمـــانْ

وورَقُ الحِمِّـــصِ والكرْســـنّهْ مُفْسِـــدةٌ لـــلأرضِ بالملوحـــهْ

ونجده يشير في موضع آخر إلى أعمار الثمار والنبات في نظره، فيقول معتمداً على أقوال (ابن بصَّال) و(الطغنري)، وهما عالمان في الزراعة أيضاً:

وعمـرُ الزيتـون مِـنْ عدِّ السنينِ ثلاثـــة ألافٍ حـــينٌ بعـــدَ حـــينِ

وفــي الصـنوبرِ عـن ابـنِ بصَّـال بمئتـــي عـــامٍ يقـــول اســـتكمال

وفي مجال الملاحة أراجيز كثيرة، فنطالع «لابن ماجد» (المتوفى بعد 904هـ) الملقَّب بأسد البحر الذي أرشد قائد الأسطول البرتغالي (فاسكو داجاما) في رحلته لاكتشاف طريق الهند من خلال رأس الرجاء الصالح، أرجوزة، اسمها «حاوية الاختصار في أصول علم البحار». وقد نشر هذه الأرجوزة الأستاذ إبراهيم خوري بدمشق ضمن منشورات المعهد العلمي الفرنسي. يقول ابن ماجد في تقديم أرجوزته[1]:

يـــا أيهـــا الطالـــبُ عِلـــمَ الـــيمِّ إليـك نظمـــاً يـــا لـــه مـــن نَظْـــمِ

فـــي العلـــم والهيئـــة والحســـابِ ومـــا هـــو اســـتنبط للصـــوابِ

إن كنـــتَ ممـــن جـــدَّ فـــي العلـــومِ وذاكـــر الأســـتاذ كـــلَّ يـــومِ

يغنيـــك عـــن رهمانجـــات النّثـــرِ هـــذا الـــذي نظمتُـــه بالشـــعرِ

وفي ميدان الرياضيات يمكن أن نشير إلى أرجوزة «ابن الياسمين» في الجبر والحساب. و«ابن الياسمين هو عبد الله بن الحجاج المعروف بابن الياسمين». وهو من أهالي (فاس). وقد أفرغ علمه في هذه الأرجوزة الشهيرة، وتوفي ابن الياسمين عام (600هـ). وقد ابتدأ ابن الياسمين بوضع تعريف شامل وهام لمجال علم الجبر، فقال:

علـــى ثلاثـــة يـــدور الجبـــرُ المـــال والأعـــداد ثـــم الجَـــذْرُ

---

(١) ابن ماجد: حاوية الاختصار في أصول علم البحار، تحقيق إبراهيم الخوري، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.

ثم عرَّف المقصود بالمال في البيت الثاني، فقال:

فالمـــال كـــلٌ عـــددٍ مربَّـــعِ وجـــذرهُ واحـــد تلـــك الأضـــلُعِ

والعدد عند (ابن الياسمين) هو الشيء، أو العدد المجهول، ومربعه هو الكمال. وفي بعض أبيات الأرجوزة يقول:

وضـــربُ كـــلِّ زايـــدٍ ونـــاقصِ فـــي مثلـــه زيـــادةٌ لفـــاحصِ

وضـــربُه فـــي ضـــدِّهِ نقصـــانُ فـــافهمْ هـــداكَ الملـــكُ الـــديَّانُ

وقدم الأستاذ «بديع الحمصي» بحثاً عن «ابن الياسمين» وأرجوزته هذه في الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب في نيسان عام 1979 م . وفي الظاهرية بدمشق سبع نسخ للأرجوزة وشروحها. ويذكر الأستاذ «محمود الصغيري» أن باليمن في (زبيد) تحتفظ المكتبات الخاصة بعشرات النسخ من هذه الأرجوزة[١].

وفي ميدان العلوم التطبيقية كالكيمياء والطب والصيدلة حفِل تراثنا العظيم بأراجيز كثيرة جداً، تناولت المعارف التي تنتمي إلى هذه العلوم. ففي مجال الكيمياء ربما كان ديوان الأمير العالم الشاعر الأموي «خالد بن يزيد» (90 هـ) واسمه «الصنعة» هو أقدم ما أُلِّف شعراً في علم الكيمياء. وربما أهَّل هذا الديوان صاحبه لأن يوصف بأنه الشاعر التعليمي الأول في التراث العربي. وقد ذكر حاجي خليفة هذا الديوان فقال يصفه[٢]:

«فردوس الحكمة في علم الكيمياء لخالد بن يزيد بن معاوية الأمير الحكيم. منظمة في قوافٍ مختلفة وعدد أبياتها ألفان وثلاث مئة وخمسة عشر بيتاً، أولها»:

الحمـــــدُ للهِ العلـــــيِّ الفـــــردِ الواحـــدِ القهَّـــار ربِّ الحَمْـــدِ

يـــا طالبـــاً بوريســـطس الحكمـــاءِ خُـــذْ منطقـــاً حقـــاً بغيـــر خفـــاءِ

ويمكن أن نضيف إلى هذا الديوان، ديواناً آخر لأبي «الحسن علي بن موسى الأنصاري المعروف بابن أرفع رأس» (593 هـ) اسمه «شذور الذهب في صناعة الكيمياء». وهو ديوان شعري مرتّب على الحروف، شرحه «أيدمر بن علي الجلدكي» وسمى الشرح «غاية السرور»، وخمَّسه «شرف الدين محمد بن موسى القدسي» الكاتب (المتوفى سنة 712 هـ) تخميساً حسناً[٣].

(١) الصغيري، محمود: قضايا في التراث العربي، دمشق ١٩٨١ . ص ١٥٥ .

(٢) خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢.(١٢٥٤، ١٢٥٥)

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٢٧ .

وقد أضاف الأستاذ «رزوق فرج رزوق» أن عدد منظوماته في مخطوطة جامعة برستن بالولايات المتحدة 43 منظومة يبلغ مجموع أبياتها 1487 بيتاً. وعدد منظوماته في مخطوطة كلية الآداب بجامعة بغداد 42 منظومة يبلغ مجموع أبياتها 1431 بيتاً. (انظر مجلة المورد- بغداد 1990- مج 19 العدد الأول ص 213).

ومن المعروف أيضاً أن «الرازي أبا بكر محمد بن زكريا» (313هـ / 925م) (جالينوس العرب)، وهو من أكابر الكيميائيين والأطباء العرب، نقل (كتاب الآس) لجابر إلى الشعر، وله قصيدة في المنطقيات، وقصيدة في العظة اليونانية[1].

وله أيضاً أرجوزة في الطب أولها[2]:

الحمـــد لله الـــذي بَرانـــا ورَكَّـــب العقـــول والأذهانـــا

ومـــنَّ بالسّـــماعِ والإبصـــارِ يهـــدي لهـــا مـــن ذا اعتبـــارِ

وآخرها :

أمـــا لـــه مُعتبـــرٌ فـــي نفســـهِ كيـف يصـير جسـمه فـي رمسِـهِ

بعـــد النعـــيمِ جيفـــةَ نتينـــهْ ونفســـه بمـــا جنَـــت رهينـــهْ

حتـــى تؤديـــه إلـــى دار البقـــا والخلـدِ إمـا فـي نعـيمٍ أو شـقا

وقد نسخت هذه الأرجوزة عام 1054هـ ، وتقع في (8) ورقات، وهي في (مكتبة جستر بيتي- 5244 مجموع).

ومن المعروف أن للرازي أيضاً كتباً كثيرة منها- عدا الحاوي، والمنصوري، والطب الروحاني- كتاب «برء الساعة» وقد حوّل هذا الكتاب إلى أرجوزة «محمد بن إبراهيم بن يوسف الحنبلي» (٩٧١هـ) وأعطاها عنوان «الدرر الساطعة في الأدوية القاطعة». وهي في 135 بيتاً.

أما «ابن سينا» الشيخ الرئيس (428هـ)- (بقراط العرب) وشيخ أطبائهم، فقد ألَّف كتاب «القانون في الطب» الذي ظل مرجعاً أساسياً لطلبة الطب في الشرق والغرب حتى أواخر القرن الماضي، «ابن سينا» هذا رأى أن يلخّص المعلومات الطبية التي وعاها وخبرها وتمرّس بها في أرجوزة شعرية تسهيلاً لحفظها، ولينتفع بها تلامذته في كل مكان وزمان. لذا أنشأ «أرجوزته في الطب» وهي أرجوزة تقع في ما يزيد على (1300) بيت.

---

(١) ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، بيروت ١٩٧١. ص ٣٥٩ .

(٢) الدوسري، هيا محمد: فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث، الكويت ١٩٨٤. **ص** ٢٧.

وقد أثَّرت تلك الأرجوزة كثيراً في تدريس الطب في المشرق العربي وفي المغرب والأندلس. وكانت عمدة أساتذة الطب لسنين طويلة، وشُرحت كثيراً وعُلِّق عليها، وعورضت واستدرك عليها، وممن استدرك عليها «هارون بن اسحق المعروف بابن عزرون»، وذلك في أرجوزته في الحميات والأورام، فقد ذكر «ابن عزرون» أن «ابن رُشد» قد لاحظ تقصير «أرجوزة ابن سينا» في ذكر الحمّيات والأورام؛ فحفزته تلك الملاحظة على نظم أرجوزة في هذا الباب... وأكمل «محمد بن قاسم بن محمد الفاسي» (1120هـ) الأرجوزة السينوية بأرجوزة سمَّاها «الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة». ومما قاله «ابن سينا» في أرجوزته:

بدأتُ باسمِ اللهِ في النّظْمِ الحَسَنْ   أذكُر ما جرَّبتُه طولَ الزَّمَنْ

وفي موضع آخر يقول ابن سينا:

الطّبُّ حِفظُ صحة بُرء مَرَضْ   من سَبَب في بِدنٍ عنْهُ عرَضْ

قِسمتُه الأولى لعِلْمٍ وعمَلْ   والعِلمُ في ثلاثةٍ قدِ اكتملْ

سبعُ طبيعاتٍ من الأمورِ   وستةَ وكلّها ضروري

ثم ثلاثٌ سُطِّرت في الكتبِ   مِن مرَضٍ وعرَضٍ وسبَبِ

وقد طبعت أرجوزة «ابن سينا». ومنها نسخ مخطوطة في الظاهرية[١] .

ولابن سينا أيضاً أرجوزة في التشريح[٢].

وقد شرح «ابن رشد» (595هـ) منظومة «ابن سينا» هذه. ومن هذا الشرح نسخة مخطوطة في الظاهرية (فهرس الطب والصيدلة ص 441)، ومنها نسخة مصورة عن مكتبة جستر بيتي (رقم 3993) في الكويت تقع في 130 ورقة[٣].

وكذلك شرح هذه الأرجوزة «محمد بن إسماعيل بن محمد المتطبِّب»

(بعد 988هـ). وهو شرح يقع في (180) ورقة. وعنوانه: «التوفيق للطبيب الشقيق». ومنه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب الوطنية بتونس.

---

(١) الخيمي، صلاح: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة، دمشق ١٩٨١. (١ / ٤٥٠).

(٢) الخيمي، صلاح: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة، دمشق ١٩٨١. (٢ / ٣٤٢).

(٣) الدوسري، هيا محمد: فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث، الكويت ١٩٨٤.ص ١٥٥ .

ونظم أبو عبد الله «محمد بن العباس بن أحمد الدنيسري» (686هـ) أرجوزة في نظم «مقدمة المعرفة» لبقراط، وأرجوزة في الدرياق الفاروقي[١]. وكذلك نظم «داود بن عمر الأنطاكي» (1008هـ) ألفية في الطب. كما نظم «القانون في الطب» لابن سينا وشرحه[٢].

والحقيقة أن المنظومات الطبية كثيرة جداً ولم نذكر منها إلا غيضاً من فيض، وذلك لأن الاستقصاء هنا ليس غرضنا.

وإذا تركنا الطب وانتقلنا إلى الفلك، نجد أن العرب قد أحرزوا في هذا العلم إنجازات عظيمة، وليس أدل على ذلك من احتواء اللوحة التي وضعها (نيل آرمسترونغ) أول إنسان وطئت قدماه أرض القمر- على اسم (البتَّاني)، وهو عالم فلكي سوري من الرقة عاش في القرن الرابع الهجري، وذلك تقديراً لجهود هذا العالم في علم الفلك، وإجلالاً لما صنعه في زمانه من زيجات فلكية صحيحة. ومن المعروف في هذا الباب أن لأبي «الحسن علي بن أبي الرجال» (بعد ٤٣٢هـ) أرجوزة في الأحكام الفلكية،وهي مطبوعة[٣].

ونطالع في كشف الظنون ذِكْر قصيدة في النجوم مزدوجة طويلة ألّفها أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الغراوي[٤].

وكذلك ذكر د. «رزوق فرج رزوق» أن «محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي» المعروف «بابن رقام» (715هـ) له منظومة في العمل بالإسطرلاب[٥] .

ومن المعروف أن الإسطرلاب آلة فلكية. كذلك لعبد الواحد بن محمد بن محمد المشهدي (838هـ) منظومة في الإسطرلاب[٦].

---

(١) الكتبي، ابن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت. (٢: ٤٤) .

– البغدادي: هدية العارفين، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢.(٢ : ١٣٦).

(٢) خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. ١٣١٣.

– البغدادي: هدية العارفين، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. (١ : ٣٦٢).

(٣) رزوق، فرج رزوق: الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية، مقال في مجلة المورد العراقية، المجلد ١٩، العدد الأول، ص ٢١١ . بغداد ١٩٩٠.

(٤) خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. ١٣٤٥.

(٥) رزوق، فرج رزوق: الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية، مقال في مجلة المورد العراقية، المجلد٢، العدد الأول، ص ٢١٨ . بغداد ١٩٩٠.

(٦) البغدادي: هدية العارفين، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. (١ : ٦٣٢).

وفي (كشف الظنون) أيضاً عرفنا أن شرف الدين أحمد بن ادريس بن يحيى المارديني (728هـ) قد ألّف «نظم الدرر في معرفة منازل القمر»، رتبه على عشرة أبواب كلها منظومة[١].

وكذلك نطالع لرضي الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن أحمد الغزي (935هـ) ألْفية في علم الهيئة، وهو علم الفلك ذاته[٢].

ولفخر الدين «محمد بن مصطفى بن زكريا الدوركي» (713هـ) قصيدة في النجوم

وفي ميدان التاريخ ألَّف «أسعد بن البطريق النصراني» (357هـ) كتاباً بعنوان: «نظم الجواهر في أخبار الأوائل والأواخر» .

ونقع في كتاب (هدية العارفين) على غير إشارة إلى منظومات في التاريخ منها مثلاً أن «محي الدين عبد الله بن عبد الطاهر السعدي الجذامي الروحي» (692هـ) قد نظم سيرة السلطان الظاهر بيبرس[٣].وكذلك نظم شهاب الدين «محمد أمين الخولي» (693هـ) سيرة ابن هشام[٤]وذكر «الزركلي» أن «عبد الملك بن أحمد الأرمنتي» (٧٢٢هـ) قد نظم (تاريخ مكة) للأزرقي على شكل أرجوزة. ونظم «صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي» (764هـ) أرجوزة تاريخية وشرَحها، وهي بعنوان: «تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب» وقد طبع هذه الأرجوزة «صلاح الدين المنجد»، وفيها يقول مثلاً محدثاً عن محتوى كتابه بعد حمد الله وشكرانه:

وبعد، فالمقصود من ذا الرَّجَزِ ... حُسنُ البيان في كلامٍ موجزِ

أذكرُ فيه الخُلَفا والأمرا ... على دمشق نسَقاً كما ترى

لكنّه على الحروف رتَّبهْ ... فضيَّعَ المقصود منه واشتبهْ

ولم يصل إلا لنور الدينِ ... وعاقَ ذاك واردُ المنونِ

وقد ذكرت مَنْ أتى مِن بعدهِ ... ليومنا فاستجلِ دُرَّ عِقْدهِ

---

(١) خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. ص ١٩٦٣ .

(٢) رزوق، فرج رزوق: الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية، مقال في مجلة المورد العراقية، المجلد٢٠، العدد الأول، ص ١٣٣ . بغداد ١٩٩٢.

(٣) البغدادي: هدية العارفين، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. (٢ : ١٣٧).

(٤) البغدادي: هدية العارفين، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. (١ / ٥٨١).

- خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. ص٤٩٢ ، ١٠١٢ .

ومن الجدير بالذكر أن المؤلف نفسه قد شرح أرجوزته في كتاب حمل العنوان ذاته، وقد طبع بدمشق عام 1992 في جزأين بتحقيق «إحسان بنت سعيد خلوصي»، و«زهير حميدان الصمصام». ويمكن أن نضيف في هذا المجال الأرجوزة التي نظمها تاج الدين الحسن بن راشد الحلي (نحو 830هـ) وعنوانها «تاريخ الملوك والخلفاء»، وأرجوزة للمؤلف ذاته، وهي تحمل عنوان: تاريخ القاهرة[1]. والأرجوزة التي في تاريخ المعتضد بالله، وهي مطبوعة، وقد ألفها أبو العباس «عبد الله بن محمد الناشئ» المعروف «بابن شرشير» (293هـ). ونظم «عبد العزيز بن أحمد بن الدميري» المعروف «بالديريني»(694هـ) سيرة ابن هشام شعراً[2].

والحقيقة أن هذا التقليد التراثي أعني التأليف بالشعر، لم يندثر، بل استمرت نماذجه في مجرى الثقافة العربية تطالعنا بين الفينة والأخرى وإن قلّت، بوضوح، عما كانت عليه في القديم. وقد راح بعض الشعراء في أيامنا هذه يستعرضون قدراتهم على النظم في تأليف بعض الكتب. ومن هؤلاء الشاعر السوري «أحمد الجندي» رحمه الله الذي ألَّف كتاباً بعنوان «قصة المتنبي شعراً». وقد طبعها في بغداد عام 1973، ثم أعاد طبعها في دمشق بدار طلاس. وفي هذا الكتاب الشعري يؤرخ «أحمد الجندي» بالشعر لحياة «أبي الطيب المتنبي» شاعر العربية الأكبر، ومالئ الدنيا وشاغل الناس، وإذا فتحنا كتاب «الجندي» وجدناه يقول (في ص 7 طبعة بغداد) مثلاً[3] :

مرَّ في خاطر الزمان وليدُ ... عبقريٌّ السماتِ عالٍ فريدُ

أسمرُ الوجهِ كالمساء جلالاً ... أسودُ العين، باهرٌ ممدودُ

موجةَ من رجولةٍ فوق بحرٍ ... يتمطّى تياره العربيدُ

فإذا الشاعرُ العظيمُ حديثٌ ... يتغنّى ونشوةٌ وقصيدُ

ثم يضيف في (ص 13) على لسان شاعرنا العظيم، كاشفاً عن بعض سجاياه وخصائصه:

لا أراني أعيش في هذه الأرضِ ... فنفسي يضيقُ عنها زماني

إنني شاعرُ العروبة ضوئي ... ملأ الأرض بالمنى والأماني

وبشعري سار الزمان وغنى الركبُ ... في البيدِ مُطرباتِ الأغاني

---

(١) الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠. (٢ : ٢٠٤) .

(٢) البغدادي: هدية العارفين، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢. (١ / ٥٨١).

(٣) الجندي، أحمد: قصة المتنبي شعراً، بغداد ١٩٧٣.

وبعد، فإننا نخلص من خلال العرض الموجز السابق إلى نتائج نصوغها على النحو التالي:

١-إن التأليف بالشعر عند العرب كان قد بدأ مع فجر عهدهم بالتدوين والتصنيف، وبعبارة أخرى منذ القرن الهجري الأول، وحتى أيام الناس هذه، ومن المعروف هنا أننا نريد نظم المعارف والعلوم، ولا نقصد إبداع المسرح الشعري الذي يشكل نسقاً معرفياً آخر.

٢-إن بحر الرجز لم يكن البحر الوحيد الذي ركبه المؤلفون في مؤلفاتهم الشعرية، فهناك بحور أخرى كالبسيط وغيره من البحور، نظمت عليها ألوان من المعارف متباينة. وقد كان بحر الخفيف مثلاً هو بحر أشعار المرحوم أحمد الجندي التي مثّلنا بها قبل قليل.

٣-إن العرض السابق، على وجازته، وعلى الرغم من أنه جاء للتمثيل والتدليل، لا للاستيفاء وللاستقصاء يدل على أن هذا الباب واسع جداً، وأنه تناول مختلف جوانب المعرفة، وثمة جوانب أخرى لم نعرض لنماذج لها فيما تقدّم. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مواهب العرب الشعرية الغزيرة، وعلى أثر الشعر في نفوسهم كما يدل على عظيم عطائهم التصنيفي، وهو عطاء يكاد المرء يزعم أن الأمة العربية لا تضاهيها فيه أية أمة على وجه هذه البسيطة.

شملت المنظومات العلوم والفنون ؛ لذا ألف أصحابها في اللغة العربية (لغة ونحوا)؛فمن أمثلة ذلك ألف (العجاج وابنه رؤبة) شعرا تعليميا مبكرا في العصر الأموي في شكل متون لغوية منظومة تتعلق باللغة ساعدت الرواية اللغوية بالألفاظ الغريبة والأساليب الشاذة والنادرة ثم إنها زودت الرواية بالأمثلة والشواهد المأثورة وبالمستعمل والمهمل، وفي العلوم العقلية (الرياضية والطبيعية) ألف الأمير «خالد بن يزيد بن معاوية» (ت 58هـ) كتاب « فردوس الحكمة » في ديوان مؤلف من (2300) ألفين وثلاث مائة بيت مختلف القوافي وذلك في علم الكيمياء ومصطلحاته ،وفي علم الفلك ألف «عبد الرحمن الصوفي» (ت376هـ -986م) أرجوزة صور الكواكب في (244) بيتا، وفي علم المنطق «ابن سينا»(ت428هـ) ، وله كذلك في أصول الطب أرجوزة تضم (1326) ألف وثلاث مائة وستة وعشرين بيتا ، ومثله في زمن لاحق «محمد بن عبد الملك بن الطفيل» (ت581هـ -1185م) وألفوا في الفقه كمنظومة الشاطبي(ت 590هـ) الموسوعة الشاطبية في القراءات السبع، و«ابن الياسمين» (ت 601هـ - 1204م) له أرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة،، وفي علم الحديث كألفية «العراقي».

(ت 808هـ) في مصطلح علم الحديث ،وكذلك «السيوطي»(ت911هـ) في مصطلح علم الحديث والنحو، وكابن «البرماوي» (ت850هـ،)في علم أصول الفقه ، وفي الأدب كأرجوزة «أبي العتاهية» الموسوعة ذات الأمثال في أربعة آلاف بيت ، وألفوا في العقيدة ، وفي الحوادث التاريخية مثل(المحيرة في التاريخ) «لعلي بن الجهم بدر» الشاعر العباسي ؛ وهي في ثلاث مائة وثلاثة وثلاثين بيتا ،وكالمزدوجة في أحداث عصر بني العباس «لابن المعتز» (ت 296هـ) وفي البلاغة كألفية «القباقبي» (ت 850هـ)،وفي السير والقصص .



الفصل الثاني: سيرة وأشعار علماء الكيمياء الشعراء

١ ـ أحمد بن جعفر الخزرجى السبتي

موجز السيرة

أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي:أكبر أولياء المدينة وأشهر رجالاتها السبعة. عربي الأصل ، ولد بمدينة سبتة عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م. وتوفي بمراكش في اليوم الثالث من جمادى الأخيرة عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م[١] مرت حياته بثلاث مراحل،هي

ـ **المرحلة الأولى: مرحلة التعليم :** ينتسب إلى أسرة فقيرة إذ بوفاة والده اضطرت أمه إلى دفعه لحائك لتعلم الحرفة مقابل أجر. وبالرغم من أن أبا العباس كانت له رغبة في العلم، فكان كما تقول الروايات، يفر من معمل الحائك ليلتحق بكتّاب الشيخ «أبى عبد الله محمد الفخار» (دفين تطوان) فتلتحق به أمه لتعيده إلى الحائك بعد معاقبته . ومع تكرر الحادث تدخل الشيخ مقترحا على الأم أن يعلم الصبي ويدفع لها أجره[٢] .

ـ **المرحلة الثانية: مرحلة الخلوة :** أبدى أبو العباس الرغبة في السفر طلباً للعلم ولقاء المشايخ، ووقع اختياره على مراكش، لأنها كما قال لشيخه «مدينة العلم والخير والصلاح»[٣] ولأنها كذلك عاصمة الدولة الجديدة، فقد كان خروج أبي العباس من سبتة عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م، (وعمره ست عشرة عاما) وهي السنة التي تأكد فيها انتصار الموحدين على المرابطين، خصوصا بعد مقتل تاشفين عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م. وجد أبو العباس مدينة مراكش في حالة حصار (استمر من محرم إلى شوال عام ٥٤١هـ/١١٤٦م). فصعد إلى جبل «جيليز» مع وصيفه، وفي تعطير الأنفاس: (إن الله أنبع عينا من ماء وجعل يتعبد في ذلك الجبل والفقير معه يخدمه) [٤] وبقى في خلوته هناك مع وصيفه «مسعود الحاج» أربعين سنة.

---

(١) تعطير الأنفاس .

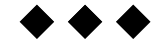
(٢) أخبار أبي العباس ص١. وتعطير الأنفاس ٩ ـ ١٠.

(٣) أخبار أبي العباس٦، إظهار الكمال ١٦٠.

(٤) تعطير الأنفاس ٣٢.

ـ **المرحلة الثالثة : تكوين المريدين وتربيتهم:** ظروف دخول أبي العباس لمراكش، وقطع خلوته الطويلة يكتنفها الغموض. فإذا كنا متأكدين من تمام ذلك على عهد المنصور، فان الإختلاف واقع في التاريخ والسبب: فعند البعض أن وصول أخبار كرامات «أبي العباس» بعد نزوله على جبل «جيليز»، جعل المنصور وأعيان المدينة يطلعون إليه للتبرك، ودعاه الخليفة إلى الإقامة بالمدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس ودارا للسكنى[1] ولعل ذلك قد تم في بداية حكم المنصور، فيكون السبتي قد قضى ـ كما في المصادر ـ أربعين عاما في الخلوة. (من أربعين إلى ثمانين وخمسمائة). وهذه المرحلة من أخصب مراحل حياة أبى العباس، ففيها تم نشر مذهبه على نطاق واسع إذ كان يطوف بنفسه في الأسواق و يحث الناس على الصدقة وعلى المتاجرة مع الله (درهم يساوي عشرة)

وهو من علماء أواخر القرن السادس الهجري، وله منظومة مخطوطة في الكيمياء ، وعليها شرح لمؤلف مجهول، وموجودة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة رقم ٣٧٣٥ ك[2].



(١) أخبار أبي العباس٣. وإظهار الكمال ١٤٢ـ ١٤٣.

(٢) العلوم العقلية : مصدر سابق ، ص ٥٧٢ .

٢ ـ المتيم : أحمد بن محمد الأفريقي

موجز السيرة

أحمد بن محمد، الأفريقي المعروف بالمتيم (أبو الحسن)، أحد الأدباء، الفضلاء، الشعراء، له من التصانيف: «كتاب الشعراء الندماء»، «كتاب الإنتصار المنبئ عن فضل المتنبئ»، وغير ذلك، وله ديوان شعر كبير، قال الثعالبي: رأيته ببخارى شيخاً رث الهيئة، تلوح عليه سيماء الحرفة ، (يقصد علم الكيمياء)، وكان يتطبب ويتنجم، فأما صناعته التي كان يعتمد عليها، فالشعر.

شعره

وفتيـــة أدبـــاء مـــا علمـــتهم ... شـبهتهم بنجـوم الليـل إذ نجمـوا

فروا إلى الراح من خطب يلم بهم ... فمــا درت نــوب الأيــام أيــن هــم

ومن شعره:

تلوم على تركي الصلاة حليلتي ... فقلت أعزبي عن ناظري أنت طالق

فـــو الله لا صـــليت لله مفلســـاً ... يصلي لـه الشيخ الجليل وفـائق

لماذا أصلي أين مالي ومنزلي ... وأيـن خيـولي والحلـي والمنـاطق

أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي ... عليـــه يمينـــي إننـــي لمنـــافق

بلــى إن علــى الله وســع لــم أزل ... أصلي لـه مـا لاح فـي الجـو بـارق

وله في تركي:

قلبــي أســير فــي يــدي مقــلة ... تركيـــة ضـــاق لهـــا صـــدري

كأنهـــا مـــن ضـــيقها عـــروة ... لـــيس لهـــا زر ســـوى الســـحر



٣ ـ أحمد بن محمد التمسماني

* أحمد بن محمد التمسماني الريفي **:**له منظومة في صنع البومبات مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم 2476، تتحدث عن صنع القنابل الكروية، عدد أبياتها 147 بيتا، يقول مطلعها[١]:

حمـــــدا ألهمنـــــا سُـــــبحانهْ ذو الحَـــوْل والقـــوة والإعانـــهْ



٤ ـ ابن مسكويه

موجز السيرة

أحمد بن محمد،الملقب «مسكويه»، بن يعقوب، أبو علي الخازن، صاحب التجارب، مات فيما ذكره «يحيى بن منده»، في تاسع صفر، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة[٢]، قال أبو حيان في كتاب الإمتاع[٣]: وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه، ثم قال: وأما مسكويه، ففقير بين أغنياء، وغني بين فقراء ، لأنه شاذ، وإنما أعطيته في هذه الأيام، صفو الشرح «لإيساغوجي»، و«قاطيغورياس»، من تصنيف صديقنا بالري. يا عجباً لرجل صحب ابن العميد، وأبي الفضل، ورأى ما عنده، وهذا حظه، قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء، مع أبي «الطيب الكيميائي الرازي»، منهوك الهمة في طلبه، والحرص على إصابته، مفتوناً بكتب أبي زكريا، و«جابر ابن حيان»، ومع هذا، كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية، والعمر قصير، والساعات طائرة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق، والأواطر في عرضها تجتمع وتفترق، والنفوس عن فوائتها تذوب وتحترق، ولقد قطن العامري الري خمس سنين، ودرس وأملى، وصنف

---

(١) العلوم العقلية ، مصدر سابق ، ص ٥٧٦ .

(٢) معجم الأدباء ج٢ رقم ١٨٠ ص ٤٩٣ .

(٣) أبو حيان : كتاب الإمتاع ، ١ : ٣٥ ـ ٣٦ .

وروى، فما أخذ عنه مسكوية كلمة واحدة، ولا وعي مسألة، حتى كأنه كان بينه وبينه سد، ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم، ومضغى لقمة حنظل الندامة في نفسه، وسمع بأذنه، قوارع الملامة من أصدقائه، حينما ينفع ذلك كله، وبعد هذا، فهو ذكي، حسن الشعر، نقي اللفظ، وإن بقي فعساه أن يتوسط هذا الحديث، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء، وإنفاق زمانه، وكد بدنه وقلبه في خدمة السلطان، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط، والكسرة والخرقة، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان، وإيثار الشح بالفعل، وتمجيد الكرم بالقول، ومفارقته بالعمل.

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: «فإن ابن العميد اتخذه خازناً لكتبه،وأراد أيضاً أن يقدح ابنه به، ولم يكن من الصنائع المقصودة، والمهمات اللازمة وكان يحتمل ذلك لبعض العزازة بظله، والتظاهر بجاهه».

نسخة وصية أبو على المسكاوية[(١)]:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**»: هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد، وهو يومئذ آمن في سربه، معافى في جسمه عنده قوت يومه،لا تدعه إلى هذه المعاهدة، ضرورة نفس ولا بدن، ولا يريد بها مراءاة مخلوق، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم، عاهد على أن يجاهد نفسه، ويتفقد أمره، فيعف، ويشجع، ويحكم. وعلامة عفته: أن يقتصد في مآرب بدنه، حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه، أو يهتك مروءته. وعلامة شجاعته: أن يحارب دواعي نفسه الذميمة، حتى لا تقهره شهوة قبيحة، ولا غضب في غير موضعه.

وعلامة حكمته: أن يستبصر في اعتقاداته حتى لايفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلح أولاد نفسه ويهذبها، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمراتها، التي هي العدالة، وعلى أن يتمسك لهذه التذكرة، ويجتهد في القيام بها، والعمل بموجبها، وهى خمسة عشرة باباً: إيثار الحق على الباطل في الإعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير على الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم، لأجل الحرب الدائم، بين المرء ونفسه، والتمسك بالشريعة، ولزوم طائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها. وأول ذلك، ما بينه وبين الله جل وعز. وقلة الثقة بالناس بترك الإسترسال. ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك. والصمت في أوقات حركات النفس للكلام، حتى يستشار فيه العقل. وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة، ولا تفسد بالاسترسال. والإقدام على كل ما كان صواباً. والإشفاق على الزمان الذى هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره. وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي. وترك التواني. وترك الإكتراث لأقوال أهل الشر والحسد، لئلا يشتغل بمقاتلتهم. وترك الانفعال لهم. وحسن احتمال الغنى والفقر، والكرامة والهوان بجهة وجهة.

(١) الوافي بالوفيات : ٨ : ١١٠ ـ ١١١ .

وذكر المرض وقت الصحة، والهم وقت السرور، والرضا عند الغضب، ليقل الطغى والبغى. وقوة الأمل، وحسن الرجاء. والثقة بالله عز وجل، وصرف جميع البال إليه».

قال المؤلف: وكان مسكويه مجوسياً وأسلم، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة، وصنف كتب «تجارب الأمم في التاريخ»، إبتداؤه من بعد الطوفان، وانتهاؤه إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة. وله: كتاب «أنس الفريد»، وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً، وحكماً وأمثالاً،غير مبوب، وكتاب «ترتيب العادات»، وكتاب «المستوفي» أشعار مختارة، وكتاب «الجامع»، وكتاب «تجاوزان فرد»، وكتاب «السير» أجاده، ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر والآية، والحكمة، والشعر ،وكتاب «الفوز الأصغر».

شعره

قال أبو منصور الثعالبي[1]: كان في ذروة العليا من الفضل والأدب، والبلاغة والشعر، وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد، مختص به، وفيه يقول:

لا يعجبنك حسن القصر تنزله   فضيلة الشمس ليست في منازلها

لو زيدت الشمس في أبراجها مائة   ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

ثم تنقلت به أحوال جليلة، في خدمة بني بويه، والإختصاص ببهاء الدولة، وعظم شأنه، وارتفاع مقداره، فترفع عن خدمة الصاحب، ولم يرى نفسه دونه، ولم يخل من نوائب الدهر، حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء:

من عذيري من حادثات الزمان   وجفاء الإخوان والخلان

قال: وله قصيدة في عميد الملك، تفنن فيها، وهنأه باتفاق الأضحى، والمرجان في يوم، وشكا سوء أثر الهرم، وبلوغه إلى أرذل العمر:

قل للعميد: عميد الملك والأدب   أسعد بعيديك:عيد الفرس والعرب

هذا يشير بشرب الغمام ضحى   وذا يشير عشيا بابنة العنب

خلائق خيرت في كل صالحة   فلو دعاها لغير الخير لم تجب

(١) الثعالبي : تتمة اليتيمة ١. : ٩٦ .

أعدن شرخ شبـاب لسـت أذكـره بعداً ووردت على العمر من كثـب
فطاب لي هرمي والموت يلحظني لحظ المريب ولولا أنت لم يطب
فإن تمرس لي خصم تعصب لي وإن أساء إلى الدهر أحسن بي

ومنها:
وقد بلغت إلى أقصى مدى عمري وكل غربي واستأنست بالنوب
إذا تملأت من غيظ على زمني وجدتني نافخاً في جذوة اللهب

ومنها:
وإن تمنيت عيش الدهر أجمعه وإن تعاين ماولى من الحقب
فانظر إلى سير القوم الذين مضوا و الحظ كتابهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفاً وإن تقاربت الأحوال فى النسب
هذا: كتاج على رأس يعظمه وذاك كالبعر الجافي على الذنب



٥ ـ الحسن الهمداني

موجز السيرة

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني[١]، ويستدل من (المقالة العاشرة) من كتابه (سرائر الحكمة) أنه ولد بصنعاء يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠هـ الموافق ١٠ مايو ٨٩٣م. ولا نعرف شيئاً عن نشأته سوى أنه بدأ يُحادث النفس بالأسفار منذ بلغ السابعة من عمره وكان أبوه رحالة دخل الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر.ويبدو أن الهمداني شارك أهله في عملهم وهو نقل الحجيج والتجار إلى مكة من صعدة، ثم انتقل إلى صعدة واستقر بها، وهو آنذاك في الخامسة عشرة من عمره، وبعد زمن ارتحل إلى مكة طالباً للعلم، وهو في الخامسة والعشرين من عمره وجاورها أكثر من ست سنوات. وكانت فترة إقامته في مكة من أخصب سني التحصيل لديه، حيث تفتحت له آفاق المعرفة، واتسعت بسطته في العلم، فتصدر للتدريس وعلم شيئاً من علم الأخبار، وكتب صدراً من الحديث والفقه ورواه. وكانت مكة في ذلك العهد من مراكز العلم يفد إليها كثير من علماء البلدان الإسلامية لأداء فريضة الحج أو للمجاورة، فتسنى للهمداني أن يتلقى العلم عن بعضهم، ويظهر أنه اقتنى خلال هذه الفترة بعض الكتب كدواوين الشعر ومؤلفات ابن الكلبي في الأنساب وغيرها. وفي نحو (٣١١هـ/ ٩٢٣ م) رجع إلى اليمن ونزل صعدة مرة أخرى، وهي إذ ذاك كورة بلاد خولان، وقاعدة أئمة الزيدية، ومحطة مهمة على طريق التجارة الممتد من أقصى جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام، ونقطة تجمع الحج من مختلف الجهات اليمنية، وكان قد توافر لصعدة استقرار نسبي خلال فترات الهادي وابنيه المرتضى والناصر. وقد أدى ذلك إلى استقطاب كثير من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم، وكذلك التجار من داخل اليمن وخارجه، فقامت فيها حركة أدبية وفكرية وانتعشت فيها التجارة

---

(١) قطوف من سير العلماء : مرجع سابق ص ٧٣ : ٧٨ .

– الوافي بالوفيات : مرجع سابق ص

– معجم الأدباء : مصدر سابق ج٢ ص ٨٠٩ .

– القفطى : أخبار الحكماء ، تحقيق جوليوس ليبرن ، ليبسك ١٩٠٣ م . ص١١٣ .

– مجلة المجمع العلمي العربي : ٢٥ : ٦٢ . =

= – السيوطي: بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٩٤٦ ـ ١٩٦٥م ١ : ٤٩٨ ، ١: ٥٣١ .

– صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢، ص ٥٨ .

فكان أن أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها، كما أسهم فيها بنصيب وافر، لاسيما علوم الأخبار والأنساب والشعر. واشتهر الهمداني بالعلم بين أهلها، فعرض جاهه، ورفع قدره، واكتسب رضا رجال القبائل من خولان وما جاورها من همدان وحمير. وكانت صعدة من المراكز التي ورثت الخلاف السياسي والفكري. واتخذ ذلك الصراع في صعدة صوراً متعددة منها: عودة ذلك الخلاف القديم والخطير بين قبائل عرب الشمال وقبائل عرب الجنوب. وكان خلافاً معلوماً يدور حول مسألة الخلافة وأحقيتها، وقد تنازع فيه الناس بالسنان، وتجادلوا بالحجة واللسان، فأدى ذلك إلى بروز موروث تاريخي ملحمي عن حياة العرب قبل الإسلام، خاصة عن حياة عرب اليمن، فكان أن انعكس ذلك الصراع، وما نتج عنه على الحركة الأدبية والفكرية في صعدة. ولم يكن بوسع الهمداني أن يتجنب مثل ذلك الصراع إذ كان صميم الأمر، فهو شخصية أدبية مرموقة، وعالم شغوف باستقصاء أخبار وطنه، له صلات عديدة برجال خولان في صعدة وهمدان في أرضها، وقد جمع كثيراً من أخبارها ووقائعها ومفاخرها فخاض ذلك الصراع المحتدم الذي كان قائماً في صعدة منذ أن وطد الإمام الهادي مركزه فيها وانتقل الصراع من السياسة والفكر إلى الأدب فتبارى الشعراء في نظم الأشعار التي تذكي الحمية وتوقظ العصبية بنوع من المفاخرة الشعرية، كان الكميت بن زيد الأسدي قد بدأها قبل نحو قرنين في قصيدته الموسومة بالمُذهبة، حيث يحرص كل جانب على تبيان مناقبه ومثالب معارضه. ويبدو أن الأمر قد تفاقم بين الهمداني وغيره من الشعراء، فنظم قصيدته التي ينحو فيها منحى الكميت، وسماها (الدامغة) فاستغلها خصمه، فكان أن فتحت عليه أبواب الطعن، وسبل الاتهام وأثار عليه السلطان والناس كما قال الهمداني نفسه في المقالة العاشرة. وسجن الهمداني على إثر ذلك، وكانت نكبة عظيمة ومشهورة رغم أنها لم تَعْدُ عشرة أيام، سنة(٣١٥ هـ/٩٢٧ م). وقد عمل على فك الهمداني من سجن الإمام الناصر بصعدة بعض كبار رجال القبائل من خولان إلا أن الإمام الناصر توعد الهمداني إن عاد إلى مثلها، فخرج على إثر ذلك من صعدة إلى صنعاء مسقط رأسه طامعاً في أن ينعم بحمى أميرها بالجاه العريض، والقدر الرفيع. ومن الجائز أن اتصاله الوثيق بأبي نصر محمد بن عبد الله اليهري قد تم بصنعاء في هذه الفترة، وهو عالم ونسابة كما وصفه الهمداني بقوله: «شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكنون علمها وقارئ مسندها والمحيط بلغاتها».

ويستدل من بعض الإشارات على أن الهمداني لم يأبه إلى توعد الناصر فانطلق يكتب الأشعار ويجمع مفاخر قحطان، وألف (شرح الدامغة) في صنعاء، وظن أنه في حمى آل يعفر الحميريين، وأنهم لا ريب مانعوه. ولما بلغ الناصر أن الهمداني لم يكف وقيل: إنه تنقصه أيضاً في بعض أشعاره، كتب إلى أسعد بن أبي يعفر يعرفه بما بلغه من ثلب الهمداني له، وكان بين الناصر وأسعد مودة شديدة ووفاق عريض فورد كتاب أسعد إلى أبي الفتوح الخطاب ابن أخيه أمير صنعاء يأمره فيه أن يأمر بحبس الهمداني وتقييده فقيد وضُمِّن الحبس.

وقد اختلط الأمر على الرواة في أمر سجن الهمداني حيث مزجوا بين سجنه لمدة قصيرة في صعدة علي يد الناصر، وبين سجنه الطويل في صنعاء على يد آل يعفر، أي بين سجنه عام (٣١٥هـ/٩٢٧م) وسجنه عام(٣١٩ هـ/٩٣١م). وقد بادر إلى نجدته بعض رجال القبائل، فطالبوا به متوعدين فأذن بإطلاق سراحه في نحو ١٧ ذي القعدة من عام ٣٢١ هـ/٨ نوفمبر ٩٣٣ م)، فانتقل بعد ذلك إلى ريدة من بلاد قاع البون حيث قضى الهمداني بقية عمره.

وقد يكون أهم سبب دعاه للاستقرار فيها هو وجود سند عائلي وقبلي، فقد كان سكان ريدة من العلويين الذي نعتهم الهمداني برهطة. إلى جانب وقوعها على مقربة من كثير من مواقع الآثار اليمنية القديمة التي عُنِى الهمداني بزيارتها واستقراء مساندها. وهناك انصرف كلية إلى التأليف الغزير، فكتب (الإكليل) بأجزائه العشرة ليكون موسوعة الحضارة اليمنية القديمة، وقد أشار غير مرة إلى فترة اشتغاله بتأليفه نحو عام (٣٣٠هـ/٩٤١م).

ويستفاد من كتاب (صفة جزيرة العرب) أنه كتبه بعد كتاب (الإكليل)، أما مصنفاته الأخرى مثل (اليعسوب، والأيام، والقوى، والزيج) فتدل الإحالات إليها في كتبه أنها ألفت قبل عام (٣٣٠ هـ/ ٩٤١ م). ورغم أن بعض كتب الهمداني قد رويت عنه مختصرة أو منقحة، وبعضها ما زال مفقوداً إلا أنه من الثابت أنه كان غزير التأليف، وأن إقامته في ريدة كانت أغنى فترات الإنتاج عنده، بعد أن شغل قبل ذلك في مكة وصنعاء بالجمع والتحصيل. توفي الهمداني في ريدة، وبها قبره وبقية أهله، وقبره اليوم مجهول، وتاريخ وفاته غير ثابت وفيه خلاف، ويرجح أنه عاش إلى ما بعد (٣٣٦هـ/٩٤٧م). وكان أهله يقطنون في الأصل خراب المراشي من قضاء برط في الجزء الأعلى من مساقط جوف معين. يجمع سكانها بين عيشة التبدي والتحضر، وقد انتقل جده داود وابنه يوسف إلى الرحبة شمال صنعاء ثم سكن يوسف صنعاء، وسكن فيها أولاده من بعده.

ويوافق مولد الحسن الهمداني سنة خروج الإمام الهادي إلى الحق «يحيى بن الحسين» من الرس في أرض الحجاز إلى اليمن في خرجته الأولى بدعوة من بني فطيمة من خولان صعدة، وذلك إبَّان خلافة المعتضد العباسي الذي كان عامله على صنعاء «علي بن حسين» المعروف «بجفتم». ويذكر الحسن الهمداني في المقالة العاشرة المذكور، أنه منذ بلغ السابعة من عمره، بدأ يحادث النفس بالأسفار، وكان أبوه رحالة، كما كان لأجداده بصر بالإبل منذ أن كانوا في شرق اليمن.

ولما تركوا البداوة، واستقروا بصنعاء اشتغلوا بالجمالة، والبعض منهم عني بالصناعات كالتعدين. وقد كان لذلك أثره في صقل شخصيته. وفي الخامسة عشرة من عمره استقر مع أهله في صعده، وشارك أهله في الجمالة؛ ولما بلغ سن الخامسة والعشرين، ارتحل إلى مكة المكرمة طلباً للعلم، فقد كانت إذ ذاك من مراكز العلم، ويؤمها كثير من علماء البلدان الإسلامية لأداء فريضة الحج أو للمجاورة، فتسنى للحسن الهمداني أن يجاورها أكثر من ست سنوات، وأنْ يجلس إلى العلماء ويروي عنهم، وتفتحت له آفاق المعرفة، وانفتح له باب نفيس من المنطق فازداد منه، وانكشط عنه كثير من الجهل، واتسعت بسطته في العلم، فعلم شيئاً من علم الأخبار، وكتب صدراً من الحديث والفقه ورواه، ومال إلى مذهب الجماعة كما قال ذلك بنفسه في المقالة العاشرة، وتصدر للتدريس. وكانت له صلة بعلماء العراق، فقد صحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم، وممن عاشرهم من العلماء أبو بكر «محمد بن القاسم بن بشار الأنباري»، وهو أحد عيون العلماء باللغة وأشعار العرب، وأيامها، والذي كان يختلف بين صنعاء وبغداد. وكاتب الهمداني «أبا عمرو النحوي» صاحب ثعلب وأبا عبد الله «الحسين بن خالويه».وكان الهمداني يعتد بأقوال شيخه أبي نصر «محمد بن عبد الله البهري الحميري» في كل ما يورده من أخبار اليمن وأنساب أهله. وكان الهمداني يتلقى معارفه عن رواة وعلماء وأناس من أهل قطره، وعن من يتوسم فيه المعرفة من الأقطار الأخرى. وقد أكثر النقل عن «بطليموس»، بل لخص كتابه في مقدمة «صفة جزيرة العرب»، وتأثر كثيراً ببعض الآراء الواردة في تلك الكتب المترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية التي وصلت إلى صنعاء حين كان وزراء الدولة العباسية في صنعاء من البرامكة وغيرهم ممن كانت لهم صلة بالأبناء، وهم بقايا الفرس. ولدى عودته من مكة المكرمة في حوالي سنة ٣١١هـ اقتنى الكثير من الكتب، كدواوين الشعر ومؤلفات ابن الكلبي في الأنساب وغيرها... ونزل بمدينة صعدة مرة أخرى وكانت إذْ ذاك كورة بلاد خولان وقاعدة أئمة الزيدية، ومحطة هامة على طريق التجارة الممتدة من أقصى جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام، ونقطة تجمع الحج من مختلف الجهات اليمنية ..

وكان قد توفر لمدينة صعدة استقرار نسبي خلال فترات الهادي وابنية من بعده؛ المرتضى، والناصر. وأدى ذلك إلى استقطاب كثير من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم والتجار من داخل اليمن وخارجها، ونجم عن ذلك قيام حركة أدبية وفكرية، ونشاط تجاري... وقد أفاد الحسن الهمداني من فنون العلم، وأسهم من جانبه بنصيب وافر ولاسيما في علوم الأخبار، والأنساب والشعر، إذ لم تكن صعدة قبل ذلك من المدن التي رحل إليها أصحاب الحديث كصنعاء، وبالتالي لم تنتشر أخبارها، وقلَّ وقوف النسابة على أنسابها، وقبائلها وبطونها من خولان، فكان للهمداني باع طويل في هذا الحقل، مما زاد من مكانته العلمية بين أهل صعدة، واستحوذ على رضا القبائل من خولان وما جاورها من همدان وحمير، الأمر الذي أوغر صدور شانئيه، وجرِّه إلى حلبة الصراع السياسي الذي صُدِّر إلى صعدة انعكاساً لما ابتليت به حاضرتا دولتي الخلافة الأموية والعباسية، فما كان له من بد إلاَّ أن ينظم قصيدته الدامغة تحت وطأة الخطأ المتبادل، ودفع الثمن سجوناً ومطاردات لجزئية دُفع إليها دفعاً، وظلت تلاحقه مدى حياته وبعد مماته، ولم تشفع له علومه وغزارة معارفه بقدر ما زادت من أوار الحقد عليه، لكنه كان أقوى من كل التحديات واستطاع أن يتجاوزها حين آثر اعتزال مدينتي صعدة وصنعاء، وما سادهما آنذاك من أسباب الفتن القائمة على المذهب السياسي الذي كان كل واحد من دعاته يريد أن يفرضه على الناس ولو بشفار السيوف. ولازم مدينة ريدة التي قضى فيها بقية حياته وسط رهط من اللغويين، منصرفاً انصرافاً كلياً إلى التأليف الغزير، حيث كتب فيها كتاب الإكليل بأجزائه العشرة، والذي يعتبر موسوعة الحضارة اليمنية القديمة. وصنَّف من بعده كتابه صفة جزيرة العرب، وغيره من المؤلفات.

من هذه التوطئة يمكننا أن نوجز الحضور الإبداعي والموسوعي للحسن الهمداني في النقاط التالية:

كروية الأرض

كان الهمداني في طليعة القائلين بكروية الأرض، ذكر ذلك في كتابه صفة جزيرة العرب بقوله:«اعلم أنِّ الأرض ليست بمسطحة، ولا ببساط مستوى الوسط والأطراف، ولكنها مقببة، وذلك التقبب لا يبين مع السّعة، إنما يبين تقبيبها بقياساتها إلى أجزاء الفلك، فيقطع منها أفق كل قوم على خلاف ما يقطع عليه أفق الآخرين طولاً وعرضاً في جميع العمران،ولذلك يظهر على أهل الجنوب كواكب لا يراها أهل الشمال، ويظهر على أهل الشمال ما لا يراه أهل الجنوب، ويكون عند هؤلاء نجوم أبدية الظهور والمسير حول القطب، وهي عند أولئك تظهر وتغيب، وسأضع لك في ذلك مقياساً بيِّناً للعامة، من ذلك أن ارتفاع سهيل بصنعاء، وما سامتها إذا حلَّق زيادة على عشرين درجة، وارتفاعه بالحجاز قرب العشر، وهو بالعراق لا يُرى إلاَّ على خط الأفق، ولا يُرى بأرض الشمال

وهناك لا تغيب بنات نعش، وهي تغيب على المواضع التي يُرى فيها سهيل، فهذه شهادة العرض، وأمَّا شهادة الطول فتفاوت أوقات بدء الكسوفات،ووسطها وانجلائها على خط فيما بين المشرق والمغرب، فمن كان بلده أقرب إلى المشرق كانت ساعات هذه الأوقات من أول الليل والنهار أكثر. ومن كان بلده أقرب إلى المغرب كانت ساعات هذه الأوقات من آخر الليل، وآخر النهار منكوساً إلى أولها أكثر، فذلك دليل على تدوير موضع المساكن والأرض، وأنَّ دوائر الأفق متخالفة في جميع بقاع العامر، ولو كان سطح الأرض صفيحة، لكان منظر سهيل وبنات نعش واحداً».

الجاذبية الأرضية

جاء في كتاب « الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء » للهمداني في سياق حديثه عن الأرض، وما يرتبط بها من أركان ومياه وهواء، قوله: « فمن كان تحتها – تحت الأرض- فهو في الثبات في قامته كمن فوقها، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى، وكثبات قدمه عليها. فهي بمنزلة حجر المغناطيس الذي تجذب قواه الحديد إلى كل جانب، فأما ما كان فوقه، فإن قوته وقوة الأرض تجتمعان على جذبه، وما دار به، فالأرض أغلب عليه وما كان بينه وبين الأرض فإنه أغلب عليه إذا كان الحديد مثلاً يسُر أجزاء الحجر، والأرض أغلب عليه بالجذب، لأن القهر من هذه الحجارة لا يرفع العلاة ولا سفلة الحدَّاد». ويتضح من هذا النص اكتشاف الهمداني لحقيقة أنَّ الكرة الأرضية تجذب الأجسام في كل جهاتها، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركزة في الأرض، وتترك حول الأرض مجالاً فعالاً أشبه بذلك المجال الذي تتمتع به القطعة المغناطيسية. ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين في طيران ما على سطح الأرض من كائنات ومحيطات، وأشياء غير ملتصقة بها طبيعياً. لقد ربط الهمداني الخاصية بالأرض، ولم يقل بالنص أنَّ الأجسام تجذب بعضها البعض، وهو المفهوم الذي يشكل أساس قانون نيوتن، للجاذبية الأرضية. لقد كانت محاولة الهمداني في فيزياء آلية سقوط الأجسام إلى الأرض محاولة مبكرة نجحت في طرق التقنين الذي أنجزه لاحقاً .

سرعة الصوت والضوء

لقد كان الهمداني أول من فرق بين سرعتي الصوت والضوء، ويتضح ذلك من ملاحظته الدقيقة وتطبيقه العملي الذي وصف به الظاهرة على جبل تُخلي (جبل مسور حجه)، قال بعد ذكر ارتفاع الجبل، وتكاثف السحاب: « .. فإذا وقع فيه لامعة البرق، وتبعها صوت الرعد عجلاً على قدر بُعد العين من البرق، ومثال ذلك إذا كنت في بعض السهول، وكان منك على مدى البصر من يضرب بصادور (فاس كبير) في حجر، أو بفأس في شجر، فنظرت إلى وقفة الفأس، لم يتأد إليك صوتها إلاَّ عند وقوع الضربة الثانية، وصوت الضربة الثانية إلاَّ عند وقوع الضربة الثالثة».

غاز الأكسجين وظاهرة الإحتراق

لقد كان للهمداني فضل كبير في اكتشاف غاز الأكسجين الذي أطلق عليه إسم النسيم، وأنه ضروري للتنفس والإحتراق، وقدَّم لذلك ملاحظات وأجرى عددًا من التجارب، وعززها بالأدلة والشواهد العملية، بأسلوب علمي سبق ما توصل إليه «لافوازيه» بثمانية قرون. ففي الجزء الثامن من كتاب «الإكليل»، وفي باب القبوريات اعترض الهمداني على خبر مفاده أنَّ رجلين دخلا مغارة، وأمضيا فيها وقتاً طويلاً، وهما يحملان شمعة يستدلان بها على رؤية الطريق المتعرجة العميقة.. وأخذ يسرد تفاصيل الخبر في خمس صفحات، أنهاها باعتراض علمي قال فيه: « ... هذا الحديث فيه زيادة لا تمكن، لأنهم ذكروا المسلك في المغارة، ثم دخولهم منها إلى هوة، وأبيات، فقَّل بها النسيم، ويعجز بها التنفس، ويموت فيها السراج.. ومن طباع النَّفس، وطباع السراج أن يحيا ما اتصل بالنسيم، فإذا ما انقطع في مثل هذه المغارات العميقة، والخروق المستطيلة لا يثبت فيها روح ولا سراج».

ودعَّم اعتراضه السابق بسوق أمثلة تجريبية معاشة، فقال: « ... ومن ذلك خرق قلعة ضهر، وهو مستطيل جداً، ويقول الناس فيه مال عظيم، وقد دخله جماعة بالمصابيح والشمع، أحدهم «أبو محجن بن طريف» غلام آل يعفر، وكان أميراً يطلب ما فيه ضنين، فلما تغلغلوا حصرت السُرُج في موضع انقطاع النسيم ثم طفئت، وأخذ حاملها بالكظم فنكصوا».

هم يرون أنَّ الجنَّ أطفأت السرج وليس كذلك، ولعل هذا الخرق لا شيء فيه، وإذا بلغت السرج موضع انقطاع النسيم نشص التهاب النار اللاحقة للهواء،إذ هو مجانس لعنصرها. ويقدم الهمداني الدليل الثاني بقوله: « والدليل على ذلك أنك لو أخذت سراجاً، وملأته زيتاً صافياً أو سليطاً وصيَّرت فيه ذبالة جديدة، وألقيته على ظهر مستوى السطح، ثمَّ قلبت على السراج مكباً لا خلل فيه، وطينت على ما يتخلل من النسيم من بين خروقها، ووجه السطح لمات السراج مكباً إذا انقطع عنه النسيم». وقدم دليلاً ثالثاً من الشواهد اليومية في حياة الناس بقوله: « ومن ذلك أنَّ التنور تسجر للهريس، والفرني، والمشوي من الحملان والجواذب، ويكثر جمرها، فإذا ختم عليها طفئت النار، ورجع الجمر فحماً، ولم يبق النضج إلاَّ بالتهر (البخر)، فإذا فتحت لم تجد ناراً ، ولم تجد إلا حرارة التَّهر الواصلة من الجدار وأسفل التنور». وإلى أبعد من ظاهرة الاحتراق، تحدث الهمداني كذلك عن ظاهرة القابلية المرتبطة بها، وقد أورد نصاً في هذا الاتجاه في كتاب الجوهرتين العتيقتين جاء فيه: « وأما ما يقبل النار، فإنه متفاضل في القبول على قدر ما فيه من أجزاء النار، كالحراق يقبل القادحة التي لا يقبلها غيره

والكرة التي تقبل داخل الزند، ثم الكرسفة التي تقبل شعلة السراج عن بعد من محاذاته، والكبريت والنفط، ثم بعد ذلك الحلفاء، واليراع، والسخت من الحطب، ثم الجزل حتى يبلغ الدوح، وكذلك أشياء أخرى لا تقبل النار قبول الحطب، إذ ليس فيها من أجزاء النار ما فيه، ولكن قبول صدقه كالحجر الذي يصير نورة، والحجر الذي يصير حديداً، والحجر الذي يصير أسرباً ومرتكاً وفضة، والطين الذي يصير فخاراً، وآخر يصير حجراً مثل الآجر المحترق» ويقول كذلك: « ويقبل الماء النار عن حاجز، وتقبل النار الهواء وتقوى به لاتصالهما، ولا تبقى في موضع لا هواء فيه» ولقد كرس الهمداني لعلاقة قابلية ،ولقابلية المادة بالاحتراق إحدى عشرة لفظة في مقطع صغير، فضلاً عن إيراده لفظة التصيير الملتصقة بالقابلية خمس مرات. وهكذا تظهر لنا النصوص المذكورة آنفاً ظفر الهمداني بالاستقصاء والبرهان بشكل حاسم على علاقة الهواء بالاحتراق، وبالتنفس قبل ظهور أي نظرية مماثلة في أوروبا بنحو ثمانية قرون.

الأراضة والتعدين

والأراضة يقصد بها علوم الأرض المعنية بدارسة طبقاتها من حيث مراحلها التاريخية أو ترسبات موادها المختلفة، ودراسة المناجم، وأنواع المعادن والأحجار، والحركات الأرضية والتضاريس، وعلم البحار. ويبلغ عدد هذه الفروع نحواً من ٢٤ فرعاً، ويرى بعض الباحثين أنَّ ما صنعه العرب في العصر الوسيط يمكن اعتباره البداية العلمية لاثنين وعشرين فرعاً من علوم الأرض، وأما الجيولوجيا التصويرية والهندسية فهما من منجزات العصر الحديث. فبالعلم «جابر بن حيان» يبدأ تاريخ الكيمياء التجريبية، وتاريخ المعادن والتعدين، والأحجار الكريمة، وتتالى من بعده الرواد في حقل الأراضة، ومنهم الكندي والرازي والطرسوسي والجلدكي، والحسن الهمداني موضوع البحث، والذي صور ما تكتنز به أرض اليمن من المعادن الثمينة ببيت الشعر في قصيدته الدامغة.

وأنفس جوهر للأرض فينا   معادنه غنائم غانيمينا

وقال في شرح هذا البيت: إنَّ باليمن من المعادن ما افترق في غيرها فمن ذلك الذهب، والفضة، والحديد، والجزع، والبَقّرَانْ، والبلّور. وقد خص المعادن والتعدين بشيء من التفصيل في مؤلفه المتميز الجوهرتين العتيقتين . وجعله في ٥٧ باباً، ويُعد الأول من نوعه ككتاب مفصل، يصل إلينا من العصور الوسطى، وهو بمثابة كتاب علمي في المعادن والكيمياء ودليل عملي في صنعة سك النقود، ويعنى بصفة رئيسية بصناعة الذهب والفضة، ابتدءا من استخراجهما من مناجمهما، ومروراً بتنقيتهما وضبط عيارهما، والطلاء والتلحيم بهما، وانتهاء بسك النقود منهما. ومما يتميز به ويخالف به علماء عصره، جزمُه بأنَّ الذهب لا يأتي إلاَّ من معدنه.

ولا تأتي الفضة إلاَّ من معدنها، وليس من معدن آخر، ولا يستعمل الإكسير في سبيل تحويل المادة، وإنما تستخلص المعادن من خاماتها بالتنقية؟.

ويختلف كتابه عن مؤلفات الكيمياء الأخرى في أسلوبه، وذلك أن الأمر عنده يتعلق بعمليات فنية كيميائية يصفها في كتابه بدقة، خلافاً لما ينظر إليها عند الآخرين كطقس يمارس باستعمال لغة سرية بما فيها الأسماء التي ترمز لتلك المعادن. فالهمداني يبدو في كتابه هذا عالماً دقيق الملاحظة، استقى معلوماته من أهل الخبرة والمعرفة، وممن اعترف أتباعهم بتفوقهم، وبغزارة علمهم ودقة معارفهم. وتعتبر عائلة الهمداني مصدراً، فأبوه أمده بمعلومات قيمة عن تنظيف الفضة، وكان جده الأعلى مسئولا لدى الدولة، وعنه أخذ خبرة عن كيفية اختبار الذهب، كما استقى الهمداني معلوماته من أصحاب المهنة أنفسهم، وخاصة من دار السكة في صنعاء، ومن ضاربها في صعدة أبي إسماعيل «إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن»، وقد أمده بأخبار عن معادن الذهب الأفريقية وعن تاريخ دار السكة في صنعاء، وعلَّمه كيف يحسب عيار الذهب.. وكان الهمداني يرجع إلى الحرفيين، كلٌّ في صنعته، فقد أمده الصائغ «أحمد بن أبي رمادة» بمعلومات عن معدن الفضة في منجم الرضراض، وحدثه أبو الحسن الذي كان يشتغل بالتعدين عن معادن الماس، وآخرون أمدوه بمعلومات عن تكوين الذهب، ومنهم عمال التعدين أنفسهم ممن يتحدثون العربية بفصاحة، أو الفرس الذين كانوا يشتغلون بالفضة. وكان الهمداني موضوعياً في مصادره فهو يقارنها ببعضها، ويعرض الآراء المختلفة المتعلقة بأمر واحد.

ولقد خالف البيروني، وابن سينا في كونه ليس عدواً للكيمياء بمفهومها القديم، فهو لا يذمها، وإنما يسميها بتسميتها الصحيحة، إذ أنها تُعنى في الواقع بتقليد الطبيعة، وأنَّ الذهب والمعادن والأخرى تنظف بالمواد نفسها وتتأثر جميعها بالطبيعة.

ولم تقتصر إبداعات الهمداني على العلوم البحتة فحسب، بل شملت كذلك تناولاته لكثير من العلوم الاجتماعية، وما اتصل بها من علوم العرب من الشعر والنثر والبيان والأيام والأنساب والسير والأخبار، وتفرد بقراءة خط المسند، وعقد المقارنة بين قواعد الكتابة في المسند وبينها في العربية.

ورائده في هذه العلوم تحري الدقة، والتمحيص، وتقديم الدليل العلمي على رأيه في ما يرجح أو يثبت أو يدحض، نلاحظ ذلك في جميع كتبه، ومباحثه ومن ذلك ما أسس عليه كتاب الإكليل الذي توقف فيه عند قضايا كثيرة جغرافية، وعمرانية وتاريخية ولغوية وأدبية، وإخبارية وأنساب، ما جعله بحق دائرة معارف، وسفراً لا نظير له.. فهو لم يتخل عن تحري الدقة حتى في أكثر المباحث اختلافاً لمبحث الأنساب، حيث يورد أقوال النُّساب واختلافهم في أي نسب مما يتطرق إليه الاختلاف ثم يرجح إحداها، ويدعمها بالحجة والبرهان المقنع بكلمة موجزة بحيث لا يظهر أنَّ هناك تحيزاً أو ميلاً بدون دليل أو شبه دليل .

وهو يتمتع بالقدرة على الوصف الدقيق لما يكتب عنه، ومن ذلك على سبيل المثال قيامه بوصف قصر غُمدان على لسان ابن شرية: « كان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب. وعند كل منها تمثال لأسد من نحاس، فإذا هبت الريح من الأرياح زأر ذلك التمثال الذي هو قبالة ذلك الباب، فإنْ تناوحت الأرواح جميعاً، زأرت جميعاً.

ويتابع الهمداني وصف القصر من الداخل بدقة متناهية، تجعل القارئ يتصور القصر ماثلاً أمامه، وهو ما قد يُمكن رساماً ماهراً من إعادة رسم لوحة مجسمة لهذا القصر، وفقاً لهذا الوصف.

والخبر الذي يورده الهمداني، يخضعه للعقل والمنطق، فهو يقوم برواية الرواية كما سمعها، ويورد الخبر كما تتناقله ألسنة الناس، ثم يعطي حكمه على إمكانية صحتها، محكماً المنطق والعقل. ومثال ذلك ما يدعيه بعض الناس من أنَّ الجن والشياطين هي التي بنت قصر سلحين، فهو يدحض هذا الإدعاء، وينفي القول من أنَّ ذلك مكتوب في نقش مساند اليمن، مستنداً إلى معلوماته التاريخية، وإلى أسلوبه الإقناعي كقوله: « ولا يمكن أنْ تكون الجن كتبت هذا لعلتين؛ الأولى أنهم ذكروا أنهم بنوا سلحين في سبع وسبعين سنة، ولم يكن بين موت سليمان، وصدر ملكة سبأ عنه إلا سبع سنين بقول المكثر. وعند موته رفعت الجن أيديها من الخدمة، وقبضت رقابها من ملك السحرة، والثانية قول علقمة يذكر أنَّ الناس بنوها لا الجن:

أبعد سلحين لا عين ولا أثر   أم بعد بينون يبنى الناس أبياتا

ويقول الهمداني في الجزء الثامن من كتاب « الإكليل » وقد أكثر الناس في بناء الجن لقصور اليمن، فما ذلك إلاَّ من زيادات الناس في الأحاديث. وفي موضع آخر من نفس الكتاب يقول الهمداني كذلك: «والعرب ينسبون كل مستطرف من البناء إلى سليمان بن داود عليه السلام، كما ينسبون كل قديم إلى عاد».وحيث روى الهمداني عن ابن هشام الكلبي، عن الرائي قصة الرجل الذي عاش أكثر من ستمائة سنة، عقب على ذلك بقوله: هذا حديث فيه حيف. ورأينا من قبل كيف كان يحرر الحقائق العلمية من الغموض والإبهام والخزعبلات التي حاكتها الروايات والأخبار التي تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية، ويسوق لإبراز حقائق الأمور الحجج العلمية والتجريبية كما في موضوع إثبات حاجة النفس والسراج إلى النسيم. وكثيراً ما يستخدم الهمداني لفظة قيل ويقال، عندما يقف على موضوع غير بيِّن الملامح. ثم إنه يذهب إلى تعزيز معلوماته ورفدها بالشواهد من الكتاب والسنة والشعر والأمثال والرواة المعروفين.

العلوم الأدبية والاجتماعية

وعلى أساس من هذا الأسلوب العلمي تأتي إسهامات الهمداني، وآثاره وكتاباته في العلوم الأدبية والاجتماعية، ففي مجال الأدب: شهد القرن الرابع الهجري بداية حركة شعرية واسعة، والتي أخذت تغذيها تنافسات وصراعات سياسية ومذهبية وقيام الدويلات التي استقطبت في خصوماتها الشعراء، وأغدقت عليهم الأعطيات وعلى سائر الأدباء والكتَّاب الذين ذهبوا يمتدحون فضائل دول ويذمون أخر، ويدافعون عن حكام، ويهجون آخرين، وينتصرون لهذا المذهب أو ذاك، وكادت اليمن بتاريخها العريق، وشمائل أهلها وفضلهم على أمتهم، وعلى نصرة الإسلام، تنسى؛بل لقد تجرأ البعض عليها بالنكران والجحود، فما كان من الهمداني إلاَّ أن رشح نفسه لخوض معركة أدبية وفكرية وسياسية، دفاعاً عن اليمن ومجدها الحضاري، ونبل فضائلها وعظيم مكارمها، وقام بجهد خلاق في التاريخ لأنسابها وتبيان آثارها، ومآثر حضارتها وآدابها وسائر فنونها.

ولقد تسبب الذين اجترحوا السيئات في حق اليمن وأهلها بارتفاع حمى الغيرة لدى الهمداني، ما جعله يحيد في بعض التعبيرات عن أسلوبه العلمي المعهود، ولعله كان مضطراً تحت وطأة الظلم أن يعمد إلى الجهر المضاد بنفس ما جهر به المتطاولون على اليمن من سوء القول. فقد اشتهرت له قصيدة الدامغة والتي مطلعها:

ألا يا دار هلاًّ تنطقينا فإنا سائلون ومخبرونا

وهي تقترب من ستمائة بيت، ردَّ فيها على قصيدة «للكميت بن زيد الأسدي»، في المفاخرة والمفاضلة بين القبائل الشمالية والجنوبية، ثم ما لبث تحت وطأة خلافه مع الإمام الناصر أنْ قام بشرح الدامغة دفاعاً عن أحساب قومه، متحملاً في ذلك عنت العداوة والسجن، صائناً لسانه في كل الأحوال عن كل الأقذاع.

ولقد قدم الحسين بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) من حلب إلى اليمن، وأقام بمدينة ذمار يجمع ديوان شعر للحسن الهمداني، ويذكر السيوطي في البغية، أن هذا الديوان يقع في ستة مجلدات، ونجد نماذج كثيرة من شعره في كتاب الإكليل. كما أورد المحقق «محمد علي الأكوع» قصيدة مطوَّلة للهمداني في مقدمة الإكليل بعنوان «قصيدة الجار». من جهة أخرى لفت الهمداني الأنظار إلى الكاتب البليغ «بشر بن أبي كبار البلوي» (ت بعد ٢٠٢ هـ / ٨٠٧ م)

حيث أورد له إحدى عشرة رسالة من رسائله، ووصفه بأنه كان من أبلغ الناس، وكانت بلاغته تتهادى في البلاد، وكان له فيه مأخذ لم يسبقه إليه أحد، وبأن له قدرة عجيبة على استحضار ما يشاء من آيات القرآن، والسيرة النبوية متى يشاء، ودون إجهاد، وأنه كان صاحب أسلوب متفرد في الكتابة الفنية وليس هناك من يحاكيه في « حسن اختلاس القرآن ». فقد جعل النصَّ القرآني جزءاً أصيلاً من رسائله، وليس من يضاهيه من كتَّاب النثر العربي حتى أواخر القرن الرابع الهجري في نصاعة الأسلوب، بل إنه يمثل قمة رفيعة في النثر العربي، ونموذجاً عربياً سابقاً للجاحظ، كما يمثل أسلوبه عملاً متقدماً ملحوظاً في بناء الرسالة النثرية على «عبد الحميد الكاتب».

وتفرد الهمداني بأولوية التعريف بخط المسند، وقد خصص لحروف المسند باباً في الجزء العاشر من الإكليل، وعقد مقارنة بين قواعد الكتابة في المسند، وبينها في العربية في ما يخص حذف الألف إذا وقعت في وسط الحروف «الرحمن». ويفسر بعض الكلمات الحميرية الواردة في المساند فيقول إنَّ التسلبي التجمع، والمسلبي المجَّمع بلغة حمير، في شرحه لأحد النصوص.

وقد أورد أبياتاً من الشعر بالحميرية مثل:

إنـــي أنـــا القيـــل إلـــى شـــرح   حصـــــنت غمـــــدان بمنهمـــــات

وأورد أبياتاً بلغة عربية وبخط المسند:

شـــحرار قصـــر العـــلا المنيـــف   أســـــــه تبّـــــــع ينـــــــوف

يســـكنه القيـــل ذي معـــاهر   تخـــــر قدامـــــه الأنـــــوف

وقد قدم الهمداني خدمة جليلة لليمن ولأمته وللبشرية جمعاء بالتعريف بالمواطن التاريخية لقلم المسند الذي فكَّ رموزه، وذكر محافد اليمن وقصورها وأسدادها وهياكلها وآثارها، ووصفها وصفاً شيقاً وعلى حقيقتها الماثلة لذلك التاريخ المليء بأمجاد تلك الحضارة. وأبرز باعتزاز طبيعة نظام الحكم في اليمن، القائم على الاختيار والانتخاب الذي تؤيده الشورى المشار إليها في سورة النمل لقصة ملكة سبأ مع سليمان.

الجغرافية الوصفية

وبرع الهمداني في الجغرافيا الوصفية، وعُدَّ من فحول الجغرافيين الذين تضلعوا من هذا العلم، ونقبوا في غرائبه ونوادره، فقد كتب في هذا العلم عن رؤية ومعرفة في كتابه صفة جزيرة العرب، في ما يخص جزيرته، وكتب عن غيرها من خلال ما قرأ ونقل عن غيره، وسجَّل في كتابه هذا جغرافية وصفية للطبيعة والسكان، فذكر طبائع سكان جزيرة العرب، وذكر مساكن هذه الجزيرة، ومسالكها مياهها وجبالها ومراعيها وأوديتها، ونسبة كل موضع منها إلى سكانه، ومالكه على حد الاختصار، وعلى كم تُجزَّأ هذه الجزيرة من جزء بلدي، وفرق عملي، وصقع سلطاني، وجانب فلوي، وحيز بدوي. وحدد بخطوط الطول والعرض موقع جزيرة العرب، وذكر أطوال مدن العرب المشهورة وعروضها. وبعد؛ فلعل في ما تقدم عرضه – على ما فيه من إيْجاز – ما هو كاف لرسم صورة تقريبية لأبرز ملامح فكر هذا العالم الموسوعي وآثاره العلمية والأدبية.

شعره

إليكم جزء من القصيدة الدامغة للحسن الهمداني والتي بلغت ستمائة بيت شعر:

أَلا يَــــا دَارُ لَــــوْلاَ تَنْطِقِيْنَـــا ... فَإِنّـــا سَائِلُــونَ ومُخْبِرُونَـــا

بِمَـا قَـدْ غَالَنَـا مِـنْ بَعْـدِ هِنْـدٍ ... ومَــاذَا مِــنْ هَوَاهَــا قَــدْ لَقِيْنَــا

فَضِفْنَـــاكِ الـغَـــدَاةَ لتُنْبِئِيْنَـــا ... بِهَــا أَيْــنَ انْتَــوَتْ نَبَــأ يَقِيْنَــا؟

وعَنْكِ ، فَقَدْ نَـرَاكِ بَلِيْـتِ حَتَّـى ... لَكِـدْتِ، مِــنَ التَّغَيُّــرِ تُنْكَرِيْنَــا

أَمِنْ فَقْـدِ القَطِيْـنِ لَبِسْـتِ هَـذا ... فَـلا َفَقَــدَتْ مَرَابِعُــك القَطِيْنَــا

أَمِ الأَرْوَاحُ جَــرَّتْ فَضْــلَ ذَيْــلٍ ... عَلَـى الآيَـاتِ مِنْـكِ فَقَـدْ بَلِيْنَـا

عَلَيْهـا بِكُــلِّ غَمَامَــةٍ سَجَمَــتْ ... تُـــرَجِّعُ بَـــعْدَ إِرْزَامٍ حَنِيْنَـــا

مِنْـكِ آيَـكِ مِثْـلَ سَطْـرٍ فَأَبْقَـتْ ... عَلَــى مَـدْفُونِ رَقٍّ لَــنْ يَبِيْنَـا

فَخِلْــتُ دَوادِيَ الوِلْــدَانِ هَــاءً ... إِلَـى أَخْرَى ، وخِلْـتُ النّـؤْيَ نُوْنَـا

إلَى شَعْثِ الذَّوَائِبِ ذِي غِلالٍ ... يَبُثّ النّاظِرِيْنَ لَهُ شُجُونَا
وسُفْعٍ عَارِيَاتٍ حَوْلَ هَابٍ ... شَكَوْنَ القَرَّ إنْ لَمْ يَصْطَلِيْنَا
بِيْضًا وحُمْرًا تَرَى أقْفَاءهَا ... وأوْجُهَهَا لِمَا صُلِّيْن جُوْنَا
وبَدَّلَكِ الزَّمَانُ بِمِثْلِ هِنْدٍ ... لِطَوْلِ العَهْدِ أطْلاءً وعِيْنَا
جَوَابًا وإلاّ تَرْجِعنَّ لَنَا ... فَإنّا بالجَوَابِ لَعَارِفُونَا
بالحُمُولِ وقَدْ تَرَامَتْ كَأنّي ... أمْثَالِ النَّعَاجِ وقَدْ حُدِيْنَا
وقَدْ جَعَلُوا مُطَارِ لَهَا شِمَال ... أكَمَا جَعَلُوا لَهَا حَضَنًا يَمِيْنَا
لَقَدْ جَهِلُوا جَهَالَةَ غَيْرِ سُوْءٍ ... فَخُلْنَ ، وقَدْ زَهَاهَا الآلُ ، نَخْلاً
إذَا انْتُضِيْنَا يَهَبْنَ الخِنْدِفِيْن ... بِسِفْرٍ عَاشَ يَحْمِلُهُ سِنِيْنَا
زُبَالَةَ بَيْنَ قَوْمٍ فَأضْحَتْ مِنْ ... بِمَسْلَكِهَا دَوالِحَ أوْ سَفِيْنَا
وظَنَّ قَبِيْلَهَا أسْيَافَ قَوْمِي ... إلَى عُلْيَا خُزَيْمَةَ يَعْتَزُونَا
لَقَدْ جُعِلُوا طَعَامَ سُيُوفِ قَوْمِي ... فَمَا بِسِوَى أولَئِكَ يَغْتَذِيْنَا
كَمَا الجِرْذَانُ للسِّنّورِ طَعْمٌ ... ولَيْسَ بِهَائِبٍ مِنْهَا مِئِيْنَا
كَمَا جُعِلَتْ دِمَاؤُهُمُ شَرَابًا ... لَهُن بِكُلِّ أرْضٍ مَا ظَمِيْنَا
فَلَو يَنْطِقْنَ قُلْنَ : لَقَدْ شَبِعْنَا ... بِلَحْمِ الخِنْدِفِيْنَ كَمَا رَوِيْنَا
وأضْحَكْنَا السِّبَاعَ بِمُقْعَصِيْهَا ... وأبْكَيْنَا بِهَا مِنْهَا العُيُونَا
فَصَارَ البَأسُ بَيْنَهُمُ رَدِيْدًا ... لِعُدْمِهِمُ مِنَ الخَلْقِ القَرِيْنَا
كَأكْلِ النّارمِنْها النّفْسَ أنْ لَمْتَجِدْ ... حَطَبًا وبَعْضَ المُوقِدِيْنَا
إذَا لَمْ يَسْكُن الغَبْرَاءَ خَلْقٌ ... مِنَ الثّقَلَيْنِ عِلْمِيْ مَا بَقِيْنَا
سِوَانَا يَالَ قَحْطَانَ بْنِ هُوْدٍ ... لأنّا لِلْخَلائِقِ قَاهِرُونَا
ونَحْنُ طِلاَعُ عَامِرِهَا ، وإنّا ... عَلَيْهِ لِلثّرَاءِ المُضْعِفُونَا

وصِـــرْنَا تَضَــايَقَ فـــي سِـــوَاهُ — مِنَ العَافِـي الخَـرَابِ لَهَـا سُكُونَـا
فَأصْبَحَ مَنْ بِهَا مِنْ غَيْرِ قَوْمِـي — بِهَـا حَيْـثُ انْتَهَـوا مُتَخَفِرِيْنَـا
كَأنّـهُــمُ إِذَا نَـظَــرُوا إِلَيْنَـا — لِذِلّتِهِــمْ قَــرُوْدٌ خَاسِئُونَـا
نَذَمٌّ لَهُمْ بِسَوْطٍ حَيْثُ كَانُـوا — فَهُــمْ مَــادَامَ فِيْهِــمْ آمِنُونَـا
فَـإنْ عَـدِمُوْهُ أَوْ عَدِمُـو مَقَامًـا — لِوَاحِــدِنَا فَـهُــمْ مُتَخَطّفُونَـا
ولَــوْلاَ نَبْتَغِــي لَـهُــمُ بَقَــاءً — لَقَـدْ لاقَـوا بِبَطْشَتِنَـا المَنُونَـا
فَكَانُــوا أَوِ اسْـتَحْيَوا عَلَــى ذُلٍّ — كَأمْثَــالِ الــنِّعَالِ لِوَاطِئِينَـا
ولَكِـنَّ الفَتَــى ، أَبَـدًا ، تَــرَاهُ — بِمَــا هُــوَ مَالِـكٌ حَدِبًـا ضَنِيْنَـا
فَرُوِّيَ عَظْـمُ يَعْرُبَ فـي ثَـرَاهُ — مِــنَ الفَـرْغَيْنِ وَاكِفَــةَ هَتُوْنَـا
أَبِـي القَرْمَيــنِ كَهْــلاَنٍ أَبِيْنَــا — وحِمْيَـرَ عَمِّنَــا وأَخِــي أَبِيْنَـا
وكَــلَّ لَيْـثٍ كمـا نَجَـلَ المُلُـوْكَ — شَدِيْدِ البَـأسِ ، مَا سَكَـنَ العَرِيْنَـا
ولَكِـن قَـدْ تَـرَى مِنْــهُ إذَا مَـا — تَعَصَّى السَّيْـفَ ذَا الأَشْبَـالِ دُوْنَـا
وذَاكَ إذَا نُسِبْنَـا يَوْمَ فَخْـرٍ بِهِ — يَنَــالُ بِبِعْــضِهِ العُلْــيَا أَبُــونَا
صِرْنَــا لأَدْنَـــى مَـــا حبَانَـــا — مِــنَ المَجْـدِ الأَثِـيْلِ مُحَسَّدِيْنَـا
تَمَنَّـــى مَعْـــشَرٌ أَنْ يَبْلُغُـــوهُ — فأَضْحَــوا لِلسُّــهَا مُتَعَاطِيِيْــنَا
وأَهْلِ الأَرْضِ لَوْ طَـالُوا وطَالُـوا — فَلَيْــسُوا لِلْكَــوَاكِبِ لامِسِيْــنَا
فَلَمَّـا لَـمْ يَنَالُــوا مــا تَمَنّــوا — وصَــارُوا للتَّغَــيُّظِ كاظِمِيْنَــا
أَبَـانُوا الحِسْدَ والأَضْغَـان مِنْهُـمْ — فَـصَارُوا للجَهَالَــةِ سَاقِطِيْنَـا
وغَرَّهُـمُ نُبَـاحُ الكَلْـبِ مِنْهُـمْ — وظَنّـــونَا لِكَـــلْبٍ هَائِبِيْـــنَا
وإِنْ تَنْبَحْ كِـلابُ بَنِـيْ نِـزَارٍ — فَـإنّـــا للنّوَابِـــحِ مُجْحِـــرُونَا
ونُلْقِمُهَـا ،إذا أَشْحَـتْ ، شَجَاهَـا — لِيَعْدِمْــنَ الهَــرِيْرَ إذَا شَحِيْنَـا

ونَحْـن لِنَاطِحِيْهِـمْ رَغْــنُ طَــوْدٍ — بِـــهِ فَلّــتْ قَـــرُونُ النّاطِحِيْنَـــا

ولَـوْ عَلِمُـوا بِــأَنَّ الجَـوْرَ هُلّـكٌ — لَكَــانُوا فـــي القَضِيَّـــةِ عَادِلِيْنَـــا

ولَـيْسَ بِشَـاهِدِ الدَّعْـوَى عَلَيْهَــا — ولا فِيْهَـــا يَـــفَوزُ الخَاصِمُـونَـــا

ولَـوْ عَلِمُـوا الّـذِي لَهُـمُ ومَــاذَا — عَلَيْهِـــمْ مِنْـــهُ كَانُـــوا مُنْصِفِيْــنَا

ولَـوْ عَرَفُـوا الصَّـوَابَ بِمَـا أتَـوْهُ — لَمَـــا كَـــانُوا بِجَـهْــلٍ نَاطِقِيْنَـــا

وكَـانُوا لِلْجَـوَابِ بِمَـا أَذَاعُـوا — عَلَـــى أَخْوَالِهِـــمْ مُتَوَقِّعِيْـــنَا

فَكَمْ قَـومٍ شَـرَوا خَرَسًـا بِنُطْـق — لمُرْغِمِـــهِ الـــجَوَابَ مُحَاذِرِيْنَـــا

فَمَـا وَجَـدُوا رَعَاعًـا يَـوْمَ حَفْـلٍ — ولا عِـــنْدَ الهِجَـــاءِ مُفَحَّمِيْـــنَا

ولا وَجَـدُوا غَـداةَ الحَـرْبِ عُـزْلاً — لِـــحَدِّ سُـــيُوفِهِمْ مُتَهَيِّبِيْـــنَا

ولَكِـــنْ ، كُـــلَّ أَرْوَعَ يَعْـــرُبِيٍّ — يَهُـــزُّ بِكَفِّـــهِ عَضْبًـــا سَنِيْنَـــا

وأَدْنَـــى كَـــيْدِهِ فِيْهَـــا كَمِيْـــنَا — ودَامِغَـةٍ كَمِثْـلِ الفِهْـرِ تَهْـوِي

تَـرُدُّ الطَّـوْلَ للأَسَـدِيِّ عَرْضًـا — وتَقْلِـبُ مِنْـــهُ أَظْهُـرَهُ بُطُـونَـــا

فَيَـا أَبْنَـاءَ قَيْـذَرَ عُـوْا مَقَـالِي — أَيَحْسُـــنُ عِنْدَكَـمْ أَنْ تَشْـتُمُونَا؟

ونَحْنُ وُكُورُكُمْ فـي الشِّرْكِ قِدْمًـا — وفـــي الإسْـلامِ نَحْـنُ النّاصِـرُونا

ونَحْـــنُ لِعِلّيَـــةِ الآبَـــاءِ مِنْكُـــمْ — بِبَعْـــضِ الأُمَّهَـــاتِ مُشَارِكُونَـــا

كَمَـا شَـارَكْتُمُ فـــي حِـلِّ قَومِـــي — بِحُـــورِ العِيْـــنِ غَيْـرَ مُسَـــافِحِيْنَا

فَـلاَ قَرْبَـى رَعَيْـتُمْ مِـنْ وكَلّفْـتُمْ — ولا لِلْعُـــرْفِ أَنْـــتُمْ شَاكِـرُونَـــا

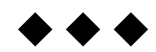
كُمَيْتَكُـــمُ هِجَـــاءً فَبَـــاحَ بِمَـــا — لِيَـــعْرُبَ بالقَصَائِـــدِ مُعْتَدِيْـــنَا

قَرِيْـــبٍ تَمَنّـــى إذْ تَـــوَارَى — طِـــرِ مَّـــاحٌ بِمُـــلْحَدِهِ دَفِيْـــنَا

وكَـانَ يَعِـزّ ـ وَهْـوَ أَخُـو حَيَـاةٍ — عَلَـــيْهِ الـــذَّمُّ لِلْمُتَقَحْطِنِيْـــنَا

ولَسْـتُمْ عَادِمِيْـنَ بِكُـلِّ عَصْـرٍ — لَـــنَا إنْ هِجْـــتُمُ مُتَخَمِّطِيْـــنَا

وسَوْفَ نُجِيْبُهُ ، بِسِوَى جَـوابٍ أجـابَ بِـهِ ابْـنُ زِرٍّ ، مُوْجِزِيْـنَا
وغَيْـرِ جَـوَابِ أَعْـوَرَ كَلْـبَ إنّـا مِـنَ المَجْـدِ المُؤَثَّـلِ مُوْسَعُونَـا
وقَـدْ قَصَـرَا ولَمَّـا يَبْلُغَـا مَـا أَرَادَا مِـنْ جَـوابِ الفَاضِلِيْـنَا
وكُثْـرَ حَشْـوُ مـا ذَكَـرُوا ولَمَّـا يُصِيْـبَا مَقْـتَلاً لِلآفِكِيْـنَا
وخَيْرُ القَـوْلِ أَصْدَقُـهُ كَمَـا إنْـنَ شَـرَّ القَـوْلِ كِـذْبُ الكَاذِبِيْـنَا
ونَحْـنُ مُحَكَّمُـوْنَ مَعًـا وأَنْتُـمْ بِمَـا قُلْنَـا وقُلْتُـمْ آخَرِيْـنَا



٦ ــ الطغرائي

موجز السيرة

الطغرائى أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي. وزير وعالم كيميائي وشاعر اشتهر في القرن الخامس الهجري / الثاني عشر الميلادي. ولد في مدينة جي من مقاطعة أصبهان من بلاد فارس، بينما يمتد نسبه إلى أصول عربية فهو من أحفاد أبي الأسود الدؤلي. ولقد لقب بالطغرائي نسبة إلى استخدامه الطغراء في كتابته .عاش الطغرائي في أصبهان أول حياته حيث تلقي العلوم الأولى في مدارسها، ثم انتقل إلى«إربل» في مقتبل شبابه حيث عمل أمينًا للسرّ. وكان طموحاً للغاية فدخل في بلاط السلاجقة وخدم السلطان «ملكشاه بن ألب أرسلان» وتولى مدة ملكه ديوان الطغراء، وكان آية في الكتابة والشعر فأصبح ينعت بالأستاذ. ثم تشوقت نفسه إلى الدولة الأيوبية فتنقل في المناصب،وتولى الإستيفاء وترشح للوزارة. وتولى الوزارة في عهد الملك مسعود بن محمد في ولاية الموصل،ولكن ما لبث أن فقدها بوفاة الملك محمود، إذ سعى السميرمي ـ وكان يتولى الوزارة في مملكة محمود بن مسعود في أصفهان ـ مع بعض أعوانه المقربين من الملك محمود أن يحرضوه على إعلان دولة السلاجقة للإقليم الغربي عام513 هـ / 1120 م. فأغاظ هذا الأمر الملك مسعود فسير جيشا تعوزه العدة وصحبه وزيره الطغرائي للقاء جيش الملك محمود بصحبة الوزير السميرمي، فدارت رحى الحرب بينهما في موقع على مقربة من همدان وانتهت المعركة بهزيمة نكراء لجيش الملك مسعود ووقع هو ووزيره الطغرائي في الأسر. فعفا الملك محمود عن أخيه مسعود بينما حكم على الطغرائي بالإعدام عام 515هـ / 1121 م .

عرف الطغرائي كشاعر بالدرجة الأولى وأديب وخطاط، وأن قصيدته التي نظمها في رثاء زوجته التي أحبها وأخلص لها الود وكانت قد توفيت بعد الزواج منه بمدة قصيرة، تعتبر من المراثي الجيدة وأدرجها في هذا الباب كثير من الأدباء المحدثين. كما نظم اللامية في ذم زمانه وتذمره مما كان يكابده وقد لاقت هذه القصيدة شهرة كبيرة وترجمت إلى عدة لغات .

كذلك كان الطغرائي من أشهر من عملوا في ديوان الإنشاء حتى إنه لم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصر العتبي . أما شهرة الطغرائي العلمية فتعود إلى براعته في الكيمياء التي تشير إلى أنه فك رموزها وكشف عن أسرارها. وقد بذل جهودا كثيرة في محاولة تحويل الفلزات الرخيصة من النحاس و الرصاص إلى ذهب و فضة وأفنى في سبيل ذلك جهداً ومالاً كبيرين. وقد كتب الطغرائي عن هذه الصنعة وأجاز تحقيقها ولكنه بالغ في حكمة من يتوصل إلى الطريقة الصحيحة، فهو يتطلب ممن يمارس الصنعة أن يجيد الحكمة فكراً وعملاً .

يقول الطغرائي في ذكر الصنعة(علم الكيمياء) ما نصه: «إن هذا العلم لما كان الغرض فيه الكتمان، وإلجاء الأذهان الصافية إلى الفكر الطويل، استعمل فيه جميع ما سمي عند حكمائهم مواضع مغلطة من استعمال الأسماء المشتركة والمترادفة والمشككة وأخذ فصل الشيء أو عرضه الخاص أو العام مكان الشيء، وحذف الأوساط المحتاج إلى ذكرها، وتبديل المعنى الواحد في الكلام الطويل، وإهمال شرائط التناقض في أكثر المواضيع حتى يحار الذهن في أقاويلهم المتناقضة الظواهر، وهي في الحقيقة غير متناقضة، لأن شرائط التناقض غير مستوفاة فيها، واستعمال القضايا مهملة غير محصورة وكثيرا ما تكون القضية الكلية المحصورة شخصية، فإذا جاء في كلامهم تصبغ أو تحل أو تعقد كل جسد فإنما هو جسد واحد وإذا قالوا إن لم يكن مركبنا من كل شيء لم يكن منه شيء فإنما هو شيء واحد».

وجاء في معجم الأدباء،عن سيرته: الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني المعروف بالطغرائي نسبته إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرة، كان آيةً في الكتابة والشعر، خبيراً بصناعة الكيمياء، له فيها تصانيف أضاع الناس بمزاولتها أموالاً لا تحصى، وخدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان، وكان منشد السلطان محمد مدة ملكه متولي ديوان الطغراء، وصاحب ديوان الإنشاء. تشرفت به الدولة السلجوقية، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية، وتنقل في المناصب والمراتب، وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصر العتبي. وله في العربية والعلوم قدر راسخ، وله البلاغة والمعجزة في النظم والنثر.

قال الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني: «كشف الأستاذ أبو إسماعيل بذكائه سر الكيمياء، وفك رموزها واستخرج كنوزها، وله فيها تصانيف كثيرة سنذكرها فيما بعد. ولد سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائةٍ، وقتل في الوقعة التي كانت بين السلطان مسعود بن محمودٍ وأخيه السلطان محمودٍ سنة خمس عشرة وخمسمائةٍ، وقد جاوز الستين، وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام، وأن يقف إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول. وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم، فوقفوا والسهام موجهة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

وقد أقول لمن يسدد سهمه	**نحوي وأطراف المنية شرع**
والموت في لحظات أحور طرفه	**دوني وقلبي دونه يتقطع**
بالله فتش عن فؤادي هل يرى	**فيه لغير هوى الأحبة موضع**
أهون به لو لم يكن في طيه	**عهد الحبيب وسره المستودع**

فرق له وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حينٍ فقتله.

مؤلفاته:

ولقد ترك الطغرائي عددا من الكتب تبين نبوغه في مجال الكيمياء من أهمها:

- الإرشاد للأولاد.
- كتاب جامع الأسرار .
- وكتاب تراكيب الأنوار.
- وكتاب حقائق الاستشهادات.
- وكتاب ذات الفوائد.
- وكتاب الرد على ابن سينا في إبطال الكيمياء.
- وكتاب مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة.
- كتاب سر الحكمة فى شرح كتاب الرحمة.
- الجوهر النضير فى صناعة الإكسير.
- رسالة مارية بنت سابة الملكى القبطي فى الكيمياء.
- رسالة بالفارسية فى صناعة الكيمياء وشرحها بالعربية.
- ديوان شعر.

شعره

لامية العجم للطغرائي:

أصالةَ الرأي صانتني عن الخطلِ ... وحليةَ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ

مجدي أخيرا ومجدي أولاً شَرع ... والشمسُ رَأدَ الضحى كالشمس في الطفلِ

فيم الإقامةَ بالزوراءِ لا سَكنِي ... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

ناءٍ عن الأهلِ صِفر الكف مُنفردٌ ... كالسيفِ عُرِّي مَتناه عن الخلل

فلا صديقَ إليه مشتكى حَزَني ... ولا أنيسَ إليه مُنتهى جذلي

طال اغترابي حتى حَنَّ راحلتي ... وَرَحْلُها وَقَرَا العَسَّالةَ الذُبُلِ

وضج من لغبٍ نضوى وعج لما ... ألقى ركابي ولج الركب في عَذلي

أريدُ بسطةَ كفٍ أستعين بها ... على قضاء حقوقٍ للعلى قِبَلي

والدهر يعكس آمالي ويُقنعني — من الغنيمة بعد الكدِّ بالقفلِ
وذي شِطاطٍ كصدر الرمحِ معتقل — بمثله غيرُ هيَّابٍ ولا وكلِ
حلو الفَكاهةِ مرُّ الجدِّ قد مزجت — بشدةِ البأسِ منه رقّةَ الغَزَلِ
طردتُ سرح الكرى عن ورد مقلته — والليل أغرى سوام النوم بالمقلِ
والركب ميل على الأكوار من طربٍ — صاح وآخر من خمر الكرى ثملِ
فقلت أدعوك للجلّى لتنصرني — وأنت تخذلني في الحادث الجللِ
تنامُ عيني وعين النجم ساهرةٌ — وتستحيل وصبغ الليل لم يحُلِ
فهل تعينُ على غيٍ همتُ به — والغي يزجر أحياناً عن الفشلِ
إني أريدُ طروقَ الحي من إضمٍ — وقد حماهُ رماةٌ من بني ثُعلِ
يحمون بالبيض والسمر اللَّدان به — سودُ الغدائرِ حمرُ الحلي والحللِ
فسر بنا في ذِمام الليل معتسِفاً — فنفحةَ الطيبِ تهدينا إلى الحللِ
فالحبُّ حيث العدا والأسدُ رابضةً — حول الكِناس لها غابٌ من الأسلِ
تؤم ناشئة بالجزم قد سُقيت — نِصالها بمياه الغُنْج والكَحَلِ
قد زاد طيبُ أحاديثِ الكرام بها — ما بالكرائم من جبن ومن بخلِ
تبيتُ نار الهوى منهن في كبد — حرَّى ونار القرى منهم على القُللِ
يَقْتُلْنَ أنضاءَ حُبِّ لا حِراك بهم — وينحرون كِرام الخيل والإبلِ
يُشفى لديغُ العوالي في بيُوتِهِمُ — بنَهلةٍ من غدير الخمر والعسلِ
لعل إلمامةَ بالجزع ثانيةَ — يدِبُّ منها نسيمُ البُرْءِ في عللي
لا أكرهُ الطعنة النجلاء قد شفِعت — برشقةٍ من نبال الأعين النّجلِ
ولا أهاب الصفاح البيض تُسعدني — باللمح من خلل الأستار والكللِ
حبُّ السلامةِ يثني هم صاحبهِ — عن المعالي ويغري المرء بالكسلِ

فإن جنحتَ إليه فاتخذ نفقاً فى الأرض أو سلماً في الجوِّ فاعتزلِ

ودع غمار العُلا للمقدمين على ركوبها واقتنعْ منهن بالبللِ

يرضى الذليلُ بخفض العيشِ مسكنهُ والعِزَّ عند رسيم الأينق الذُلُلِ

فادرأ بها في نحور البيد جافِلةً معارضات مثاني اللّجم بالجدلِ

إن العلا حدثتني وهي صادقة فيما تُحدثُ أن العز في النقلِ

أهبتُ بالحظِ لو ناديتُ مستمعاً والحظَ عني بالجهالِ في شُغلِ

لعله إن بدا فضلي ونَقْصهمُ لِعينه نام عنهم أو تنبه لي

وله نونية في علم الكيمياء مطلعها :

في الماء سرٌّ عظيم لا يحِسُّ به إلا الحكيم العليم الماهر الفَطِنُ

وله دالية مطلعها:

خذ العلمَ من قَربٍ ونكّب على البعدِ ففي القرب أشياءٌ تدلُّ على الرشْدِ

وله المقاطيع في الصنعة تشتمل على أكثر من ألف بيت، وله أبيات عن الطبائع الأربعة، وعن تحويل النحاس إلى فضة، وتحويل الفضة إلى ذهب، وغيرها.

يقول جلال شوقي: «بذلك يكون الطغرائي قد ضمَّن ديوانه التعليمي خلاصة دراساته في علم الصنعة».

ومن أقواله فى الكيمياء:

وقد رأينا نظمَ أسرارها في قطعٍ من بعدنا سائره

محجوبة بالرمز ، لكنها بالكشف في أثنائها سائره

ومن شعره مايدل على طلب الكيمياء:

وعرفت أسرارَ الخليقةِ كلها علماً أنار لى البهيمَ المُظلماَ

وورثت هرمس سر صنعته الذى مازال ظناً فى الغيوب مُرْجَماَ

وملكت مفتاح الكنوزِ بحكمةٍ كشفت لى السرَّا الخفىَّ المُبْهَماَ

قصيدة «الموت» فى رثاء زوجته:

قصيدته التي نظمها في رثاء زوجته التي أحبها وأخلص لها الود وكانت قد توفيت بعد الزواج منه بمدة قصيرة، تعتبر من المراثي الجيدة وأدرجها في هذا الباب كثير من الأدباء المحدثين.

ولم أنسَها والموتُ يقبض كفها	**ويبسطَها والعينُ ترنو وتطرقُ**
وقد دمعتْ أجفانُها وكأنّها	**جنى نرجسِفيه الندى يترقرقُ**
وحلّ من المحذور ما كنت أتّقي	**وحُمَّ من المقدور ما كنتُ أفرقُ**
وقيل فراقٌ لا تلاقيَ بعده	**ولا زاد إلاّ حسرةٌ وتحرّقُ**
و لو أن نفساً قبل محتوم يومها	**قضتْ حسراتٍ كانت النفس تزهق**
هلالٌ ثوى من قبلِ ان تمّ نورُه	**وغصن ذوى فينانه وهو مورقُ**
فواعجباً أنىّ أَتيح اجتماعنا ؟	**وياحسرتا من أين حُمّ التفرق**
ولم يبق فيما بيننا غير جُؤوة	**على العين تُحثى اوعلى القلب تطبق**
أحِنّ إليها إن تراخى مزارُها	**وأبكي عليه إن تدانى وأشهق**
وأبلس حتى ما أبيت كأنما	**تدور بي الأرض الفضاء وأصعق**
وألصقها طوراً بصدري وأشتفي	**أمسحها حيناً بكفي فتعبق**
وما زرتها إلاّ توهمتُ أنها	**بثوبي من وجدي بها تتعلق**
وأحسبها والحجب بيني وبينها	**تعي من وراء الترب قولي فتنطق**
وأُشعر قلبي اليأسَ عنها تصبراً	**فيرجع مرتاباً به لا يصدق**



٧ ـ الفضل بن المهذب

موجز السيرة

ـ الفضل بن المهذَّب لقبه «المهذب» كان طبيباً مشهوراً وعالماً مذكوراً، له العلم الوافر والأعمال الحسنة والمداواة الفاضلة وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل إلا أن الكحل كان أغلب عليه وكان كثير الأرزاق عظيم الاشتيام حتى أن الطلبة والمشتغلين عليه كانوا في أكثر أوقاته يقرؤون عليه وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة بالقاهرة وأسلم ولده أبو الفرج وكان طبيباً وكحالاً أيضاً وحدث أنه كان قد أتى إلى أبي الفضائل بن الناقد صاحب له من اليهود ضعيف الحال وطلب منه أن يرفده بشيء فأجلسه عند داره وقال له معاشي اليوم بختك ورزقك وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة وشرع يفتح واحدة واحدة منها، فمنها ما فيها الدينار والأكثر، ومنها ما فيها دراهم ناصرية ،وبعضها فيها دراهم سواد، فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجملة نحو ثلاثمائة درهم سود فأعطاها ذلك الرجل ثم قال والله جميع هذه الكواغد ما أعرف الذي أعطاني الذهب أو الدراهم أو الكثير منها أو القليل بل كل من أعطاني شيئاً أجعله في عدة الكحل وهذا يدل على رزق زائد وقبول كثير ولأبي الفضائل بن الناقد من الكتب مجرباته في الطب(١).

له أرجوزة في الكيمياء مخطوطة من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بمكتبة جامعة برنستون رقم ١٦٩٧ (٢).



(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : مصدر سابق ج٢ ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٢) العلوم العقلية في المنظومات العربية : مصدر سابق ، ص ٥٧٦ .

٨ ـ ذو النون المصري

موجز السيرة

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ، قبطي الأصل من أهل النوبة ، من قرية أخميم بصعيد مصر ، أخذ التصوف عن «شقران العابد» أو «إسرائيل المغربي» على حسب رواية «ابن خلكان» و«عبد الرحمن الجامي» . ويؤكد الشيعة في كتبهم ويوافقهم «ابن النديم» في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن «جابر بن حيان» ، ويذكر ابن خلكان[1] أنه كان من الملامتية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشريعة ، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

توفي في الجيزة بمصر سنة (٢٤٥هـ) عن تسعين عاماً. يعده كتَّاب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة ، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر ، وقال بالكشف وأن للشريعة ظاهراً وباطناً ويذكر «القشيري» في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي ، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع ،وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله.

وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية والباطنية وإخوان الصفا بسبب صلاته القوية بهم ، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة ، فظهرت له أقوال في علم الباطن ، والعلم اللدني ، والإتحاد ، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي ، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته مما مكنه من تعلم فنون التنجيم والسحر والطلاسم الذي اشتغل بهم.

ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية ، ومذهب الأفلاطونية الجديدة ، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات ، ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء متأثراً بالغنوصية.

هو أول من عبّر عن علوم المنازلات فأنكر عليه أهل مصر وقالوا: أحدثت علماً لم تتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ورموه عنده بالزندقة وأحضروه من مصر على البريد فلما دخل سر من رأى وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً.

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مصدر سابق . وكذلك الفهرست .

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «كان أهل مصر يسمونه بالزنديق فلما مات أظلت الطير الخضر جنازته ترفرف عليه إلى أن وصل إلى قبره»[1]. وقال أيضاً: «إن ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية فأنكر عليه عبد الله ابن عبد الحكم ـ وكان رئيس مصر ـ وأنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف ورماه بالزندقة فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرفض أمره وكتب به إلى المتوكل»[2].

وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: «إذا ذكر إليّ الورع فحي لي بذي النون»، وكان ذو النون رجلا نحيفا تعلوه حمرة[3].

*** من حكمه:**

ـ الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافرِ .

ـ إياك أن تكون بالمعرفة مدعياً أو تكون بالزهد محترفاً أو تكون بالعبادة متعلقاً .

ـ سئل ما أخفى الحجابِ و أشدُّه؟ قال : رؤية النفس و تدبيرها .

ـ سئل عن المحبة ؟ قال : أن تحبَّ ما أحبَّ الله وتبغض ما أبغضَ الله وتفعل الخير كله وترفض كل ما يشغلُ عن الله وألا تخافَ في الله لومة لائم مع العطفِ للمؤمنين والغِلظة على الكافرين واتباع رسول الله ﷺ في الدين.

ـ سئل ذو النون المصري عن الصوفي فقال : من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وإن سكت نطقت الجوارح بقطع العلائق .

ـ الأنس بالله من صفاء القلب مع الله والتفرد بالله الانقطاع عن كل شيء سوى الله

ـ من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فإنها تذوب وتصفو ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته .

ـ لم أرَ أجهل من طبيب يداوي سكرانَ في وقت سُكره لن يكون لسكره دواءٌ حتى يفيق – فيداوى بالتوبة.

ـ لم أرَ شيئاً أبعثَ لطلبِ الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى فإذا لم ير غيره لم يُحركه إلا حكمُ الله ومن أحبَّ الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركنٍ كبير من أركان الصدق .

(١) ابن نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ، القاهرة ١٩٣٨، ١/ ١٧١.

(٢) شذرات الذهب : مصدر سابق ج٢ ، ص ١٠٨.

(٣) سير أعلام النبلاء : مصدر سابق ١١/ ٥٣٢ .

* تاريخ الخلفاء : مصدر سابق .١/ ٣٥٠.

- من علامات المحبَ لله متابعةُ حبيبِ الله في أخلاقه و أفعاله و أمره و سُننه .

- إذا صح اليقينُ في القلبِ صح الخوفُ فيه.

- لئن مددت يدي إليك داعياً لطالما كفيتني ساهياً أأقطع منك رجاي بما عملت يداي ؟ حسبي من سؤالي علمك بحالي .

- كلُّ مدعٍ محجوبٌ بدعواه عن شهود الحق لأن الحقَّ شاهدٌ لأهل الحقِّ لأن الله هو الحقُّ وقوله الحقٌّ ولا يحتاج أن يدعي إذا كان الحقُّ شاهداً له فأما إذا كان غائباً فحينئذ يدعي وإنما تقع الدعوى للمحجوبين .

- الصدق سيف الله في أرضه ما وُضع على شيء إلا قطعهُ .

- من تزين بعمله كانت حسناته سيئات .

- بأول قدم تطلبهُ تدركهُ وتجدهُ .

- الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غمٌ واقع .

- لله عبادٌ تركوا الذنب استحياءً من كرمه بعد أن تركوه خوفاً من عقوبته ولو قال لك (اعمل ما شئت فلستُ آخذك بذنب) كان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياءً منه و تركاً لمعصيته إن كنتَ حراً كريماً عبداً شكوراً فكيف و قد حذرك .

- الخوف رقيب العمل و الرجاءُ شفيع المحنِ .

- اطلب الحاجة بلسان الفقرِ لا بلسان الحُكم .

- مفتاحُ العبادة الفكرةُ وعلامةُ الهوى متابعة الشهوات وعلامةُ التوكل – انقطاع المطامع.

- كان الرجلُ من أهلِ العلمِ يزداد بعلمه بغضاً للدنيا و تركاً لها واليومَ يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً و لها طلباً . وكان الرجل ينفق ماله على علمه واليوم يكسبُ الرجل بعلمه مالاً . وكان يُرى على صاحب العلم زيادةٌ في باطنه و ظاهره واليومَ يُرى على كثير من أهل العلم فسادُ الباطنِ والظاهر.

- كلَّ يوم أخشعُ لأنه كلَّ ساعة أقربُ.

- يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق فليلقى العلماءَ بالجهل والزهادَ بالرَّغبة وأهلَ المعرفةِ بالصمت.

- إن العارف لا يلزم حالةً واحدة إنما يلزمُ ربَّه في الحالات كلها.

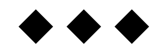
شعره:

ما يهمنا فيما أشارت إليه الموسوعة عن ذي النون المصري أنه عالم بعلوم الصنعة (الكيمياء) وله فيها مصنفات منها: كتاب «الركن الأكبر»، وكتاب «الثقة في الصنعة»، وكتاب «العجائب». ويعده «القفطي» من طبقة «جابر بن حيان» في انتحال صناعة الكيمياء، غير أنها لم تشر إلى أن ذا النون المصري شاعر، في حين أن «فؤاد سزكين» ذكر له قصيدة في «الصنعة الكريمة»، وقصيدة صنعوية أخرى جاء فيها :

من سعة العلم   أطلق بالحمد لساني

كما أشار إلى مخطوطة أخرى لهذه القصيدة بعنوان «أرجوزة في علم الصنعة»[1] وبينما تشير الموسوعة إلى أن تاريخ ميلاد ذي النون المصري ـ المولود بأخميم بصعيد مصر ـ هو عام ٧٧١م ووفاته ٨٥٩م، يذكر «فؤاد سزكين» أن ميلاده نحو ٧٩٦ م (١٨٠هـ) ووفاته نحو ٨٦١ م (٢٤٦ هـ) وهو ما يتفق مع تاريخ وفاته عند شوقي ٢٤٦ هـ = ٨٦١ م الذي استقاه من «كشف الظنون». ويشير شوقي إلى أن لذي النون (أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم بن أحمد الإخميمي المصري) قصيدة في «حجر الفلاسفة» أو قصيدة عن «حجر الحكماء» أو قصيدة «ذي النون المصري»، ولها شرح بعنوان «الدر المكنون في شرح قصيدة ذي النون» لابن «آيدمر الجلدكي» يقول فيه: «جعلها مصنفها بطريق الهزل، وفي بواطن ألفاظها ـ وإن قلَّت وصغرت ـ فوائد معان تضيق عنها الصدور ...»[2]. ويشير شوقي إلى أن لذي النون أرجوزة في الكيمياء مطلعها :

الحمد لله الجميل فعلَهُ   قد شمل الخلقَ جميعا فضلُهُ



(١) تاريخ التراث العربي. ص ٤٠١ .

(٢) العلوم العقلية. ص ٥٤٤ .

٩ ـ فخر الدولة أبو شاكر بن يعقوب النصراني.

فخر الدولة أبو شاكر بن يعقوب النصراني :

لـه قصيدة مخطوطـة بـدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٧٣١ طبيعة، بعنوان «الصحيفة في التجربة الصحيحة»، يقول في أحد أبياتها(١):

إن كنتَ تبغي الفوزَ بالإكسير   والعلم من صناعة التصوير



١٠ ـ جابر بن حيان



موجز السيرة

هو أبو عبد الله جابر بن حيان عبد الله الكوفي ولد في حران في العراق ينسبه بعض المؤرخين إلى الصوفية ، وينسبه الفلاسفة أنهم واحد من أعيانهم. وأهل صناعة الذهب والفضة وأن الرئاسة انتهت إليه،ويعتبره الشيعة أنه من كبارهم، وأنه كان صاحب جعفر الصادق ط وهكذا اختلف المؤرخون في نسبة الرجل العلمية والعقدية، لكنه واحداً من الأعيان الذين برعوا في علم الكيمياء واعتمد منهج النظر في الأشياء والتدقيق فيها حتى يصل إلى حقيقتها. فهو أول من بشر بالمنهج التجريبي، واعتبر أن التجربة من أهم مراحل العمل، العلمي ويقول : «من عرف التجربة عرف كل ما فيها ولا يمكن للعالم أن يصل إلى حقيقة الأشياء إلا إذا بنى علمه على تجربة توصلّ إلى الحقيقة»، أورد في كتابه «الخواص الكبير»:«ليس يمكن كل يوم العمل والتجربة لترى الرشد فيما نقوله لك»

---

(١) العلوم العقلية ، مصدر سابق ص٥٧٥ .

فميزان الأشياء خير أداة للتجربة ومعرفة الطبيعة وعلم الميزان عند جابر هو ما اعتبره علماء العصر الحديث بقانون الأوزان المتكاملة .. فليس لأحد أن يعمل ويجرب دون أن يعلم أصول الصنعة ، ومجالات العلم بصورة كاملة. وخطوات جابر بن حيان في مجال البحث العلمي تنطبق وما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمي اليوم.

إن جابر بن حيان بمنهجه الاستقرائي. اعتمدت عليه النهضة الأوروبية منذ القرن السادس عشر والسابع عشر فهو من أئمة المنهج العلمي بالإضافة إلى منزلته العالية في العلوم التي اكتسبها من تجاربه ومشاهداته.

جابر بن حيان، عالم كيميائي، توصل من خلال منهجه التجريبي والاستقرائي إلى حقائق كيميائية .استقرت عليها كل علوم الكيمياء. ونورد هنا بعضاً من بحوثه الكثيرة التي توصل إليها بالتجربة والربط بين الملاحظات العلمية في مختبره فقد توصل إلى أنه عند تعريض مختلف مركبات النحاس إلى اللهب تكسبه اللون الأزرق، وقد أثبتت صحة نظريته. النظرية الذرية الحديثة حيث أن الالكترونات التي تعود إلى عناصر ما تملك من خواص مستويات معينة من الطاقة يتميز بها العنصر وعندما يأخذ العنصر أو أحد مركباته طاقة فإن الإلكترونيات الخارجية ترتفع إلى مستويات أعلي من الطاقة، وأن هذه المستويات غير مستقرة، فعندما نضع مركبات عنصر ما في اللهب، يأخذ هذا العنصر طاقة على شكل حرارة منه وإن اللهب يتلون بلون معين خاص بالعنصر الموجود في اللهب، فأملاح النحاس مثلاً تلون اللهب باللون الأزرق، وهكذا كل عنصر له لون معين إذا تعرض للنار.

ومن البحوث التي توصل إليها جابر بن حيان، أن الشب يساعد على تثبيت الأصباغ على الأقمشة، فمن المعلوم في العلم الحديث أن الألمونيوم، له قابلية في الإلتصاق على الألياف التي تصنع منها أنسجة القماش، فالشب وهو من أملاح الألمونيوم يلتصق على الألياف من ناحية. ومن ناحية أخرى يكون مع الأصباغ أملاح معقدة، وبذلك يكون واسطة لربط جزيئات الألوان على القماش.

تقول الموسوعة عن جابر: أنه طبيب عربي، وأوَّل من اشتغل بالكيمياء القديمة، عاش بالكوفة وبغداد في آخر القرن الثامن وأوائل التاسع، ترجمت كتبه التي زاد عددها على الثمانين إلى اللاتينية، وتعتبر من أهم ما كتب في الكيمياء في ذلك العصر. تناولت كتاباته الفلزات وأكاسيدها وأملاحها وأحماض النتريك والكبريتيك والخليك، كما عالجت القلويات تحضيرا وتنقية بالبلورة والتقطير والترشيح، والتصعيد، وكان أثرها ملموسا في تنمية الكيمياء القديمة وإدخال عنصري التجربة والمعمل. وأوصى جابر بدقة البحث والاعتماد على التجربة، والصبر على إجرائها.

وكان من المعتقدين بنظرية تحويل المعادن إلى ذهب، وبأن الزئبق والكبريت هما العنصران الأوليان. ترجمت بعض كتبه من اللاتينية إلى الإنجليزية عام ١٦٧٨ وأعاد هولميارد تحريرها وكتب تقديمها عام ١٩٢٨. عني «بول كراوس» بنشر رسائله[١].

*** وفاته:**

- توفي في عام ٨١٥ م في الكوفة بالعراق وهو في الخامسة والتسعين من عمره .

شعره

وعلى الرغم من أن الموسوعة العربية الميسرة لم تتحدث عن جابر باعتباره شاعرًا، ولم تشر إلى ذلك إلا أن فؤاد سزكين يذكر أن لجابر قصائد صنعوية منها: «لامية في خواص أكسير الذهب» تتكون من ١٧ بيتا مع شرح، وله دالية، وأبيات أخرى في الكيمياء[٢] .

أما«جلال شوقي» فيشير إلى أن لأبي موسى «جابر بن حيان» الصوفي الكوفي المتوفي حوالي سنة ٢٠٠ هـ قصيدة دالية في وصف الحكمة مطلعها[٣] .

ألا أيها المهدي إلينا الأوائلا ... يُسَائِلُنَا عنها ابتداءً وعائدا

فلو كنتَ في فضل الفلاسفة هُرْمُسَا ... وفي علم بُقْرَاط الحكيمِ كما عدا

فصلِّ إلهي والملائكةَ العُلا ... على أحمد الهادي نبيا وقائدا

وعنه جزاه الله أفضل ما جزى ... نبيا وصدِّيقا شفيعا وشاهدا

فبلِّغْهُ يا ربِّ عنّا تحية ... يُنال بها الحور الحسان الخوالدا

كما أن له قصيدة عن خواص الإكسير الذهب تشتمل على ١٧ بيتا، ونظما في الحجر المكرم .



(١) الموسوعة العربية الميسرة (ط مصورة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) ، مج ١، ص ٥٩٠.

(٢) تاريخ التراث العربي. مصدر سابق ، مج ٤ ، ص ١٨٦.

(٣) العلوم العقلية. مصدر سابق ، ص ٥٤٢ .

١١ ـ خالد بن يزيد

موجز السيرة

هو خالدُ بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف وكنيته « أبا هاشم » . اهتم بعلم الصِّنعة (الكيمياء)، فجلب من مصر العلماء ليترجموا العلوم الكيميائية ، والطبية من اليونانية والقبطية إلى العربية . وكان حقا أول الرُّواد المسلمين فى مجال الكيمياء، فقد أعطاها جُلَّ عنايته واستخدمها استخداما تطبيقيا، إذ استثمرها فى صناعة بعض الأدوية خدمة للطب. كما أنه أحضر من الإسكندرية عددا من العلماء إلى دمشق ليتولوا الترجمة من جهة والقيام بتجارب عملية من جهة أخرى، لعلهم يحصلون بها على الذهب من النحاس . يقول الجاحظ في البيان والتبيين: «كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا وشاعرًا، كما كان فصيحا جامعا، جيد الرأي، كثير الأدب، وكان أوَّل من تُرْجمت له كتب النجوم والطب والكيمياء»[١].

أما «ابن النديم» فقد رأى أن شعر خالد نحو خمسمائة ورقة. يقول صاحب الفهرست: (قال ابن إسحاق: الذي عُني بإخراج كتب القدماء في الصنعة، خالد بن يزيد بن معاوية) وكان خطيباً، شاعراً، فصيحا، حازما، ذا رأي، وهو أوَّل من تُرجِمَ له كتب الطب والنجوم والكيمياء، وكان جواداً.

يقال أنه قيل له: لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد: ما أطلب بذلك إلا أن أُغني أصحابي وأخواني، إني طمعتُ في الخلافة فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة، فلا أُحوج أحدًا عرفني يوما أو عرفته، إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة. ويقال والله أعلم أنه صحَّ له عمل الصناعة .. وله في ذلك عدة كتب ورسائل، وله شعر كثير في هذا المعنى، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة، ورأيت من كتبه كتاب الحرارات، كتاب الصحيفة الكبير، كتاب الصحيفة الصغير، كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة[٢].

---

(١) البيان والتبيين. الجاحظ. ج١، ص ٣٢٨.

(٢) الفهرست. ابن النديم. تحقيق: رضا تجدد، ص ٤١٩.

ويورد البلاذري في أنسابه بيتين من شعر خالد يقول فيهما:

سَرَحْتُ شفاهتي وأرحتُ حلمي وفيَّ على تحلّمي اعتراضُ

على أني أجيبُ إذا دعتني إلى حاجاتِها الحدقُ المراضُ[1]

أما المؤرخ «المسعودي» فيتحدث في (مروج الذهب) عن اشتغال خالد بالكيمياء، ويذكر ثلاثة أبيات من قصيدة في الكيمياء[2]. ويذكر د. «فؤاد سيزكين» في «تاريخ التراث العربي» أن آثار خالد الشعرية: ديوان النجوم، فردوس الحكمة، والقصائد في الكيمياء، وقصيدة كيميائية، ومنظومة في الكيمياء، وخمس قصائد، والقصيدة الكيمائية[3].أما الموسوعة العربية الميسرة فتتحدث عن خالد قائلة: «خالد بن يزيد بن معاوية الأموي (ت ٧٠٤ م) حكيم قريش وعالمها. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها، وألَّفَ فيها رسائل، بويع بالخلافة بعد موت أبيه، فأقام ثلاثة أشهر ثم تخلَّى عن الخلافة لينصرف إلى العلم. يقال إنه أوَّل من نقل إلى العربية من لغة أخرى، إذ أمر بإحضار فلاسفة يونانيين ينزلون مصر وقد تفصَّحوا بالعربية، ثم كلفهم نقل الكتب من اليونانية والقبطية إلى العربية، فترجموا كتبًا في الطب والنجوم والكيمياء، له شعر»[4]. ويقول د. جلال شوقي عنه: «إنه أوَّل من أنشأ ما نعرفه اليوم بالنظم التعليمي، حيث سجل معارفه في علم الصنعة في قوالب شعرية»[5] ويضيف أن ديوانه يشتمل على ٢٩٠٣ أبيات، وتبدأ القصيدة الأولى من الديوان بالأبيات التالية:

يا طالبا بوريطس الحكماء يا منطقا حقا بغير خفاء

وقد درس خالد الكيمياء على يد عالم مسيحي من أهل الإسكندرية يُدعى «مارينوس» Marinos ، حيث كان من حواريي الكيميائى السكندرى المعروف «أسطيفانوس» Staphenos حيث كشف له «مارينوس» عن بعض أسرار هذا العلم، وخصوصا مايتعلق منها بتحويل النحاس إلى ذهب!.وكان خالد من الحكمة والفطنة والذكاء والفصاحة والجرأة وضبط النفس، مما قيل عنه حكيم آل مروان، وأن بنى أميّة عجزت عن أن تنجب مثله.

---

(١) أنساب الأشراف. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.، ج٤، قسم ٢ ، ص ٦٩.

(٢) مروج الذهب. المسعودي. ج ٨ ، ص ١٧٦.

(٣) تاريخ التراث العربي. د. فؤاد سزكين. ت: عبد الرحمن بن عبد الله حجازي، الرياض : جامعة الملك سعود، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، مج ٤ .

(٤) الموسوعة العربية الميسرة. ج١ ، ص ٧٤٩.

(٥) العلوم العقلية في المنظومات العربية ـ دراسة وثائقية ونصوص. د. جلال شوقي. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر (سلسلة التراث العلمي العربي) ١٩٩٠م ، ص ٥٢٩.

ومن دلائل حكمته أنه أراد أن يبعد فتنة كادت أن تنشب بين المسلمين فتنازل عن الخلافة لعبد الملك بن مروان لا بسبب ضعف منه، وإنما تبرماً بها وعزوفاً عنها، إضافة إلى حقن دماء المسلمين. لقد نسب إلى خالد بن يزيد أنه تحدث عن مسألة تحلية ماء البحر أمام الخليفة عبد الملك بن مروان إذ ذكر الماء أمامه فقال خالد منه من ماء السماء ومنه ماستقيه الغيم من البحر فى عذبه البرق والرعد ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات وأما النبات فما كان من ماء السماء وقال إن شئت أعذبت ماء البحر .... فأمر بقلال من ماء ووصف كيف يصنع حتى يعذب. ويمثل خالد بن يزيد ظاهرة مبكرة لمحاولة وضع القاعدة للحركة العلمية العربية ليس فقط فى مجال العلوم القديمة كما يعتقد البعض بل فى العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، وفى اللغة والأدب والتاريخ ، واشتهر خالد بنشر الشعر التعليمى وخاصة فى الكيمياء. وذكر ابن النديم أنه رأى نحو خمسمائة ورقة. وقد وصف «فاضل أحمد الطائي» مخطوطا محفوظا فى مكتبة المتحف العراقي وعنوانه « ديوان خالد بن يزيد بن معاوية فى الصنعة» فقال أنه يقع فى ١١٦ ورقة أى فى ٢٣٢ صفحة تحتوى الواحدة منها على اثنى عشر بيتا . ويبدوا أن هذا الديوان قد عرف أيضا بعناوين أخرى مثل فردوس الحكمة فى الكيمياء ويقول عنه حاجى خليفة أنه منظومة فى قوافى مختلفة وعدد أبياتها ألفان وثلاثمائة وخمسة عشر بيتا. ويروى «الطائى» إن مستلزمات وزن الشعر والقافية أدت إلى بعض الغموض فى الديوان وأن مجمل مايذكره خالد فى مجال الكيمياء يقتصر على أسماء الفلزات واللافلزات والمركبات التى عرفتها الطبيعة وبعض العمليات الكيميائية مثل الصهر . إن أى محاولة لتحديد بدأ خالد الإهتمام بدراسة الكيمياء وجمع مؤلفاتها وترجمتها تصطدم بصعوبة بالغة نظرا لتباعد الروايات والآراء عن بعضها. فإذا أخذنا برأى «لامانس» فى كون قد تعلم الصنعة على يد «مارينوس» فى حياة أبيه، وهذا الرأي يتعارض مع رواية منقولة عن غالب مولى خالد ومفادها أنه إهتم بالصنعة قبل أن يلتقى مريانوس فى حياة أبيه. وإنّ السبب فى جعلنا أن خالد من علماء علم الفلك بجانب علم الكيمياء هو اهتمامه بالنجوم كما يظهر فى مقدمة مؤلفاته.

*** مؤلفاته: هذه القائمة أعدها فؤاد سزكين[1]:**

١ ـ ديوان النجوم وفردوس الحكمة، وتوجد مخطوطاته فى إسطنبول وطهران.

٢ ـ رسالة فى الكيمياء، وتوجد مخطوطة منها فى القاهرة.

٣ ـ رسالة فى الصناعة الشريفة وخواصها ، وتوجد فى رامبورا فى الهند.

٤ ـ القصيدة فى الكيمياء.

٥ ـ المنظومة فى الكيمياء.

٦ ـ وصية خالد إلى ابنه.

٧ ـ القول المفيد فى الصنعة الإلهية، توجد مخطوطة منها فى مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ,٢٦١٨٩

٨ ـ كتاب الأسقطس ، توجد مخطوطة منه فى مجموعة مخطوطات برجشزاسر.

٩ ـ خمس قصائد ، توجد مخطوطة فى طهران.

١٠ ـ القصيدة الكيميائية.

١١ ـ مسائل خالد إلى الراهب مريانوس.

١٢ ـ رسائل مختلفة.

*** قائمة أخرى ذكرها ابن النديم :**

١ ـ كتاب الحرارات.

٢ ـ كتاب الصحيفة الكبير.

٣ ـ كتاب الصحيفة الصغير.

٤ ـ كتاب إلى وصيته إلى ابنه فى الصنعة.

وقبل أن ننتقل إلى شعر خالد بن يزيد ، ربما يكون من الأنسب إيراد قول منسوب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ط نختم به هذه الدراسة المتواضعة عن خالد بن يزيد الذى يأتى ولاشك فى مقدمة ألئك الذين وضعوا القواعد لانطلاقة الحركة العلمية العربية ، فقد قال عنه: « ماولدت أمية مثل خالد بن يزيد ماستثنى عثمان ولاغيره»

(١) قطوف من سير العلماء : مصدر سابق ج٣، ص ٤٠

– تاريخ العلوم الأساسية فى الحضارة العربية والإسلامية: الهيئة القومية للبحث العلمى . طرابلس ـ ليبيا ط١ سنة ١٩٩٦م ص ٦٩١:٦٩٤.

– العلوم العقلية فى المنظومات العربية : مصدر سابق ص ٥٢٣:٥٣٢.



رسالة في الكيمياء لخالد بن يزيد بن أبي سفيان

يوجد بعض شعر خالد فى الكيمياء مخطوطا ومحفوظا فى مكتبة اسطنبول.ونورد فيما يلي صورة من هذه المخطوطات ، يقول فيها خالد: أعمد إلى تصنيف ديوان أفهم به جماعة من طلبة هذا العلم ونحن نبتدى بعون الله ونبيّنه ونكتب أشعاره لأنه لم يسبقه سابق ولا يتقدمه متقدم إلا كان مقصرا عنه.

ابتداءً ديوان خالد على قافية أبجد قافية الألف[1] .

يا طالباً بوريطس الحكماء ... يا منطقًا حقًّا بغير خفاء

هو زيبق الشرق الذى هتفوا به ... فى كتبهم من جملة الأشياء

سموه زهرا ً فى خفاء رموزهم ... والجن شغلاً أغمض الأسماء

ودعوه بأن النار كيما يصدقوا ... عن صبغة بخلاً عن البعداء

فإذا أردت مثاله فاعمد إلى ... جسم النحاس وناره الصفراء

فامزجهما مزج امرئ ذى حكمةٍ ... واحكم مزاوجة الهواء بالماء

واسحق مركبك الذى أزوجته ... حتى تراه كزبدة بيضاء

سحقاً يفتته وينهك جسمه ... من بدء من صبح إلى الإمساء

(١) قطوف من سير العلماء : مصدر سابق ص ٤٣.

- تاريخ العلوم الأساسية : مصدر سابق ص ٦٩٤.

واجمعه وادفنه ودعه بمرقدٍ حتى الصباح وغطه بغطاء
هذا خمار زوابق المغنيسيا في جسمها بالغمر للأشياء
هذا المهاد لصنعةٍ معروفةٍ هذى لعمرك بيضة الحكماء
هذا الذى أعمى على كل الورى نغوص الحُسَّاد بالأعماء
فاسكنه مبتهجاً به فى قرعةٍ شُدّت بشدً مُحْكَمِ الأجزاء
وانصبه فى القميم نصبة حاذقٍ فى محضن سجنً له بوفاء
عقله فيه فهو عمدُ كلما ترجو صيانته من الإهذاء
واجعل فديتك ناره موزونة فى حرها لتلهب الأحشاء
هذا أبارُ نحاسهم فافطنْ له هذا مُذلُّ ذوي اللحى النجباء

كذلك نرى الشعر التعليمى موجوداً فى العصر الأموى فلخالد بن يزيد بن معاوية المشهور باهتمامه بالكيمياء منظومات في هذا العلم ، ذكر في إحداها طريقة تحويل المعدن إلى ذهب أو فضة ، يقول فيها :

خذ الطّلق مع الأشْقِ وما يوجد في الطرْقِ
وشيئا يُشبه البرقا فدبِّره بلا حرْقِ
فإن أحببت مولاكا فقد سُوِّدْتَ في الخلْقِ

وعن الإكسير يقول[1]:

هذا هو الإكسير فاعرفْ قدره هذا حياة جماعة الأحياءِ
من ناله أضحى عظيما في الوَرَى وعلا على النظراءِ والخلطاءِ
هذا مزيل الفقر عن أحزانه فيُرى بحُسْنِ الحال كالأمراءِ
يا ربِّ علمه امرءًا متورعا في الدين ذا كرم وذا إعطاءِ

(١) العلوم العقلية : مصدر سابق، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .

واحرمــه كــلَّ منـــافق متجبــرٍ	يسطو علـى الأصحاب والقرنـاءِ
أو حاســد أو ظـــالم أو مـــارقٍ	أو خَلَـفِ سـوء مقـرَّبٍ بـــبلاءِ[1]
مـن نالــه يسـمو ويعلـو قـدرُه	بـين الأنــام وكـــان ذا إثـــراءِ
هـذا الـذي أردى الأنـام بجهلهـم	حتـــى أصــارهم إلـــى الإكـــداء
حُـرِّجَ علـيَّ منـال مـا قـد قلتـه	إن ننطـوي فيــه علــى الإفشـاءِ
يـــا أيــــها الطـالـــبُ للكيميــا	لا تطلـــب العلـــمَ بغيـــر المَيَـــا
مـــن عقـــد المـــاءَ الـــذي حلّـــه	فـــاز بمـــا كـــان لــــه راجيـــا
يعرفهـــا الأبــــرار والأصــــفيا	مــــن فــــاته المـــاءُ وتـــدبيره

ويشير جلال شوقي إلى أن القصائد مرتبة في ديوان خالد بن يزيد بحسب قوافيها على حروف المعجم.

وقال في رملة بنت الزبير بن العوام:

ألـيس يزيـد السير فـي كـل لـيلة	وفي كل يومٍ من أحبتنا قربـا
أحن إلـى بنـت الزبير وقد عـدت	بنـا العيس خرقاً من تهامـة أو نقبـا
إذا نزلـت أرضـاً نحبـب أهلـهـا	إلينـا وإن كانـت منازلهـا حـربـا
وإن نزلـت مـاء وإن كـان قبلـهـا	مليحـاً وجدنا مـاءه بـارداً عـذبـا
تجـول خلاخيـل النســاء ولا أرى	لرملـــة خلخـــالاً يجـول ولا قلبـــا
أقلوا علـي اللـوم فيهـا فـإننـي	تخيرتهـا مـنـهم زبيريـــة قلبـا
أحـب بنـي العـوام طـرا لحبـهـا	ومن حبها أحببت أ خوالهـا كلبـا



(١) يوجد كسر في وزن هذا الشطر، ويشير المؤلف إلى أن نسخة المخطوط (سواء) بدلا من (سوء) وفي كلتا الحالتين، فالكسر قائم .

١٢ ـ الكحّال

موجز السيرة

سليمان بن موسى ، برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالشريف الكحّال، المصري[١]، كان أديباً فاضلاً بارعاً في العربية وفنون الأدب، عارفاً بصناعة الكحل، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وتقدم عنده وحظي لديه ونال عنده منزلةً عاليةً وقبولاً تاماً. وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وبين شرف الدين محمد بن نصر المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة، فأهدى الشريف الكحّال إلى ابن عنين خروفاً وكان مهزولاً، فكتب إليه ابن عنين يداعبه[٢].

شعره

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله ... فغير عجيب أن يكون لك الفضل

آتتني أياديك التي لا أعدها ... لكثرتها لا كفر نعمى ولا جهل

ولكنني أنبيك عنها بطرفةٍ ... تروقك ما وافى لها قبلها مثل

أتاني خروف ما شككت بأنه ... حليف هوىً قد شفه الهجر والعذل

إذا قام في شمس الظهيرة خلته ... خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظل

فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى ... مسلمةً ما حص أوراقها الفتل

فظل يراعيها بعينٍ ضعيفةٍ ... وينشدها والدمع في العين منهل

أنت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصلٍ حين لاينفع الوصل

---

(١) معجم الأدباء ج٣ ص ١٤٠٤ .

(٢) عيون الأنباء ٢ : ١٨٢، ١٨٣ .

- ديوان بن عنين : ١٣٤ .

- نهاية الأرب : ١٠ : ١٣١ .

١٣ ـ أبو القاسم : عباس بن فرناس







موجز السيرة

هو أبو القاسم عباس بن فرناس بن فرداس التاكرني (887-810) م أول من حاول الطيران[١] مخترع و فيلسوف وشاعر أندلسي من أصل أمازيغي من قرطبة، من موالي بني أمية. عاش في عصر الخليفة الأموي الحكم بن هشام و عبد الرحمن الناصر لدين الله و محمد بن عبد الرحمن الأوسط في القرن التاسع للميلاد. كان له اهتمامات في الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء. اشتهر أكثر ماشتهر بمحاولته الطيران إذ يعده المسلمون أول طيار في التاريخ.

بربري الأصل من موالى بنى أمية ، كنيته أبو القاسم . شاعر مشهور ، سمّى بحكيم الأندلس. له شعر فى هدم طليطلة، وهو صاحب اختراعات وتوليدات وقد حاول الطيران بجسمه وتوفى سنة **274** هـ .

وهو أول من صنع طائرات ذات جناحين متحركين وشهيد محاولة الطيران الأولى في تاريخ البشرية، كما اخترع عباس بن فرناس آلة لقياس الزمن ولمعرفة الأوقات وخاصة أوقات الصلاة وسماها «الميقاتة». والآلة تعتمد على الظل وقياس درجاته وزواياه وحساب الدرجات والدقائق والثواني فى النهار حيث قسم شكلها الدائري إلى مسافات متساوية كما هو مفهوم الساعة فى الوقت الحاضر. أما الليل المظلم فإن عملها يختلف وعملها ربما كان يعتمد على حساب الدرجات التى قسمت إليها.

---

(١) الوافى بالوفيات : مصدر سابق .

وقد تعتبر أساسا للساعة الشمسية وأساسا لاختراع الساعة المائية الأعجوبة.لتحديد الوقت وكانت تعمل بقوة رفع الماء ، ونموذج القبة السماوية، توصل فيها إلى محاكاة البرق والرعد. وتبحره في الشعر ومعرفته بالفلك مكنتا له من أن يدخل إلى مجلس عبد الرحمن الناصر لدين الله المعروف بالثاني، ولكنه استمر في التردد على مجلس خليفته في الحكم «محمد بن عبد الرحمن الأوسط» (886-852) ، لكثرة اختراعاته والتي ذكر بعضها المؤرخون. وهو أول من وضع تقنيات التعامل مع الكريستال، وصنع عدة أدوات لمراقبة النجوم. ومن الواضح حسب المصادر أن عباس بن فرناس قام بتجربته في الطيران بعد أبحاث وتجارب عدة، وقد قام بشرح تلك الأبحاث أمام جمع من الناس دعاهم ليريهم مغامرته القائمة على الأسس العلمية. يقول ابن سعيد في «المغرب في حلى الغرب» ذكر ابن حيان: أنه نجم في عصر الحكم الربضي، ووصفه بأنه حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات والفنون، وكان فيلسوفاً حاذقاً، وشاعراً ، وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها «كتاب العروض للخليل»، كثير الاختراع والتوليد، واسع الحيل حتى نسب إليه عمل الكيمياء، وكثر عليه الطعن في دينه، واحتال في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش على سرق الحرير، فتهيأ له أن استطار في الجو من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء، فحلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة. يعتبر أول إنسان يحاول الطيران، قبل كليمون أدار. من المصادر أن ابن فرناس صنع آلة للطيران بعد دراسة وتشريح ميكانيكا الطيران عن الطيور وأفلح في طيرانه ولكنه بعدما نزل حوكم بتهمة التغيير في خلقة الله وتم عزله في بيته.

في ليبيا صمم طابع بريد يصور محاولته الطيران وأطلق اسمه على فندق مطار طرابلس، وفي العراق وضع تمثال له على طريق مطار بغداد الدولي، وسمي مطار آخر شمال بغداد باسمه مطار ابن فرناس. وتكريما له سميت فوهة قمرية باسمه وتعرف بفوهة ابن فرناس القمرية..

قال حرقوص: كان شاعرا مفلقا وفحلا مجودا مطبوعا مقتدرا كثير الإبداع حسن التوليد مليح المعاني بعيد الغور رقيق الذهن. له شخص إنسي وفطنة جني. وكان متفلسفا في غير ما جنس من الصناعات. ويقال إنه أول من فك في بلادنا العروض وفتح مقفله وأوضح للناس ملتبسه، وكان أبصر الناس بالنجوم وأعلمهم بدقائقها وأعرفهم بالفلك ومجاريه، وكان أقل الناس سرقة من شعر غيره. دس عليه مؤمن حدثا كان يصحبه يقال له طلحة، فأتاه فقال له: يا أبا القاسم إنك جنيت عليَّ جناية، فقال: وما هي؟ فقال: إني جنبت بك الليلة فأعطني سطلا ومنديلا أدخل بهما الحمام، فقال: لا جزى الله خيراً مؤمناً فهو الذي عودك إتيان المشايخ في اليقظة حتى صرت تجنب عليم في النوم[1].

---

(١) معجم الأدباء.

ونقدم التقرير المفصّل التالى:

منذ القدم والإنسان ينظر فى الفضاء ويحلم بالطيران مثل الطيور ولكنه لم يجرؤ على التجربة بل إن أحلام الإنسان فشلت فى الوصول أبعد من ذلك فألف الأساطير التى تحكى عن محاولات الطيران ولكن عباس بن فرناس بدأ التفكير والدراسة لتحقيق حلم البشرية فى الطيران وبدأ بدراسة حركات الطيور وصمم على التجربة وللأمانة العلمية المفقودة فى عصرنا الحديث قرر التجربة على نفسه وبنفسه فلقد كان عباس بن فرناس رائداً لأول محاولة حقيقية فى التاريخ البشرى للطيران حيث بدأ يضع خطواته باتجاه ذلك بدراسة طيران الطيور وتركيب أجسامها وحركاتها كما قام بعمل بعض تجارب الانزلاق على بعض الهضاب ولقد كرر تجاربه ولا شك أن ذلك كان لخلفياته العلمية وأفقه الواسع ولقد كان علم الفلك الذى برع فيه أساسا لتلك المحاولات وكان عباس بن فرناس يسعى دائما لإقران النظرية العلمية بالعمل وذلك لكشف بعض أسرار هذا الكون ودراستها ومحاولة التعرف على عناصره للإستفادة منها وتسخيرها لصالح الإنسان. ويقال أن محاولته الشهيرة للطيران استعان فيها بجناحي طائر كبير ربطهما إلى زراعيه بشرائط رقيقة من الحرير وصعد إلى قمة مئذنة مسجد كبير (جامع قرطبة) وقذف نفسه فى الجو محاولا الطيران ولكنه سقط على الأرض وأصيب إصابة بالغة إنكسرت فيها أحد فقار ظهره السفلى ولزم الفراش شهورا طويلة حتى برأ من إصابته ولكن محاولته الطيران اعتبرت نصراً للبشرية وفتحاً كبيراً لآمال عريضة فى مستقبل الطيران واستغلال السماء فهى أول محاولة عملية لإنسان للطيران وأنه أول طيار اخترق الجو وتلك التجربة شجعت الكثير من العلماء من بعد لمزيد من الدراسة والتجربة حتى تحقق حلم البشرية بالطيران فى الجو وما زالت تجربة عباس بن فرناس مرجعا يذكره كل من يطرق مجال الطيران. ويقال أنه بنى أول نموذج لطائرة أو آلة للطيران صنعها بنفسه من القماش والريش وتتكون من عكوس وزوايا مركبة بعضها بالبعض وتتحرك بتأثير الحركات المركزية ثم صعد بها أو تركها للهواء ليحملها قليلا ويذكر بعض كتاب ذلك العصر أنها طارت قليلا.

اهتم عباس بن فرناس بعلم الفلك والنجوم وطلب من الأمير إعطائه الدفتر وهو تقويم فلكى فيه رموز واصطلاحات علم النجوم ودرسها وبرع فيها ومزاولته لها بصورة علمية لفتت له الأنظار ولم يكتف بذلك بلا ابتكر لأول مرة القبة السماوية كما نعرفها الآن فلقد صنع فى سقف بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبرق والرعد واستطاع أن يحدث فيها ظواهر الرعد والبرق وسقوط رزازات من الماء على هيئة مطر بطرق آلية ربما بواسطة بعض الأدوات والآلات التى انتهى من صنعها ووضعها فى أماكن معينة من القبة التى أجرى فيها تجربته العظيمة ومثلها كهيئة السماء فيها الأفلاك والنجوم والسحب

ولعل ما قام به هو دراسة نظرية تجريبية تطبيقية لعلم وعمليات الأرصاد الجوية والظواهر الطبيعية ولحساب حركة الكواكب والنجوم والتأكد من كفاءة ابتكاراته وآلاته فى مجال الفلك مثل آلته الشهيرة «ذات الحلق». ولقد لاقت شهرة كبيرة فى وقتها حتى أنها أصبحت معرضا وأن الناس كانوا يفدون لرؤيتها. وأشار إليها الشعراء فلقد قال الشاعر الأندلسي مؤمن بن سعيد:وسماء عباس الأديب أبى القاسم ناهيك حسن رائقها .

وهذه الآلة لرصد الكواكب السيارة والنجوم والقمر فى الليل أو لرصد الشمس فى النهار. والآلة تتكون من حلقات عدة قد تصل إلى سبعة حلقات ويبلغ قطر الواحدة منها حوالى ثلاثة أمتار ونصف المتر متداخلة وفى وسطها كرة معلقة تمثل حركة الكواكب السيارة ويتبين من عملها أن سطوح أشعة الشمس أو القمر يجعل الحلق الذى ركب فيها يتخذ أوضاعا معينة تنعكس على الكرة التى بداخلها فى الليل حيث يمكن رصد النجوم والكواكب فى مواضعها وفى النهار يمكن مراقبة الشمس وقياس الظل.

لم يكتف عباس بن فرناس بالدراسة النظرية فقط ولكنه اهتم كثيرا بالتطبيق والناحية العملية وكانت قبته السماوية خير مثال لذلك. وأخباره كثيرة ومتصلة فى الابتكار والكشوف فى ميادين العلوم التطبيقية والتجريبية وكانت هذه النشاطات العلمية تقوم فى الغالب على استنباط الحكمة الرياضية وأصولها التى تتجسد فى علم العدد وعلم الهندسة وعلم الهيئة وعلم الموسيقى،ومن مخترعات عباس بن فرناس ما شابه القلم الحبر وهو آلة أسطوانية الشكل ، سهّل مهمتهم فى الكتابة والنسخ ووفر عليهم مئونة حمل الأقلام والمحابر أينما تستخدم للكتابة والخط وتغذى بالحبر فكان واضحا وأفاد النساخ والكتاب حيث ذهبوا. وهذه الآلة هى بمثابة قلم الحبر المعروف فى الوقت الحالي. وبذلك يكون عباس بن فرناس قد سبق مخترعي الأقلام الحديثة بمئات السنين. وأوجد هذه الآلة التى تشكل أهمية كبرى فى نشر العلم والمعرفة والثقافة على نطاق واسع. كما أنه ابتكر كثير من الأدوات التى أعانته فى تنفيذ أفكاره وابتكاراته. ويقال أنه ابتكر أشياء طريفة عجيبة وكثيرة ولكن تفاصيلها فقدت آثارها. فيشير أبو بكر الزبيدى: «إلى أنه كان من أهل الذكاء والتقحم على المعانى الدقيقة والصناعة اللطيفة.» كما يذكر ابن حيان : «أبدع إبداعات لطيفة واختراعات عجيبة.».

عباس بن فرناس عالم الكيمياء

برع عباس بن فرناس منذ صغره فنسب إليه عمل الكيمياء ومزاولته للكيمياء العملية والصناعية إلى جانب توسعه النظري والإلمام بفنونها وقوانينها. ولقد طبق كثير مما عرف فيما بعد بعلم المعالجات الحرارية للمعادن. ولقد قام بإجراء التجارب الكيميائية بالطرق والوسائل العلمية كما جعل من إحدى حجرات بيته معملاً ومختبراً لتجاربه وزوده بالأدوات والآلات اللازمة لهذا الغرض كما استعمل النار لإحداث درجات الحرارة لغرض تسخين العناصر والمعادن المختلفة أو لتبخيرها أو صهرها أو إذابتها. كما أنه أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة فى الأندلس ولقد كانت طريقته مختلفة عما كانت تستخدم فى صناعة الزجاج فى البلاد الأخرى وكان درجة شفافيته عالية. كما عمل ابن فرناس فى ميدان السبائك والصب والصياغة للمعادن النفيسة كما برع فى استخدامها فى الزرفة والكتابة والغريب أن بعض العامة وصفوه لذلك بالزندقة وتعاطي السحر. ولكن كتاب العصر الأندلسي اعترفوا بفضله وجهوده وإضافاته العلمية.

عباس بن فرناس المهندس والمعماري

ولم يكتف العالم عباس بن فرناس بما تقدم ولكن مواهبه تعددت إلى أكثر من ذلك بكثير حيث وصفه البعض بأنه الأوحد فى زمانه فى العلوم والفنون فقد جاء ما يشير إلى تقدمه على رجال عصره وما أعظمه من عصر بغزارة علمه وتعدد أدواته وفنونه ولقد اشتهر فى ميدان العمارة والهندسة بنافوراته الجميلة والعجيبة. فلقد طرق فنون العمارة وخاصة فى النحت وإقامة النصب وصنع نافورات المياه وكان المخطط الرئيسي لإقامة التماثيل والنحوت والصور والنافورات فى قصور الأمراء والوزراء وعِلية القوم فى عهده وفى منتزهاتهم والموجه للبنائين والنجارين والعمال.

أول دبابة عسكرية

ولعل من أهم اختراعات ابن فرناس ما يمكن تسميته بأول دبابة عسكرية في التاريخ، وقصتها أن بعض العصاة على الأمير عبد الرحمن بن الحكم احتلوا حصناً في ظاهر بلنسية، وعجزت حملات جيش الأمير في الوصول إليهم؛ فقد كان الحصن على مرتفع لايمكن الوصول إليه إلا عن طريق ممر مكشوف، وكان العصاة يجيدون الرمي بالنبل والرماح والنار على الجند الذين كانوا يحاولون الوصول إلى الحصن من ذلك الممر

فاعتكف ابن فرناس في بيته أياماً، ثم جاء بمخطط آلة حربية عرضها على الأمير الذي سر بها، وأمر (أصبغ) عريف النجارين بأن ينفذ صنعها بإشراف ابن فرناس وبأوامره، فأنجزوها خلال يومين، وكانت آلة عجيبة، تحرق من كان أمامها، وتحمي من كان تحتها، وبها تم فتح الحصن في ظاهر بلنسية. وقد جمعنا النتف الكثيرة والمتفرقة التي قيلت في وصف تلك الآلة، فوصلنا إلى تصور تقريبي لها، هو أنها كانت من خشب على هيئة القبة الكبيرة من الأعلى، تمشي على دواليب، وتحت القبة يقف الجنود يدفعون الآلة وهم يتقدمون بها نحو الهدف، وفي أعلى القبة فتحتان يبرز من إحداهما منجنيق، وهي الفتحة الأمامية، والثانية في خلف القبة يجذب إليها المنجنيق لتذخيره بالحجارة أو النار، فيرمي الجنود بالمنجنيق وهم في منأى عن رمي العدو بالنبال والرماح، ويبرز من مقدمة الآلة في المقدمة نتوء كبير قوامه الخشب المكسو بالمعدن، ومهمته تحطيم الأبواب والجدران، وعلى أطراف الآلة فتحات لرمي النبال. إن هذا الوصف ينطبق على أول دبابة حاملة للمشاة في التاريخ، وقد طورها ابن فرناس أكثر بعد فتح حصن بلنسية، فكساها من الخارج بجلد خاص يقيها من الاحتراق إذا رميت بالنار، ولا نعلم إلى أي مدى استعملت دبابة ابن فرناس في الأغراض العسكرية؛ إذ انقطعت أخبارها في المصادر مع وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم.

محاكمة ابن فرناس

كما في حياة كل المجتهدين والمبدعين، ظهر في حياة عباس بن فرناس حساد أغاظهم ما وصل إليه من شهرة وحظوة لدى الأمراء، فتربصوا له، ونتيجة اشتغاله بالكيمياء في بيته، كانت المياه تجري من قناة في داره، وينبعث منها الدخان، فوجدها الحساد فرصة، واتهموه بالزندقة وتعاطي السحر، ورفعوا عليه دعوى تخريب المعتقدات، فمثل من أجل ذلك أمام القضاء، وعقدت جلسة محاكمة في مسجد قرطبة دعي إليها الأمير عبد الرحمن بن هشام شاهداً، فجلس الأمير بين الشهود لا يتكلم إلا عندما يطلب منه القاضي الكلام، فشهد بعض الشهود أنهم سمعوا ابن فرناس في داره يقول: «مفاعيل مفاعيل» فلم يجد القاضي في هذه العبارات ما يؤاخذه عليها، ثم سأل القاضي الأمير أن يشهد بما يعرف فقال: أشهد أن ابن فرناس أنبأني أنه سيفعل كذا وكذا في داره، وسيضع بما يفعله كذا وكذا، وقد صنع ما أنبأني به فلم أجد فيه إلا منفعة للمسلمين، ولو علمت أنه سحر لكنت أول من حده.

وتستمر وقائع المحاكمة أمام حشد من الناس وبحضور الأمير والفقهاء، فيسأل القاضي ابن فرناس عن حقيقة الماء الذي يخرج من داره، وما حقيقة ما يفعله فيه، فيقف ابن فرناس ويخاطب القاضي والفقهاء قائلاً: أترون أني لو عجنت الدقيق بالماء فصيرته عجيناً، ثم أنضجت العجين خبزاً على النار، ألكون قد صنعت سحراً؟ قالوا: لا؛ بل هذا مما علم الله الإنسان

فقال: وهذا ما اشتغل به في داري، أمزج الشيء بالشيء واستعين بالنار على ما أمزج فيأتي مما أمزج شيء فيه منفعة للمسلمين وأحوالهم. ثم شرح ابن فرناس أوامر الله تعالى ونبيه محمد ، في أن يعمل كل إنسان مسلم ما يتفق مع مواهبه، وأن من ملك علماً ولم ينفع به المسلمين فقد أثم؛ لأن العمل بمقدار الكفاءات من الفروض الكفاية، فحكم القاضي والفقهاء في الجلسة ببراءة ابن فرناس، وأثنوا عليه وحثوه على أن يستزيد من عمله وتجاربه.

إنها وقائع محكمة إسلامية نذكرها بفخر ونحن نرى حرص القضاء الإسلامي فيها على تقصي الحقائق بدقة،وكيف أن الأمير الحاكم يستدعى إلى الجلسة شاهداً فيتواضع ويتصاغر أمام القضاء، وكيف يستند هذا القضاء إلى أحكام الإسلام في تقييم العمل العلمي وتمييزه عن السحر والشعوذة؛ فيبرئ العالم من أية تهمة، بل يشجعه على مواصلة علمه وعمله وتجاربه بما ينفع الناس، وهي محاكمة تذكرنا بوقائع المحاكمات الظلامية التي جرت في أوروبا فيما بعد للعلماء والمتنورين المتعلمين،وانتهت إلى إحراق كل من تجرأ على قول كلمة تنويرية أو رأي علمي، وكانت محاكم التفتيش الرهيبة جزءاً من تلك المحاكمات.

وبعد:

فلقد كان عباس بن فرناس موسوعياً، نسيج وحده في العلم والفن والأدب، والمخترع الأول للدبابة، والقنبلة الكيماوية، وقلم الحبر، والساعة مثلما كان أول رائد طيران في التاريخ، وقد أسهم في التهيئة لعصور جديدة من النهضة الفكرية والعلمية في إطار الحضارة الإسلامية وتحت راية وحماية الإسلام للإبداع والمبدعين. وهذا العالم العظيم عباس بن فرناس والذي عاش عمراً مديداً قارب التسعون عام عرف أيضا بعلمه باللغة والشعر حيث أنه من أدخل العروض فى الأندلس وغلب على شعره الغناء والمدح مع علمه الغزير بألوان الموسيقى وأدواتها. ولقد وصف فى كتاب «طبقات النحويين واللغويين» بأنه «فحل الشعراء » وأنه «كبير الجماعة» من الشعراء والأدباء. فيا له من عالم ليس أقل من أن يوصف بأنه العالم الموسوعة ويجب أن يتذكره الجميع بما هو أهله.

شعره

ويقول عباس بن فرناس فى هدم طليطلة[1]:

أضـــحت طليطلــــةَ معطلـــــة ... مــن أهلهــا فــى قبضــة الصــقر

تُركـــــتْ بـــــلا أهـــلٍ تؤهِّلُهـــا ... مهجـــورةَ الأكنـــاف كـــالقبرِ

ماكــــان يبقــــى الله قنطـــرةً ... نُصــبتْ لحمــل كتائــب الكفــر

فى غزوة وادي سليط وهي من أمهات الوقائع في أيام الأمير محمد وفيها يقول عباس بن فرناس[2]:

ومؤتلف الأصوات مختلف الزحف ... لهـوم الفـلا عبـل القبائـل ملتـف

إذا أومضت فيه الصوارم خلتها ... بروقا تراءى في الغمام وتستخفي

كـأن ذرى الأعـلام فـي ميلانهـا ... قراقيـر قيـيم عجـزن عـن القـذف

وأورد له حرقوص قصائد مطولة ومقطعات، فمما له من المقاطع قوله:

يـا مـن لعين خلـت مـن الغمـض ... ومهجــة أشـرفت علـى القـبض

كــل هــوى لا يميــت صاحبـــه ... أصــل ذاك الهــوى مــن الــبغض

ومن ذلك :

بــــدل لنفســـــك روحــــــا ... لعـــــــل أن تستريحــــــــا

مــــازال قلبـــــك يهـــــوى ... مـــــن لا يـــــزال شــــــحيحا

---

(1) د. يوسف فرحات ، د يوسف عيد معجم الحضارة الأندلسية . دار الفكر العربي ـ بيروت ط١ سنة ٢٠٠٠ م. ص ٤١ .

– المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور / إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م. الجزء الأول ، ص ١٦٢ ، ص ٣٤١ .

– الحميدى : جذوة المقتبس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥٢ . ٨ : ٥٠٤ .

– المصدر السابق ، ٧ : ٤١١ .

– الضبي : بغية الملتمس ، ط . مدريد ١٨٨٤ ، ٤٤٤ .

(2) معجم الأدباء : مصدر سابق.

ومن ذلك :

إن تلــك التــي أحــن إليهــا — وعذابي وراحتي في يديها نظر

النــاس فــي الهــلال لفطــر — فتبــدت فــأفطروا إذ رأوهــا

ذاك فـي سبعة وعشـرين يــوما — فــذنوب العبــاد طــرا عليهــا

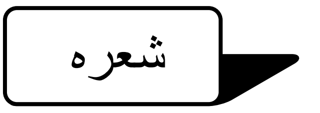
ولحينــي بانـت ولـم تشـف قلبــا — مســتهاما يطيــر شــوقا إليهــا



١٤ـ عبد العزيز بن تمام

*** عبد العزيز بن تمَّام الشهير بابن أبي الأصبع:**

كتب نحو ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م القصيدة النونية في الصنعة، وهي تتعلق بحجر الحكماء، ويقول سيزكين إنه وصل إلينا أكثر من شرح لهذه القصيدة منها: شرح لـ (أيدمر الجلدكى ـ المتوفي عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) بعنوان كشف الأسرار للإفهام في شرح قصيدة عبد العزيز بن تمَّام. ومنها شرح لـ (أفروزين بن معمر القابسي) وشرح لمحمد بن تميم المقاماتي، وشرح لمجهول[1]. ومطلع هذه القصيدة[2]:

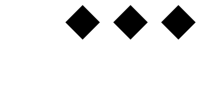


وذات دلٍّ لها ألحاظَ غـزلانِ ... وريح مسك وجيد الأغيد الجاني

تختال زهوا بها تاجٌ مرصعة ... در تراها بياقوتٍ وعقْيَانِ

◆◆◆

١٥ ـ ابن المؤدب



ابن المؤدب : هو عبد الله بن إبراهيم بن المثنى الطوسي، المعروف بابن المؤدب، مهدوي الأصل(تقع مدينة المهدية على الساحل الشرقي بوسط البلاد التونسية وهي عبارة عن شبه جزيرة يحيط بها البحر من ثلاث جهات، وتتصل بالبر من الجهة الغربية بواسطة برزخ محدود الأبعاد، تتميّز المدينة بمناخها المعتدل الذي يخضع لتأثير التيارات الهوائية البحرية وخاصة تلك المتأتية من جهة الشمال.

(١) تاريخ التراث العربي، ص ٤٣١.

(٢) العلوم العقلية ص ٥٥١ .

يعتمد النشاط الإقتصادي بجهة المهدية أساسا على الفلاحة والصيد البحري والسياحة بفضل الشريط الساحلي الذي يمتد على 12 كلم)[١](*) .
وابن المؤدب قيرواني المولد توفي عام 414 هـ . بالمهدية، ترجم له ابن رشيق بقوله:«كان شاعرا مشهورا متصرفا ذا حيلة ومكيدة، مغري بالسياحة والكيمياء والحجار»[٢] وفى عدة مصادر أخرى كانت ترجمته مايلى[٣]:

ابن المؤدب: عبد الله بن إبراهيم بن مثنى الطوسي، المعروف بابن المؤدب. أصله من المهدية. وكان شاعرا مذكورا، مشهورا، متصرفا، قليل الشعر، بعيد الغور ذا حيلة وكيد، مغرى بالسياحة، وطلب الكيمياء والأحجار، وكان صديقا لعبد الله بن رشيق.

شعره

مدح ثقة الدولة بقصيدة منها قوله: من الطويل[٤].

أبيت أراعي النجم في دار غربة	وفي القلب مني نار حزن مضرم
أرى كل نجم في السماء محلة	ونجمي أراه في النجوم المنجم
سأحمل نفسي في لظى الحرب حملة	تبلغها من خطبها كل معظم
فإن سلمت عاشت بعز وإن تمت	لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

(١) المعز بن باديس : البلاط الأدبي ـ دراسة تاريخية أدبية نقدية ، تحقيق عبده عبد العزيز قلقيلة، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م. ط١ ، ص ٨٦ .

(*) مابين القوسين تفصيل من عندنا

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوافى بالوفيات: مصدر سابق ،الجزء السابع عشر، ص ٢٣٤٧ .

- فوات الوفيات : مصدر سابق، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨ .، والجزء الثاني ص ١٥٤ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ م . (ترجمة يحى بن أكثم) الجزء السادس ص ١٥٧ .
- المكتبة الصقلية : جمع ميخائيل أمارى، ليبسيا ١٨٥٧ : ٦٥٤
- العمري: ابن فضل ، مسالك الأبصار (تراجم شعراء المغرب والأندلس) ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر ١٩٨٦/٠١/٠١ : ترجمة، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي ج١١ : ٣٤٧ .

(٤) الوافي بالوفيات ص ٢٣٤٧ ، فوات الوفيات ، ص ١٥٤ .

وقال: من الطويل :

وظبـــي أنـــيس عالجتـــه حبـــائلي　　　فغادرتـــه قبـل الوثـوب صـريعا

وكـــان رجـــال حـــاولوه ففاتهـــم　　　ســـباقا ولكنـــي خلقـــت ســـريعا

فتكت بـه وإن شـاء فـي بيت ربـه　　　لا وإن لـم يشـأ مستصـعبا ومطيعـا

لـــيعلم أهـــل القيـــروان بـــأنني　　　إذا رمـت أمـرا لـم أجـده منيعـا

فيـــا لغـــزال ألجأتـــه كلابـــه　　　إلـى أسـد ضـار وصـادف جوعـا



١٦ـ العطار

موجز السيرة

عبد الله بن محمد الأزدى المغربي المعروف بالعطّار[١]؛ قال بن رشيق فى الأنموذج شاعر حاذق نقى اللفظ جداً،لطيف الإشارات، مليح العبارات،صحيح الاستعارات، على شعره ديباجة ورونق يمازح النفس ويملك الحس، وفيه مع ذلك قوة ظاهرة. قال : ولم أرَ عطاريا مثله، لاترى عينه شيئا إلا صنعته يده (يقصد علم الكيمياء). وكان الأمير حسين بن ثقة الدولة قد أراده للكتابة فأبّى ، وكانت له عند عبد الله بن حسن بمدينة طرابلس الغرب حال شريفة، وجراية ووضيفة.إلى أن نازعته نفسه إلى الوطن، وكانت وفاته بعد الخمسمائة[٢] .

شعره

أعرضن لما أن عرضن فإن يكن — حذرا فأين تلفّتُ الغزلانِ

عطّرن جيب الريحِ ثم بعثنها — طرب الشجىّ ورائد الغيران

وكأنما أسكرنها فترنّمت — بحليهنّ ترنم النشوان

يا بنت ملتحفِ العجاجَ كأنه — قبسُ يضيء سناهُ تحت دخان

إذ ينشر الطعن الكماةَ كأنما — يتزاحم الفرسانُ بالفرسان



(١) معجم الأدباء: رقم ٢٣٣ ص ٢٢٥ .

(٢) الزركشى : ١٥٥ .

١٧ ـ الجلياني: عبد المنعم بن عمر

موجز السيرة

عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان، أبو الفضل حكيم الزمان الجلياني الغساني الأندلسي ؛ كان أديبا فاضلاً طبيباً حاذقاً له معرفة بعلوم الباطن ، وكلام على طريق القوم ، وكان مليح السمت حسن الأخلاق رحل من الأندلس ودخل بغداد، وروى عنه محب الدين بن النجار ، ومدح السلطان صلاح الدين الكبير ، مولده إحدى وثلاثين وخمسمائة وتوفى سنة اثنتين وستمائة بدمشق ، رحمه الله.

قال ابن أبى أصيبعة:كان علامة زمانه فى صناعة الكحل، بارعاً فى الأدب وصناعة الشعر، وعمّر طويلاً ، وكان له حانوت فى اللبادين لصناعة الطب ، وكان السلطان صلاح الدين يحترمه ، وله فيه مدائح كثيرة ، وصنّف له كتباً ، وكان يعانى صناعة الكيمياء ، وله عشرة دواوين : الأول : ديوان الحكم ومنثور الكلم ، والثاني : ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى ، والثالث : ديوان أدب السلوك والرابع : ديوان نوادر الحيّ ، والخامس : ديوان تحرير النظر، والسادس : ديوان سر البلاغة وصناعة البديع، والسابع : ديوان المبشرات، والثامن : ديوان الغزل والنسيب والموشحات والذوبيت، والتاسع : ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأحاجى والعاشر : ديوان ترسل ومخاطبات، وله أيضا كتاب « منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر فى خصائص الملك الناصر» .

شعره

له شعر كثير وهو يمدح صلاح الدين فى طبقات الأطباء لمن أراد الرجوع إليه ومن شعره :

كليني لكَرِّ الخيل يا أمَّ مالكٍ ... فما الأمن إلا فى متون الصواهلِ

فبحرُ الوغى لولا السوابحُ صادرات ... بنا لجة لم نحظ منها بساحل

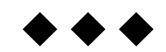
فلا تخطبنى ياهندُ لى غادةً سبت ... بنُطقٍ وِشاح أو بصمت خلاخلِ

فليست ذيول فوق حجلٍ تروقنى ... ولكنْ خيولُ تحت سحبِ قساطل

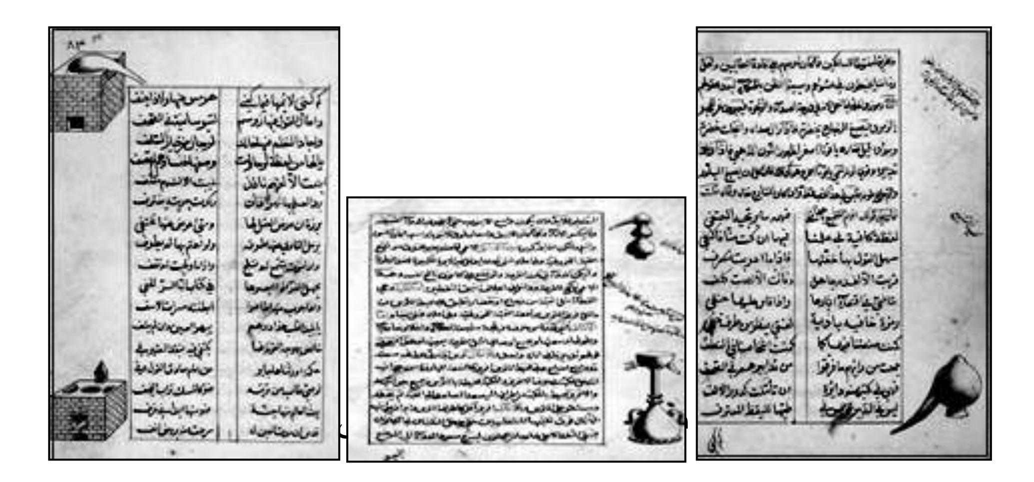
فـلا هلـك إلا فـى نحـورِ نواهـد ولاملـك إلا فـى صـدور عوامـل

ولا ملِـكٌ يـأتى كيوسـف آخـراً كما لم يجيء مثلُ لـه فى الأوائل

فتى ركب الأهوالَ خيلاً سروجها عـزائم شُـدّت للثبـات بكاهـل



١٨ ـ ابن أرفع الرأس : على بن موسى



موجز السيرة

على بن موسى الأنصاري الأندلسي المعروف بابن أرفع رأس[١] .

هو علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف أبو الحسن بن النقرات الأنصاري السالمي الأندلسي الجياني نزيل فاس ولي خطابة فاس وهو صاحب كتاب «شذور الذهب في صناعة الكيمياء» توفي سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة لم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه إن لم يعلمك صنعة الذهب فقد علمك صنعة الأدب وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وقصيدته الطائية أبرزها في ثلاثة مظاهر مظهر غزل ومظهر قصة موسى والمظهر الذي هو في الأصل صناعة الكيمياء وهذا دليل القدرة والتمكن .

---

(١) الصفدي : صلاح الدين خليل ابن أيبك. الوافى بالوفيات تحقيق ، أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان الجزء الثالث والعشرون ط١ . سنة ٢٠٠١ م.

- الكتبي : محمد بن شاكر ، فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق ـ د إحسان عباس دار صادر بيروت الجزء الثالث.ص ١٠٦ .
- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور / إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م. الجزء الثاني ص ٢٦٩ ، ص ٢٧١ م. والجزء الثالث ص ٦٠٥ .
- ابن الآبار: التكملة ، القاهرة ١٩٥٥م . رقم : ١٨٧٧ .

ووجدت لـه ترجمـة أخـرى باسمه الذى كـان يعـرف بـه وهـو (ابـن أرفـع رأس). هو الحكيم الرئيس برهان الدين أبي الحسن علي بن موسى القاسم ابن علـي المعروف بـابن أرفـع رأس (أو رأسه) الأندلسي (المتوفي عـام 593هـ) . وتوجد مخطوطة تسمى : (غاية السرور فى شرح ديوان الشذور) للشارح: على بن أيدمر الجلدكى ـ كيميائي جليل معروف. إلا أن هذه النسخة ناقصة من أولها عشرون صفحة (هكذا فى الأصل)[1].

شعره

بزيتونة الدهن المباركة الوسطى	غنينا فلم نبدل بها الأثل والخمطا
صفونا فآنسنا من الطور نارها	تشب لنا وهنا ونحن بذوي الأرطى
فلمـا أتيناهـا وقـرب صـبرنا	على السير من بعد المسافة ماشتطا
نحـاول منهـا جـذوة لاينالهـا	من الناس من لايعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادي المقدس شاطئا	إلى الجانب الغربي نلتمس الشرطا
وقـد أرج الأرجـاء منهـا كأنهـا	لطيف شذاها تحرق العود والقسطا
وقمنا فألقينا العصا في طلابها	إذا هي تسعى نحونا حية رقطا
وثار لطيف التقع عند اهتزازها	فأظهر من نور الظهيرة ما غطى
وأهوت إلى مادوننا من رماله	وأمواهه والصخر تتهمها سرطا
فأدبر من لايعرف السر خيفة	وأقبل منها من يروم بها سقطا
ومـد إلـى الفيلسـوف يمينـه	فجاذبها أخذا وأوسعها ضغطا

(١) د. جلال شوقي : العلوم العقلية فى المنظومات العربية ــ دراسة وثائقية ونصوص . الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، إدارة التأليف والترجمة والنشر (سلسلة التراث العلمي العربي) سنة ١٩٩٠ م. ص ٥٤٢ .

– فوات الوفيات مصدر سابق ص ١٠٧، ١٠٨ .

فصارت عصا في كفه وأجنحا فأخرجها بيضاء تجلو الدجى كشطا
فلم أر ثعبانا أذل لعالم سواها ولا منها على جاهل أسطى
هي المركب الصعب المرام وإنها ذلول ولكن لا لكل من استمطى
فأعجب بها من آية لمفكر يقصر عن إدراكها كل من أخطا
وأعجب من أحوالها تلك عودها إلى حالها بدءا إذا ملكت هبطا
وتفجيرها من صخرة عشرة أعين واثنتين تسقي كل واحدة سبطا
وتفليقها رهوا من البحر فاستوى طريقا فمن ناج ومن هالك غمطا
فتلك عصانا لاعصى خيزرانة ولكن لبن الدهن صبرها نفطا
وخضراء للشطآن تحت ظلالها مقيل تقي عن بردة الروم
تسيل بماء الخلد أبيض صافيا إذا ماشرطناها علىساقها شرطا
ومن قبل ماأغوى أبانا بذوقها فذاق فأخطا والقضاء فما أخطا
قطفت جناها واعتصرت مياهها فأجمدت ماستعلى وذوبت ما انحطى
ولينة الأعطاف قاسية الحشا إذا نفثت في الصخر تصدعه هبطا
كأن عليها من زخارف جلده رداء من الوشي المفوف أو مرطا
توصل إبليس بها في هبوطه إلى الأرض من عدن ففارقها شحطا
وكانت وشيطائيل حربا لآدم وحواء ماداما على الكرة الوسطى
أمت بها حيا وسودت أبيضا وأسرعت في قلع السواد فما أبطا
وأحيت تلك الأرض من بعد موتها بري وكانت تشتكي الجدب والقحطا
ولاقطة حب القلوب بحسنها تعذبها شوقا وتقتلهانحطا
كأن العيون من البدر المنير مشابها عقدن نطاقا أو على جيدها سمطا
كأن من الصدغ الذي فوق خدها ومن أنجم الجوزاء ومن خاله نقطا

ظفرت بها بالنفس من جسم أمها	**كما ظفرت بالقلب في صدره لقطا**
ورضعتها بالدر من ثدي بنتها	**فعاشت وكانت قبل ماتت به عبطا**
وصبرتها بنتا وصبرت بنتها	**لها مرضعا فأعجب لراضعة شمطا**
فحالت هناك البنت والأم دفعة	**فتى لم يزاحمه العذار ولا اختطا**
له منظر كالشمس يعطي ضياءه	**وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطى**
فهذا الذي أعيا الأنام فأضمروا	**لمن وضع الأرماز في عمله سخطا**
وهذا هو الكنز الذي وضعوا له	**برابي أخميم وخصوا بها قفطا**
وتحصيله سهل بغير مشقة	**لمن علرف التطهير والعقد والخلطا**
وأقدر إنسان عليه مجرب	**أقام بنور القلب في وزنه القسطا**
أبا جعفر خذها إليك يتبعة	**تورع لوقا أن يورثها قسطا**
ولكنني لما رأيتك أهلها	**سمحت بها لفظا وأنبتها خطا**

انظر بقية القصيدة، في (الوافي) وهي (43) بيتا، من نفائس الشعر العربي.قال الصفدي (وعدد أبيات الشذور ألف وأربع مائة وتسعون بيتاً، جميعها من هذه المادَّة، وهذا فنٌّ لا يقدر عليه غيره، ولا أعرف لأحدٍ مثل هذا؛ نعم، المتنبي وبعض شعراء العرب الفحول، لهم قدرةٌ على إبراز صورة الحرب في صورة الغزل، فتجد حماساتهم تشبه الأغزال) [1].

وأما ابن أيدمر الجلدكي فهو صاحب كتاب (المصباح) في علم الكيمياء، وهو مطبوع قديما في بومباي بالهند سنة (1302هـ) وانظر في (كشف الظنون) التعريف بكتاب علي بن موسى، وفيه ذكر لشرح الجلدكي وسماه (غاية السرور) وغير ذلك من الشروح. منها شرح للجوبري صاحب (كشف الأسرار وهتك الأستار).

---

(١) الوافي بالوفيات : مصدر سابق .

وله ديوان شذور الذهب في الصنعة، وهو عبارة عن مجموع قصائد في علم الكيمياء مرتب على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب العربي، يقول في مطلع الديوان[1] .

إذا ثَلّثَ المريخَ بالزهرة امروٌ ... وقارن بالبدر المنير ذكاءَ

وواصل سعدَ المشتري بعُطارد ... إلى زُحَل كي يستفيد ضياءَ

ويختمه بقوله :

فإن كنتَ في حل الرموز مدانيا ... أخانا فقد نلت الذي كنتَ راجيا

وإلا فلا ترتعْ بها فهي روضةَ ... قد امتلأتْ للرائدين أفاعيا

ومن شعره أيضا فى الصنعة(الكيمياء) [2].

لقد قلبت عيناي عن عينه قلبي ... بلينة الأعطاف قاسية القلب

يهيم الفتى الشرقي منها بغادة ... تشوق إلى شرق وترغب عن غرب

هي لشمس إلا أنها قمرية ... هي البدر إلا أنه كامن الشهب

إذا الفلك الناري أطلع شهبها ... على الذروة العليا من الغصن الرطب

تراءت عروسها برزة الوجه تبتغي ... زفافها وكانت خلف ألف من الحجب

فعاد بها حيا وكان فرقها ... له سبب أن مات من شدة الحب

فجن هوى لما استجنت بنفسه ... وطارا فقالت بعد جهد له: حسبي

ولما تنته عن طبيعته التي ... بدت عنه إلا أن يباعلها قلبي

تعالى عن الأشياء لونا وجوهرا ... وجل فلم ينسب إلى طينة الترب

ولهذا الديوان شروح كثيرة.



(١) العلوم العقلية فى المنظومات العربية : مصدر سابق ص ٥٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٤٣ .

- فوات الوفيات : مصدر سابق ص ١٠٨ ، ص١٠٩ .
- الوافى بالوفيات : مصدر سابق .

١٩ ـ ابن البقال : على بن يوسف الخالع .

موجز السيرة

علي بن يوسف يعرف بابن البقال ، يكنى أبا الحسن، قال أبو عبد الله الخالع: هو من أهل بغداد وممن نادم المهلبي ، وكانت له محاضرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة، وطبقة في الشعر جيدة، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة (يقصد علم الكيمياء)[١]، وكان بكثرة نوادره ومزاحه مستطاباً متقبلاً، وكان حسن اليسار جميل الزي يلبس الدراعة، وخلف لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة، ومنزله في مكة العجمي من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام، وخلف ابنة وزوجة فأحبت امرأته أحد بني المنجم وزوجت ابنتها به، فأنفقت المال عليه وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات. وكان ابن البقال يترفع عن الإختلاط بالشعراء ويتكبر عليهم، وكان الرؤساء يكرمونه ويقومون له إذا دخل إليهم، وكان ابن العميد يقدمه على الناس كلهم ويعظمه، وأحضره المهلبي فأنشده بحضرة المتنبي قصيدة فيه. قال: فحدثني الإمام الهاشمي قال: قال لي المتنبي: ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال. قال ابن عبد الرحيم: وحدثني الأستاذ أبو الحسين بن محفوظ وقد جرى ذكر ابن البقال فقال: كان أقل ما فيه الشعر، فغلب عليه وعرف به، وإنه كان يضطلع بعلوم كثيرة من جملتها الكلام، وكان قوياً فيه مقدماً في المعرفة به، وكان يقول بتكافؤ الأدلة وهو بئس المذهب. وكان ابن البقال يتلقاني في أيام عضد الدولة فيقول: يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء؟ فأقول: قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنية منها كذا وكذا، ومنها كذا وكذا، وأكثر عليه فيقول[٢].

(١) الوافي بالوفيات : ٢٢: ٣٣٦ .

(٢) الوافي بالوفيات : ٢٢: ٣٣٦ .

- معجم الأدباء ج٥ : ٢٠٤٨ : ٢٠٥٣ .

- أخلاق الوزيرين : أبو حيان : ١٩٤ ، ٤١٠ .

شعره

أنوار أنت كما دعيت نوار ... لم تقض منك قضاءها الأوطار

يا لحظة لحظ الحمام معيدها ... ما كان منك لناظر إنظار

وإذا تساقطك الحديث تخاله ... كأساً عليك من العقار تدار

إني ذكرتك والغرام مواصل ... نفساً عليك يهيجه التذكار

متوقد منه الضمير كأنما ... نيرانه من وجنتيك تعار

ولرب ليل من ذراك خماره ... ماء يمور وفي الجوانح نار

قد قلت حين طلعت فيه كبدره ... للنجم فيه من الغمام خمار

يا صاحبي قفا بنجد عبرة ... أرأيت كيف تشابه الأقمار؟

في منزل لبست بما لبس البلى ... حيث الدموع إذا ابتدرن بدار

ولئن محتك يد الخطوب فما أمحى ... مني المشيب عذائر وعذار

ولربما اهتزت ربوعك بالندى ... لهوى ديارك في الفؤاد ديار

ومنها في المدح:

وإذا بدا يوم الكريهة ضاحكاً ... فهناك تسكب دمعها الأعمار

حتى إذا بصروا بعقد لوائه ... عقدت مهابتها به الأسرار

في شرب هيجاء إذا اصطبحوا القنا ... فالطعن سكر والحمام خمار

لهم من البيض الرقاق تحية ... في حسوها ومن الدماء عقار

نهضت بعبء الملك منك عزائم ... للدهر بين عثارهن عثار

لك هضبة في الملك قحطانية ... طرق الحوادث نحوها أو عار

بجبال أندية الوقار إذا احتبوا ... وليوث ملحمة الوغى إن ثاروا

عجباً لأبناء المهلب إنهم ... لم يعدلوا في المجد حتى جاروا

لم يطوهم دهر مضى إلا لهم ... بالجود في آثاره آثار

فعطاؤك الرزق المقسم في الورى ... والدهر أنت وسيفك المقدار

وله أيضاً في المهلبي:

لعينك إذ سار الخليط المغور ... على كل واد دمعة تتحدر

نعم إن رسماً بات يطوى به النوى ... محاسن كانت بالأوانس تنشر

أرى وانياً من عبرة كيف لا يني ... وعلم طرفاً راقداً كيف يسهر

وقفنا ومن ألحاظنا وقلوبنا ... لنا رائدا شوق مسر ومظهر

يحلى ربى آرامه ونحورنا ... جفون بسمطيها من الدمع جوهر

فمن بين معقود يبين فرنده ... علينا ومحلول عليهن ينثر

وسرب رمين النجم في أخرياته ... بسافرة عن وجهها الشمس تسفر

بدت ويمين الصبح يبدو لثامه ... فلم يدر ليل أي صبحيه أنور؟

ومادت فقلنا الغصن جادت به ... بما آد من مجرى الوشاح المؤزر

أعاطل أجياد الأماني من التي ... بها الوفرأم ما استهلك العرض أوفر

لئن عد فخراً لبسك المجد من أب ... فلبس الفتى من نفسه المجد أفخر

ومابنفع الممتاح يجلو موارداً ... إذا كان ظمآناً من الورد يصدر

ألا بادرا عون العواني برحلة ... يذل بها خد من العيس أصعر

أما تريان الليل يحدو ظلامه ... بوجه القبيصي الصباح المنور

فتى يمتري سجلى نداه وبأسه ... لهاذم تدمي أو غمائم تمطر

وكالدهر لا يدري الذي هو رائم ... بخطب إذا ما أمه كيف يحذر

ويـوم رمـاه النقـع منـه بليلـة كواكبهـا فيـه الأسـنة تزهـر
طلعن من الأغماد في كل مأزق فـلا خـائن إلا لهـا منـه مضـمر
دلفت كأن الموت كان مؤامراً سـيوفك منـه والنفـوس تقطـر
بمجـر لـه فـي كـل فـج طليعـة وفـي كـل أرض منـه ذيـل مجـرر
سحبت رداء الموت فيه بوقعة رداء الفتى فيه من الطعن أقمر
وأضحكت منه الجو والنقع كاتم به الشمس عنما بها البيض تشهر
بحيث شفوف الأتحمي مفاضة إذا زعزع الخطى والتاج مغفر
تفرق في تفريقها الهام والتقى علـى قـدر فيهـا الحمـام المقـدر
عـزائم يـرمين الخطـوب كأنمـا يقارع منها عسكر الدهر عسكر



٢٠ـ ابن البذوخ

موجز السيرة

ابن البذوخ : هو أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي كان فاضلاً خبيراً بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة وله حسن نظر في الإطلاع على الأمراض ومداواتها وأقام بدمشق سنيناً كثيرة وكانت له دكان عطر باللبادين يجلس فيها ويعالج من يأتي إليه أو يستوصف منه وكان يهيئ عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقراص والسفوفات وغير ذلك يبيع منها وينتفع الناس بها وكان معتنياً بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الأمراض ومداواتها وله حواش على كتاب القانون لابن سينا وإن له أيضاً اعتناء بعلم الحديث ويشعر وله رجز كثير إلا أن أكثر شعره ضعيف منحل وعمّر عمراً طويلاً وضعف عن الحركة حتى إنه كان لم يأت إلى دكانه إلا محمولاً في محفة وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينه لأنه كان كثيراً يتغذى باللبن وتوفي بدمشق في سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة. ولابن البذوخ من الكتب شرح كتاب الفصول لأبقراط أرجوزة ،شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط أرجوزة، كتاب ذخيرة الألباء المفرد في التأليف من الأشباه حواش على كتاب القانون لابن سينا.

شعره

ومن شعر ابن البذوخ قال وهو من قصيدة كبيرة له في ذكر الموت والمعاد فمن أبياتها:

يا رب سهل لي الخيرات أفعلها ... مع الأنام بموجودي وإمكاني

فالقبر باب إلى دار البقاء ومن ... للخير يغرس أثمار المنى جاني

وخير أنس الفتى تقوى بصاحبه ... والخير يفعله مع كل إنسان

يا ذا الجلالة والإكرام يا أملي ... اختم بخير وتوحيد وإيمان

عشر الثمانين يا مولاي قد سلبت ... أنوار عيني وسمعي ثم أسناني

لا أستطيع قياماً غير معتمد ... ما بين اثنين شكوائي لرحماني

أوشرحه أو شروحات الحديث وما يختص بالطب أو تفكيه أقران

فالشيخ تعميره يفضي إلى هرم يذله أو عمى أو داء أزمان

فموته ستره إذ لا محيص له عن الممات فكم يبقى لنقصان

نعوذ بالله من شر الحياة ومن شر الممات وشر الإنس والجان

إن الشيوخ كأشجارغدت حطبا فليس يرجي لها توريق أغصان

لم يبق في الشيخ نفع غير تجربة وحسن رأي صفا من طول أزمان

يا خالق الخلق يا من لا شريك له قد جئت ضيفاً لتقريني بغفران

مولاي مالي سوى التوحيد من عمل فاختم به منعماً يا خير منان

وقال في مدح كتب جالينوس :

أكرم بكتب لجالينوس قد جمعت ما قال بقراط والماضون في القدم

كديسقوريدس علم الدواء له مسلم عند أهل الطب في الأمم

فالطب عن دين مع بقراط منتشر من بعدهم كانتشار النور في الظلم

إلا الدواء فما تحصى منافعه وعده كثرة في العرب والعجم

عد النجوم نبات الأرض أجمعها من ذا يعد جميع الرمل والأكم

في كل يوم ترى في الأرض معجزة من التجارب والآيات والحكم



٢١ ـ السهرودى : عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه

موجز السيرة

ولد شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه القرشي التيمي البكري السهروردي الملقب بشيخ الإشراق في قرية سهرورد بشمال شرق إيران عام ١١٥٣ ميلادية ودرس الفقه والفلسفة وكان مولعا بالترحال فتنقل بين إيران والعراق وسوريا ومنطقة الأناضول ثم استقر في مدينة حلب تلبية لدعوة الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي.

وقال عباس إن حلب شهدت محاكمته وإعدامه حيث دعا الملك الظاهر الفقهاء إلى مناظرة السهروردي «وأفحم الفقهاء الذين ناظروه وأظهرهم في موقع لا يحسدون عليه مما أوغر صدورهم حقدا عليه» وبدأوا يخططون لاتهامه بالخروج على الدين وفي مناظرة أخرى علنية في مسجد حلب سأله بعضهم «هل يقدر الله أن يخلق نبياً آخر بعد محمد ﷺ ..» فأجاب السهروردي «لا حد لقدرته» فعمدوا إلى تأويل كلامه وأعلنوا كفره وطالبوا بإعدامه بحجة ترويجه لما يتنافى مع العقيدة الإسلامية.

وقيل : إن الملك الظاهر رفض طلبهم فلجأوا إلى صلاح الدين الأيوبي في مصر وكان معروفا «بكراهيته الشديدة للصوفية والفلسفة» فضغط على الملك الظاهر حتى ينفذ رغبة «السلطات الدينية الهائجة على الحكيم الشاب» فأودع السجن وأعدم عام ١١٩١ ميلادية وأحرقت كتبه.وأشار إلى أن إحدى الروايات تذهب إلى أنه سجن في قلعة حلب ليهلك جوعا وعطشا في حين تقول أخرى أنه أرسل إلى القاهرة حيث أمر صلاح الدين بقطع رقبته. وقال «مهما اختلفت روايات إعدامه فإنه من الثابت أن الذي أمر بإعدامه هو صلاح الدين الايوبي.

وكان الحسين بن منصور الحلاج قد اتهم بالزندقة وصلب في بغداد عام **922** ميلادية بقرار من الخليفة العباسي المقتدر بالله الذي تولى الحكم بين عامي 907 و **932** ميلادية تقريباً. وتقول المصادر التاريخية أن الحلاج ضرب حوالي ألف سوط ثم قطعت أطرافه وصلب وظل معلقا على جسر ثم ضربت عنقه وحز رأسه وأحرقت جثته وألقي رماده في نهر دجلة. وسبق أن قام عباس محقق هذه النصوص الإشراقية للسهروردي بجمع وتوثيق الأعمال الكاملة للحلاج. وقال عباس: «أن السياق الذي أدى إلى مأساة الحلاج بعد سلسلة من المحاكمات يشبه كثيراً السياق الذي قاد إلى إعدام السهروردي» .ووصف موت السهروردي بأنه نادر واستثنائي.

وقال: «يذكرني بموت الحلاج وهو موت واحد ومتفرد لم يكن نتيجة عادلة لطبيعة الصراع بين فكر الجماعة وفكر فردي ما فوق الشخصي يؤسس لحياة أشخاص قلائل من الصوفية لا تنطبق عليهم المحادثات الأخلاقية الشائعة فيما لو اعتمدناها كمقياس لمعرفة ما إذا كانوا يمثلون حقيقة خطراً على الشريعة في جوهرها بقدر ما نكتشف أنهم يشكلون سؤالاً حقيقيا يقوم على إعادة قراءة جوهر الشريعة. ومن أعمال السهروردي «مؤنس العشاق» و«هياكل النور» و«البارقات الالهية» و«المناجيات» و«حكمة الإشراق» و«اعتقاد الحكماء» إضافة إلى كتب أخرى بالفارسية التي ترجم إليها «رسالة الطير» للفيلسوف الطبيب ابن سينا. ووصف السهروردي بأنه الحكيم المتأله والحكيم الثيوصوفي مشيرا إلى أنه ترك أكثر من ٥٠ كتاباً حاول كثير من المحققين تصنيفها «إلا أن المحاولة التي تستدعي الإهتمام هي محاولة (المستشرق الفرنسي) «لويس ماسينيون» الذي يعد أول من قام بمحاولة علمية تهتم بالبحث في علاقة ترتيب كتب شيخ الاشراق بتطور فلسفته .

شهاب الدين السهرودي هو الإمام الفاضل أبو حفص بن عمر[1]، كان أوحداً في العلوم الحكمية جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً في الأصول الفلكية مفرط الذكاء جيد الفطرة فصيح العبارة لم يناظر أحداً إلا بزّه ولم يباحث محصلاً إلا أربى عليه وكان علمه أكثر من عقله قال الشيخ سديد الدين بن عمر:«كان شهاب الدين السهرودي قد أتى إلى فخر الدين المار ديني وكان يتردد إليه في أوقات وبينهما صداقة وكان الشيخ فخر الدين يقول ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ولم أجد أحداً مثله في زماني إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه أن يكون ذلك سبباً لتلافه» فلما توجه شهاب الدين السهرودي إلى الشام أتى إلى حلب وناظر بها الفقهاء ولم يجاره أحد فكثر تشنيعهم عليه فاستحضره السلطان الملك الظافر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب واستحضر الأكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام فتكلم معهم بكلام كثير بان له فضل عظيم وعلم باهر وحسن موقعه عند الملك الظاهر وقربه وصار مكيناً عنده مختصاً به فازداد تشنيع أولئك عليه وعملوا محاضرة بكفره وسيروها إلى دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا إن بقي هذا فإنه يفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك إن أطلق فإنه يفسد أي ناحية كان بها من البلاد وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين إلى ولده الملك الظاهر بحلب كتاباً في حقه بخط القاضي الفاضل وهو يقول فيه: «إن هذا الشهاب السهرودي لا بد من قتله

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

ولا سبيل أنه يطلق ولا يبقى بوجه من الوجوه»، ولما بلغ شهاب الدين السهرودي ذلك وأيقن أنه يقتل وليس جهة إلى الإفراج عنه اختار أنه يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب إلى أن يلقى الله تعالى ففعل به ذلك وكان في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وكان عمره نحو ست وثلاثين سنة. قال الشيخ سديد الدين محمود بن عمر :«ولما بلغ فخر الدين الماراديني قتله قال لنا أليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل وكنت أخشى عليه منه». يحكى عن شهاب الدين السهرودي أنه كان يعرف علم السيمياء(الكيمياء) وله نوادر شوهدت عنه من هذا الفن .

وقال بعض أهل حلب: «لما توفي شهاب الدين رحمه الله ودفن بظاهر مدينة حلب :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة قد براها الله من شرف

فلم تكن تعرف الأيام قيمته فردها غيرة منه إلى الصدف

ومن كلامه قال في دعاء: «اللهم يا قيام الوجود وفائض الجود ومنزل البركات ومنتهى الرغبات منور النور ومدبر الأمور وواهب حياة العالمين أمددنا بنورك ووفقنا لمرضاتك وألهمنا رشدك وطهرنا من رجس الظلمات وخلصنا من غسق الطبيعة إلى مشاهدة أنوارك ومعاينة أضوائك ومجاورة مقربيك وموافقة سكان ملكوتك واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من الملائكة والصديقين والأنبياء والمرسلين».

*** مؤلفاته:**

١ ـ كتاب التلويحات اللوحية والعرشية .

٢ ـ كتاب الألواح العمادية ألفه لعماد الدين أبي بكر بن أرسلان بن داود بن أرتق.

٣ ـ كتاب اللحمة كتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات .

٤ ـ كتاب هياكل النور .

٥ ـ كتاب المعارج .

٦ ـ كتاب المطارحات .

٧ ـ كتاب حكمة الإشراق .

شعره

ومن شعر شهاب الدين السهروردي :

أبــــداً تحـــن إلـــيكم الأرواح ووصـــالكم ريحانهـــا والــــراح

وقلــوب أهــل ودادكــم تشــتاقكم وإلـــى لذيـــذ وصـــالكم ترتـــاح

واارحمـــة للعاشـــقين تكلفـــوا ســتر المحبــة والهــوى فضــاح

بالســر إن بــاحوا تبــاح دمــاؤهم وكـــذا دمـــاء البـــائحين تبـــاح

وإذا هـــــم كتمـــــوا عنـــــه عنـــد الوشـــاة المـــدمع الســحاح

وبــدت شــواهد للســقام علــيهم فيهـــا لمشـــكل أمـــرهم إيضـــاح

فـــإلى لقـــاكم نفســـه مشـــتاقة وإلـــى رضـــاكم طرفـــه طمـــاح

عودوا بنور الوصل من غسق الدجا فـــالهجر ليـــل والوصـــال صـــباح

وتمتعــوا فالوقــت طــاب لكــم وقــد رق الشـــــراب ودارت الأقـــــداح

مترنحـــاً وهـــو الغـــزال الشـــارد وبخـــــده الصـــــهباء والتفـــــاح

وبثغــره الشــهد الشــهي وقــد بــدا فـــي أحســـن اليـــاقوت منـــه أقـــاح

ولما افتتح السلطان خليل بن قلاوون عكّا امتدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة وهى هذه:

الحمد لله ذلّت دولة الصُلب — وعز بالترك دين المصطفى العربي

هذا الذى كانت الآمال لو طلبت — رؤيا فى النوم لاستحيت من الطلب

ما بعد عكّا وقد هدمت قواعدها — فى البحر للشرك عند البر من أرب

عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها — داهرا وشدّت عليها كف مغتصب

لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت — فى البحر والبر ماينجى سوى الهرب

كانت تخيلنا آمالنا فنرى — أنّ التفكر فيها غاية العجب

أمّا الحروب فكم قد أنشأت فتنا — شاب الوليد بها هولا ولم تشبِ

سوران بر وبحر حول ساحتها — دارا وأدناهما أنأى من العطب

مصفح بصفاح حوله أكم — من الرماح وأبراج من اليلب

مثل الغمائم تهدى من صواعقها — بالنبل أضعاف ماتهدى من السحب

كأنما كل برج حوله فلك — من المجانيق ترمى الأرض بالشهب

ففاجأتها جنود الله يقدمها — غَضَبان لله لا للملك والنشب

كم رامها ورماها قبله ملك — جسَم الجيوش فلم يظفر ولم يجب

لم ترض همته إلا الذى قعدت — للعجز عنه ملوك العجم والعرب

ليث أبى أن يرد الوجه عن أمم — يدعون رب العلى سبحانه بأب

(*) هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي جلس على تخت الملك فى ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد موت والده واستفتح الملك بالجهاد وسار فنازل عكّا وافتتحها وأخذ نصف الشام كاسر الفرنج ثم سار فى السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوما ففتحها ثم فى السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بمبان من غير قتال وهو سائر إلى دمشق ولو طال مدته ملك العراق وغيره .

(١) فوات الوفيات ج١ص ١٩٦ : ص ٢٠٠ .

لـم يلهـه ملكـه بـل فـى أوائلـه ... نال الذى لم تنله الناس فى الحقب

فأصبحت وهى فى بحرين مائلـة ... مـابين مضـطرم نـارا ومضـطرب

جيش من الترك ترك الحرب عندهم ... عـار وراحـتهم ضـرب مـن الضـرب

خاضوا إليها الردى والهجر فاشتبه ... الأمـران واختنقـا فـى الحـال والسـبب

تســنموها فلــم يتــرك تســنمهم ... فـى ذلـك الأفـق برجـا غيـر منقلـب

أتوا حماها فلم تمنع وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئا ولم يثب

يـايوم عكّـا لقـد أنسيت مـا سبقت ... بـه الفتـوح ومـا قـد خطّ فى الكتب

لم يبلغ النطق حق الشكر منك فما ... عسى يقـوم بـه ذا الشـعر والخطـب

كانــت تمنــى بـك الأيــام مبعـدة ... فالحمـد لله نلنـا ذاك عـن كثـب

أغضـبت عبـاد عيسـى إذ أبـدتهم ... لله أىّ رضــى فــى ذلــك الغضــب

وأطلع الله جيش النصر فابتدرت ... طلائـع النصـر بـين السـمر والقضـب

وأشرف المصطفى الهـادي علـى ... مـا أسلف الأشرف السلطان من قرب

فقِـر عينـا بهـذا الفـتح وابتهجـت ... بفتحـه الكعبـة الغـرّاء فـى الحجـب

وسار فى الأرض سير الريح سبقته ... فـالبَرُّ فـى طـرب والبحـر فـى حـرب

وخاضت البيض فى بحر الدّماء وما ... أبدت من البيض الأسـاق مختضـب

وغـاص زرق القنـاتى زرق أعينـهم ... كأنهــا شــطن تهــوى إلــى قلــب

توقـدت وهـى غرقـى فـى دمـائهم ... فزادهـا الطفـح منهـا شـدة اللهـب

وذاب مـن حرّهـا عنهم حديدهم ... فقيـدتهم بهـا ذعـرا يـد الرهـب

كم أبرزت بطلا كالطود قد بطلت ... حواســه فغــد كــالمنزل الخــرب

أجرت من البحر بحرا من دمـائهم ... فـراح كـالرّاح إذ غرقـاه كالحبـب

تحكمـت وسـطت فـيهم قواضـبنا ... قتلا وعفت لحاويهـا عـن السـلب

أنـــه وســـنان الـــرمح يطلبـــه ... بـرج هـوى ووراه كوكـب الـذهب
بشـراك ياملـك الـدنيا لقـد شـرفت ... بك الممالك واستعلت على الرتب
مـا بعـد عكّـا وقـد لانـت عريكتهـا ... لـديك شـىء تلاقيـه علـى لغـب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مـدّت إليك نواصيها بـلا نصـب
كم قد دعت وهى فى أسر العدا زمنـا ... صيدا لملوك فلم تسمع ولم تجب
أتيتهـا يـا صـلاح الـدين معتقـدا ... بـأنّ داعى صلاح الدين لم يخب
أسـلت فيهـا كمـا سـالت دمـائهم ... من قبل إحرازها بحرا من الدهب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت ... منـــه لســـر طـــواه الله فـــى اللقـــب
وجئتهـا بجيـوش كالسـيول علـى ... أمثالهـا بـين آجـام مـن القضـب
وحطتهـا المجـانيق التـى وقفـت ... إزاء جـدرانها فـى حجفـل لجـب
مرفوعـة نصـبو أضـغانهم فغـدا ... للكسر والحطم منهم كل منتصب
ورضـــتها بثقـــوب ذلـــك شـــمما ... منهـا وأبـدت محياهـا بـلا نقـب
وغنت البيض فى الأعناق فارتقصت ... أبراحهـــا لعبـــا مـــنهن باللعـــب
وخلفت بالدم الأسوار فانقمعت ... طيبا ولولا دماء الخبث لم تطب
وأبـرزت كل خـود كاعب فزقت ... رؤوسـهم حيـز زقـوًا بـلا طـرب
بدت وقد جاورتنا ناشدا وغدت طوع ... الهوى فى يدى جيرانها الخبب
بل أحرزتهم ولكن السيوف لكى ... لايلتجـى أحـد مـنهم إلـى الهـرب
أضحت أبا لهب تلك البروج وقد ... كانـت بتعليقهـا حمّالـة الحطـب
وتمت النعمة العظمى وقد كملت ... بفـتح صـور بـلا حصـر ولانصـب
وصارت النـار فى أجاءها وعلت ... فأطفأت مـا بصدر الـدين من قرب
وأقلت البحر منهم من تخير من ... تلقـاه من قومـه بالويـل والجـرب

أختان فى آن كلا منهما جمعت — صليبه الكفر لا أختان فى النسب

لما رأت أختها بالأمس قد خربت — كان الخراب لها أعدى من الجرب

الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت — لك السعادة ملك الشرق والغرب

من كان مبدأه عكّا وصور معا — فالصين أدنى إلى كفيه من حلب

علا بك الملك حتى إن قبته — على البرايا غدت ممدودة الطنب

فلا برحت قرير العين مبتهجا — بكل فتح مبين المنح مرتقب

(وقال أيضا يمدحه عند فتح قلعة الروم سنة إحدى وتسعين وستمائة):

لك الراية الصفراء يقدمها النصر — فمن كيقباذ إن رآها كيخسرو

وإن نشرت مثل الأصايل فى وغى — جلا النقع من لألاء طلعتها البدر

وإن يمت رزق العدا سار تحتها — كتائب خضر تحتها البيض والسمر

كأنّ مثال النقع ليل وخفقها — بروق وأنت البدر والفلك البحر

لها كل يوم أين سار لواؤها — هدية تقليد يقدمها الدهر

وفتح بدا فى إثر فتح كأنما — سماء بدت تترى كواكبها الزهر

فكم وطئت طوعا وكرها معاقل — مضى الدهر عنها وهى عانسة بكر

فإن رمت حصنا سابقتك كتائب — من الرعب أو جيش يقدمه النّصر

ففى كل قطر للعدى وحصونهم — من الخوف أسياف تجرّد أو خضر

فلا حصن إلا وهو سجن لأهله — ولا خشب إلا رواحهم قبر

وما قلعة الرُّوم التى حُزت فتحها — وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر

محجبة بين الجبال كأنها — إذا ماتبدت فى ضمائرها سر

تفاوت وصفها فللحوت فيهما — مجال وللنسرين بينهما ذكر

فبعض رسى حتى جرى الماء فوقه — وبعض سما حتى همى دونه القطر

يحـيط بهـا نهـران تبـرز فيهمـا   كمـا لاح يومـا فـى قلائـد النحـر

فخاض منون السحب فيها كأنها   إذا ماستدارت حول أبراجها نهر

لها طرق كالوهم أعيا سلوكه   على الفكر حتى ماتخيلاه الفكر

إذا خطرت فيها الرياح تعثرت   أو الذّر يوما زال عن متنه الذّر

يضل القطا فيها ويخشاها العقاب   ويهفو فى مراقبها النسر

فصبحتها بالجيش كالدهر بهجة   صوارمه أنهاره والقنا الزهر

وأبعدت بل كالبحر والبيض موجه   وجرد المذاكى السفن والخرد الدر

وأغربت بل كالليل عوج سيوفه   أهلته والنيل أنجمه الزهر

ليوث من الأتراك آجامها القنا   لها فى كل يوم فى ذرى ظفر ظفر

وكانت قذى فى ناظر الدين فانجلى   وذخرالأهل الشرك فانعكس الأمر



٢٢ ـ الأكفاني : محمد بن إبراهيم بن ساعد

موجز السيرة

ابن الأكفاني الحكيم شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري[١] المعروف بابن الأكفاني السنجاري المولد والأصل. من أهل سنجار وإليها نسبته.ولفظ الأكفاني يطلق على جمع منهم :والحارث بن النعمان بن سالم أبو النصر البزاز الذي يروي عنه أحمد بن حنبل وسعيد بن المسيب وغيرهما يقال له الاكفاني لأنه كان يبيع الأكفان بباب الشام. ومنهم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري. طبيب، باحث، عالم بالحكمة والرياضيات. رحل إلى القاهرة وأقام فيها فزاول صناعة الطب وتوفي فيها. فاضل جمع أشتات العلوم وبرع في علوم الحكمة خصوصا الرياضي فإنه إمام في الهيئة والهندسة والحساب له في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة قُرأت عليه قطعة جيدة من كتاب إقليدس فكان يحل ما يقرأ عليه بلا كلفة كأنما هو ممثل بين عينيه فإذا ابتدء في الشكل شرع هو فيسرد باقي الكلام سرداً وأخذ الميل ووضع الشكل وحروفه في الرمل على التخت وعبر عنه بعبارة جزلة فصيحة بينة واضحة كأنه ما يعرف شيئا غير ذلك الشكل وقُرأ عليه مقدمة في وضع الآفاق فشرحها أحسن شرح وقُرأ عليه أول الإشارات فكان يحل شرح نصير الدين الطوسي بأجل عبارة وأجلى إشارة وما سُئل عن شيء في وقت من الأوقات عما يتعلق بالحكمة من المنطق والطبيعي والرياضي والإلهي إلا وأجاب بأحسن جواب كأنما كان البارحة يطالع تلك المسألة طول الليل وأما الطب فإنه كان إمام عصره وغالب طبه بخواص ومفردات يأتي بها إلى المريض وما يعرفها أحد لأنه يغير كيفيتها وصورتها حتى لا تعلم وله إصابات غريبة في علاجه وأما الأدب فإنه فريد فيه يفهم نكته ويذوق غوامضه ويستحضر من الأخبار والوقايع والوفيات للناس قاطبة جملة كبيرة ويحفظ من الشعر شيئا كثيرا إلى الغاية من شعر العرب والمولدين والمحدثين والمتأخرين وله في الأدب تصانيف ويعرف العروض والبديع جيداً وكان ذهنه يتوقد ذكاء بسرعة ما لها روية وقد قال أحدهم يوصفه:«وما رأيت فيمن رأيت أصح ذهنا منه ولا أذكى وأما عبارته الفصيحة الموجزة الخالية من الفضول فما رأيت مثلها»

(١) الموسوعة العربية والوافي بالوفيات .

وكان الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس يقول : ما رأيت من يعبر عما في ضميره بعبارة موجزة مثله ولم أر أمتع منه ولا أفكه من محاضرته ولا أكثر إطلاعا منه على أحوال الناس وتراجمهم ووقايعهم ممن تقدم وممن عاصره وأما أحوال الشرق ومتجددات التتار في بلادهم في أوقاتها فكأنما كانت القصاد تجيء إليه والملطفات تتلى عليه بحيث أنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه من الديوان وأما الرقي والعزايم فيحفظ منها جملا كثيرة وله اليد الطولي في الروحانيات والطلاسم وما يدخل في هذا الباب . وله تجمل في بيته وملبسه ومركوبه من الخيل المسومة والبرة الفاخرة ثم أنه اقتصر وترك الخيل وآلى على نفسه أنه لا يطب أحدا إلا في بيته أو في البيمارستان أو في الطريق وله اليد الطولي في معرفة الأصناف من الجواهر والقماش والآلات وأنواع العقاقير والحيوانات وما يحتاج إليه البيمارستان المنصوري بالقاهرة لا يشترى ولا يدخل إلى البيمارستان إلا بعد عرضه عليه فإن أجازه اشتراه الناظر وأن لم يجزه لم يشتر البتة وهذا إطلاع كثير وخبرة تامة فإن المارستان يريد كل ما في الوجود مما يدخل في الطب والكحل والجراح وغير ذلك وأما معرفة الرقيق من المماليك والجواري فإليه المآل في ذلك ورأيت المولعين بالصنعة يحضرون إليه ويذكرون له وما وقع لهم من الخلل في أثناء أعمالهم فيرشدهم إلى الصواب ويدلهم على إصلاح ذلك الفساد ولم أره يعوز شيئا من كمال الأدوات غير أن عربيته ضعيفة وخطه أضعف من مرضى مارستانه ومع ذلك فله كلام حسن ومعرفة جيدة بأصول الخط المنسوب والكلام على ذلك وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع ماية وتألمت لفقده رحمه الله تعالى ».

*** مؤلفاته:**

- إرشاد القاصد إلى آسنى المقاصد .
- اللباب في الحساب
- نخب الذخاير في معرفة الجواهر.
- غنية اللبيب عند غيبة الطبيب
- كتاب كشف الرين في أمراض العين.
- نهاية القصد فى صناعة الفصد
- النظر والتحقيق فى تقليد العبيد.
- روضة الألبا فى اختيار الأطبا.

شعره

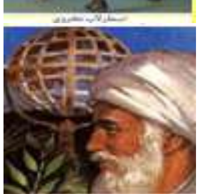
وله نظم أنشدني منه من لفظه لنفسه :

ولقد عجبت لعاكس للكيميا … في طبه قد جاء بالشنعاء

يلقى على العين النحاس يحيلها … في لمحة كالفضة البيضاء

٢٣- البيروني






موجز السيرة

مولده ونشأته: هو«محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي»، أحد مشاهير رياضي القرن الرابع الهجري ، ومن الذين جابوا الأقطار ابتغاء البحث والتنقيب ، ولد «أبو الريحان» في خوارزم عام 362 هـ - 973 م . ويقال أنه اضطر أن يغادر مدينة «خوارزم» علي إثر حادث عظيم ، إلى محل شمالها يدعي «كوركنج» وبعد مدة ترك هذه البلدة وذهب إلى مقاطعة « جرجان »حيث التحق بشمس المعالي «قابوس» أحد حفدة « بني زياد »وملوك«شمكير» ثم عاد إلى «كوركنج» وتمكن بدهائه من أن يصبح ذا مقام عظيم لدي«بني مأمون» ملوك «خوارزم» .

وبعد أن استولي «سيكتكين» علي جميع «خوارزم» ترك أبو الريحان «كوركنج» وذهب إلى«الهند» وبقي فيها مدة طويلة . ويقال إنه مكث فيها أربعين سنة ، يجوب البلدان ، ويقوم ببحوث علمية كان لها تأثير في تقدم بعض العلوم. وقد استفاد «البيروني» من فتوح الغزنويين في «الهند» وتمكن من القيام بأعمال جليلة إذ إستطاع أن يجمع معلومات صحيحة عن «الهند» ويلم شتات كثير من علومها ومعارفها القديمة ، وأخيراً رجع إلى «غزنوي» ومنها إلى «خوارزم».ولم يعرف بالضبط تاريخ وفاته والراجح أنه توفي سنة 440 هـ .

وجاء في معجم الأدباء:[1]:

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، وهذه النسبة معناها البراني، لأن بيرون بالفارسية معناه براً، وسُئل بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق يعني أنه من براً البلد. ومات السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وأبو الريحان بغزنة.

وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام، ذكره محمد بن محمود النيسابوري فقال:

« له في الرياضيات السبق الذي لم يشق المحضرون غباره، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره، وقد جعل الله الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة، سمت له لواقح مزنها، واهتزت به يوانع نبتها، فكم مجموع له على روض النجوم ظله، ويرفرف على كبد السماء طله. وبلغني أنه لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي، فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه، ورفض العادة في الاستغناء به، وكان ـ رحمه الله ـ مع الفسحة في التعمير وجلالة الحال في عامة الأمور مكباً على تحصيل العلوم منصباً إلى تصنيف الكتب يفتح أبوابها، ولا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش، ثم هجراه في سائر الأيام من السنة علم يسفر عن وجهه قناع الإشكال، ويحسر عن ذراعيه كمام الإغلاق ».

وقال «علي بن عيسى»:

« دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج وضاق صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة؟ فقلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟ قال لي يا هذا، أودع الدنيا وأنا على علم بهذه المسالة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها. فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ. وأما نباهة قدره وجلالة خطره عند الملوك فقد بلغني من حظوته لديهم أن شمس المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصه لصحبته ويرتبطه في داره، على أن تكون له الإمرة المطاعة في جميع ما يحويه ملكه، ويشتمل عليه ملكه، فأبى عليه ولم يطاوعه، ولما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه في داره، وأنزله معه في قصره.

---

(١) **الحموي** : ياقوت . معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الغرب الإسلامي . بيروت ـ لبنان ط١ سنة ١٩٩٣ م. الجزء السادس .

ودخل خوارزمشاه يوماً وهو يشرب على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته، وثنى العنان نحوه ورام النزول، فسبقه أبو الريحان إلى البروز وناشده الله ألا يفعل فتمثل خوارزمشاه:

العلم من أشرف الولايات يأتيه كل الورى ولا ياتي

فيحكي أنه ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل فتسارع على عادته في التشدد في الدين إلى نسبة الرجل إلى الإلحاد والقرمطة على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات حتى قال أبو نصر بن مشكان: إن هذا لا يذكر ذلك عن رأي يرتئيه، ولكن عن مشاهدة يحكيه، فسأل أبا الريحان عنه، فأخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الإقناع، وكان السلطان في بعض الأوقات يحسن الإصغاء ويبدل الإنصاف، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ، وأما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه إقبال على علم النجوم ومحبة لحقائق العلوم، ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض، وأحب أن يتضح له برهان ما لم يصح له من ذلك بعيان، فقال له أبو الريحان: أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض، فأخلق بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور، وتصاريف أحوال الليل والنهار، ومقدارها في عامرها وغامرها، وصنف له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدار الليل والنهار بطريق تبعد عن مواضعات المنجمين وألقابهم، ويقرب تصورهم من فهم من لم يرتض بها ولم يعتدها، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فسهل وقوفه عليه، وأجزل إحسانه إليه. وكذلك صنف كتابه في لوازم الحركتين بأمره، وهو كتاب جليل لا مزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل. وكتابه المترجم بالقانون المسعودي يعفي على أثر كل كتاب صنف في تنجيم أو حساب. وكتابة الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود ابن السلطان الشهيد مستوف أحسن المحاسن.

قال مؤلف الكتاب: هذا ذكره محمد بن محمود، وإنما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً، له تصانيف في ذلك رأيت أنا منها: كتاب شرح شعر أبي تمام رأيته بخطه لم يتمه، كتاب التعليل بإحالة الوهم في المعاني نظم أولي الفضل، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه، كتاب المسامرة في أخبار خوارزم، كتاب مختار الأشعار والآثار.

وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز. وحدثني بعض أهل الفضل: أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محمودا لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد الأول ابن عبد الصمد الحكيم، واتهمه بالقرمطة والكفر فأذاقه الحمام وهم أن يلحق به أبا الريحان، فساعده فسحة الأجل بسبب خلصه من القتل.

وقيل له: إنه إمام وقته في علم النجوم، وإن الملوك لا يستغنون عن مثله، فأخذه معه ودخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم، ثم أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية، وكان حسن المحاضرة، طيب العشرة خليعاً في ألفاظه عفيفا في أفعاله، لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً، وكان يقول شعراً إن لم يكن في الطبقة العليا فإنه من مثله حسن، منه في ذكر صحبة الملوك، ويمدح و يمدح أبا الفتح البستي» .

*** مؤلفاته**(١)**:**

- كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » .
- كتاب « تاريخ الهند » .
- كتاب « مقاليد علم الهيئة وما يحدث في الكرة ».
- كتاب « القانون المسعودي في الهيئة والنجوم » .
- كتاب « استيعاب الوجوه الممكنة صفة الإسطرلاب » .
- كتاب « العمل بالإسطرلاب » .
- كتاب « إفراد المقال في أمر الظلال » .
- كتاب « جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة » .
- كتاب « جلاء الأذهاني في زيج البتاني ».
- كتاب « استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني » .
- كتاب « التطبيق إلي تحقيق حركة الشمس ».
- كتاب « تحقيق منازل القمر » .
- كتاب « تمهيد المستقر لتحقيق معني الممر » .

(١) الحفناوى: سمير محمد عثمان الحفناوى . السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك . مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، مكتبة الإيمان بالمنصورة. ط١ سنة ٢٠٠٨ م ص ١٥٢ :١٥٥

– طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط٣ سنة ١٩٦٣ م . ص ٣٢٠ .

- كتاب « ترجمة ما في براهين سدهانة من طرق الحساب».
- كتاب « كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب » .
- كتاب « استشهاد إختلاف الأرصاد ».
- كتاب « الصيدنة في الطب » .
- كتاب « الإرشاد في أحكام النجوم » .
- كتاب « تكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله في الزلل ».
- كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » .
- كتاب « إختلاف الاقاويل لاستخراج التحاويل » .
- كتاب « مفتاح علم الهيئة » .
- كتاب « تهذيب فصول الفرغاني ».
- كتاب « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » .
- كتاب « تهذيب الأقوال في تصحيح العرض والأطوال » .
- كتاب « ايضاح الأدلة في كيفية سمت القبلة » .
- كتاب « تكميل صناعة التسطيح » .
- كتاب«تصور أمر الفجر والشفق في جهة الشرق والغرب من الأفق » .
- كتاب « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » .
- كتاب « إمتحان الشمس » .
- كتاب « جدول التقويم ».
- كتاب « جدول الدقائق ».
- كتاب « رؤية الأهلة » .
- كتاب « القسي الفلكية » .
- كتاب « كرية السماء ».
- كتاب « المسائل الهندسية » .
- كتاب « مواقع السمت » .
- كتاب « اصلاح شكل منا لاوس » .
- كتاب « منازعة أعمال الإسطرلاب » .
- كتاب « دوائر السماوات في الاسطرلاب » .
- مقالة في « التحليل والتقطيع للتعديل ».
- مقالة في « نقل ضواحي الشكل القطاع إلى ما يغني عنه » .
- مقالة في « تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الارض ».

- مقالة في « اختلاف ذوي الفضل في استخراج العرض والميل » .
- مقالة في « تعيين البلد من العرض والطول كلاهما » .
- مقالة في « استخراج قدر الارض إنحطاط الأفق عن قمم الجبال ».
- مقالة في « استخراج الكعب والاضلاع وما وراء من مراتب الحساب ».
- مقالة في تصفح كلام « أبى سهل الكوهي » في «الكواكب المنقضة ».
- وبلغت عدد مؤلفاته نحو **180** كتاباً ومقالة .

*** شهادة المستشرقين والمؤرخين[(١)]:**

١-« **سخاو** Sachau : « البيروني » أعظم عقلية عرفها التاريخ .

٢-« **سيديو** » :إن « أبا الريحان » اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ، ثم نزل الهند حين أحضره « الغزنوي » فأخذ يستفيد منهم الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أو حديثة ... الخ .

٣-« **سميث** » : إن « البيروني » كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات وإن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثره في العلوم .

٤-« **سميث و كاربنسكي** »: إن « البيروني » ذو مواهب جديرة بالاحترام والاعتبار ، فقد كان يحسن السريانية والعربية والسنسكريتية والفارسية ، وكان أيضا في أثناء إقامته في الهند يعلم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية .

٥-« **سارتون** » : كان « البيروني » باحثاً فيلسوفاً، رياضياً جغرافياً ومن أصحاب الثقافة الواسعة ، بل من أعظم عظماء الاسلام ، ومن أكابر علماء العالم .

٦-« **كاجوري** » : كان « البيروني » ملماً بعلم المثلثات ،وكتبه فيه تدل علي أنه : عرف قانون تناسب الجيوب ووجد الوزن النوعي لثمانية عشر عنصراً ومركباً ، بعضها من الأحجار الكريمة .

٧-« **نيللنو** » : قياس البيروني لمحيط الارض ، من الأعمال العلمية المجيدة المأثورة للعرب .

٨-« **مايرهوف** » : إن اسم « البيروني » أبرز إسم في موكب العلماء الكبار واسعي الأفق الذين يمتاز العصر الذهبي للإسلام بهم .

---

(١) طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط٣ سنة ١٩٦٣ م . ص ٣١٠ :٣١٨ .

– الحفناوى: سمير محمد عثمان الحفناوى . السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك . مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، مكتبة الإيمان بالمنصورة. ط١ سنة ٢٠٠٨ م ص١٥٥ : ١٥٦ .

٩ـ المستشرق الامريكي « **أريوبوب** » : في أي قائمة تحوي أسماء أكابر العلماء ، يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع ومن المستحيل أن يكتمل أي بحث للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الانسان أو المعادن دون الاقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من العلوم ، ولقد كان البيروني من أبرز العقول المفكرة في جميع العصور ...

***

تصنيف مؤلفات البيروني[١].

الموضوع	العدد	المؤلفات الكبرى	المؤلفات الموجودة	المؤلفات المطبوعة
علم الفلك	٣٥	٨	٤	٣
الإسطرلاب	٤	—	٢	—
التنجيم(الفلك)	٢٣	١	٣	٢
علم المواقيت	٥	١	١	١
قياس الزمن	٢	—	—	١
الجغرافيا	٩	١	١	١
جيوديسا	١٠	—	١	١
علم الحساب	٨	—	١	١
علم الهندسة	٥	—	١	١
حساب المثلثات	٢	—	١	١
ميكانيكا	٢	—	١	—
صيدلة	٢	١	١	١
علم الأرصاد	١	—	—	—
علم المعادن	٢	—	١	١
التاريخ	٤	—	—	—
الدين،الفلسفة	٣	—	١	١
الهند	٢	١	—	١
الادب	١٦	—	—	—

(١) الدمرداش: د. أحمد سعيد ، البيروني (سلسلة أعلام الإسلام) ، دار المعارف عام ١٩٨٠ ص ٣٠ .

شعره

كان مربى البيروني «أبو نصر منصور بن عراق» من أفراد الأسرة المالكة الخوارزمية، عالماً متألقاً في الرياضيات والفلك ، عرف البيروني بهندسة إقليدس وفلك بطليموس القلوذى ، فأصبح العالم الشاب أهلا لدراسة الفلك.كتب البيروني يصف هذه الحقبة من حياته مامؤداه: سعدت معظم أيامي بالهدايا والمزايا التي كنت أحظى بها ، وغذتني أسرة عراق بلبنها ، وتكفل منصورها بتربيتي.

وفى قصيدة له من كتاب «سرالسرور» يمدح أبا الفتح البستى يقول:

مضى أكثر الأيام فى ظل نعمةٍ	**على رتب فيها علوت كراسيا**
فآل عراق قد غذوني بدرهم	**ومنصور منهم قد تولى غراسيا**
وشمس المعالي كان يرتاد خدمتي	**على نفرة منى وقد كان قاسيا**
وأولاد مأمون ومنهم عليهمُ	**تبدى بصنع صار للحال آسيا**
وآخرهم مأمون رفه حالتي	**ونوه باسمي ثم رأسي راسيا**
ولم ينقبض محمود عنى بنعمة	**فأغنى وأقنى مغضياً عن مكاسيا**
عفا عن جهالاتي وأبدى تكرماً	**وطرى بجاه رونقي ولباسيا**
عفاء عن دنياى بعد مرامهم	**وواحزني إن لم أزر قبل آسيا**
ولما مضوا واعتضت منهم عصابة	**دعوا بالتناسى فاغتنمت التناسيا**
فأبدلت أقواما وليسوا كمثلهم	**معاذ إلهى أن يكونوا سواسيا**
وخلفت فى غزنين لحماً كمضغة	**على وضم للطير للعلم ناسيا**
بجهد شأوت الجالبين أئمة	**فما اقتبسوا فى العلم مثل اقتباسيا**
فما بركوا للبحث عند معالم	**ولا احتبسوا فى عقدة كاحتباسيا**

هكذا انتهت القصيدة التى ساقها سعيد الدمرداش ، ونضيف هذه الأبيات كى تكون كاملة من كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي.

ومن شعره:

ومن حام حول المجد غير مجاهد ... ثـوى طاعمـا للمكرمـات وكاسـيا

وبـات قريـر العين فـى ظل راحـةٍ ... ولكنّــه عـن حلــة المجـد عاريـا

ومن شعره:

كتابـك إذ هـو الفـرج المرجـى ... أطـب لمـا ألـمْ مـن ألـف راق!!

تـنغص بالتباعـد طيـب عيشـى ... فـلا شـيء أمـر مـن الفـراق

ومن شعره:

وكـدكم لمعـال تنهضـون بهـا ... وغيـركم طـاعم مسـترجع كاسـى

لـدى المكايـد إن راجـت مكايـده ... ينسـى الإلـه ولـيس الله بالنّاسـي

وقال:

ويحـرز أمـوالاً رجـال أشـحة ... وغيـركم طـاعم مسـترجع كاسـى

لعمـرك مـا الـدنيا بشـيء ولا ... المنـى بشـيء ولا الإنسـان معلـل

وقال :

ويمسـي المـرء ذا أجـل قريـب ... وفـي الـدنيا لـه أمـل طويـل

ويعجـل بالرحيـل ولـيس ... يـدرس إلـى مـاذا يقـر بـه الرحيـل

٢٤- ابن رشد



موجز السيرة

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، ويكنى أبا الوليد، ويلقب (بالحفيد) تمييزاً له عن أبيه وجده الذان كانا قاضيين وفقيهين مشهورين. وكان جده أبو الوليد محمد فقيها مالكيا، وقاضياً للقضاة في قرطبة، ولا يزال جزء من فتاويه محفوظا في مخطوط بالمكتبة الوطنية في باريس. وكان أبوه أي والد صاحبنا ـ قاضياً في قرطبة. كما تولى ابن رشد القضاء في قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث، ، ولد ابن رشد، في مدينة قرطبة ،سنة 520 هجرية، اشتهر بالطب والفلسفة والرياضيات والفلك، مرض ابن رشد مرضًا شديدًا ومات ليلة الخميس 9 صفر سنة 595هـ، سنة 1182 م ميلادية، ونقل جثمانه من(مراكش) إلى قرطبة حسب وصيته حيث المنشأ والأجداد.

كان فيلسوفا، طبيباً، وقاضي قضاة.. كان نحويا. لغوياً، محدثاً بارعاً يحفظ شعر المتنبي وحبيب ويتمثل به في مجالسه ..وكان إلى جانب هذا كله. متواضعاً، لطيفاً، دافئ اللسان، جم الأدب، قوي الحجة، راسخ العقيدة، يحضر مجالس حلفاء «الموحدين» وعلى جبينه أثار ماء الوضوء.

ودرس علم الفقه المالكي، والحديث واشتغل على الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق، واستظهر كتاب (الموطأ) للإمام مالك عن أبيه. لا أحد يعلم ـ على وجه الدقة ـ كيف تعلم ابن رشد الفلسفة، وعلى يد من! فقد توفي (ابن باجة) وابن رشد في الثالثة عشر، ولم يتعرف على (ابن طُفيل) إلا وهو ابن 56 سنة، وإن كان ابن طفيل هو من قدمه للسلطان الموحد أبي يعقوب يوسف ابن وخليفة السلطان (عبد المؤمن). وعندما كبر ابن طفيل الذي كان طبيبا للسلطان، أبقاه السلطان وزيرا وعين ابن رشد طبيبا للسلطان، وكان ذلك سنة 578هـ/1182م.

ولقد أكد ابن رشد على كروية الأرض. من مؤلفاته: شروح أعمال أرسطو، تهافت التهافت.

توفي السلطان يوسف عام 580هـ/1184م، فخلفه ابنه (المنصور بالله)، فزاد بتقريب ابن رشد له، فتوجس ابن رشد خيفة من هذا التقريب، وكان موضع لحسد الحاسدين الذين أوقعوا بينه وبين السلطان، الذي نقم عليه وفرض عليه ما يشبه الإقامة الجبرية، وذاع صيت تلك النقمة في عموم بلاد المغرب والأندلس، فكانت النظرة لابن رشد مشوبة بوصفه قد ابتعد عن الدين الحنيف أو أكثر من ذلك. وقد ذهب المؤرخون في تفسير أسباب نقمة السلطان على ابن رشد مذاهب شتى:

1- ذكر عبد الواحد المراكشي وابن أبي أصيبعة أن سبب النقمة كان ما ورد في أحد كتب ابن رشد عندما قال: (رأيت الزرافة عند ملك البربر) وهي إشارة إلى السلطان المنصور بالله

2- كما ذكر عبد الواحد المراكشي، أن خصوم ابن رشد أطلعوا السلطان على عبارة كتبها ابن رشد في أحد شروحه يقول فيها أن كوكب الزهرة (أحد الآلهة) وفصلوا العبارة عما قبلها، وأوهموا أن ابن رشد هو قائلها وأنه بذلك مشرك بالله.

3 - ذكر الأنصاري نقلا عن أبي الحسن الرعيني أنه عندما شاعت في المشرق والأندلس على ألسنة المنجمين أن ريحا عاتية ستهب يوم كذا وكذا كالريح التي أهلكت قوم عاد. فقال ابن رشد الذي كان قاضيا بقرطبة : (والله، وجود قوم عاد ما كان حقا. فكيف سبب هلاكهم! . ولم تؤكد تلك القصة أي مصادر أخرى.

4- لكن الأنصاري نفسه، يعتقد (نقلا عن ابن الزبير) أن سبب حملة الفقهاء ومن ورائهم العامة على ابن رشد هو اشتغاله بالفلسفة وعلوم (أرسطو)، واعتبار ذلك منافيا لسلوك القضاة والفقهاء. ولكن ذلك لن يجعل السلطان ينقم عليه وهو (السلطان) أحد المهتمين بتلك العلوم.

5- ويخلص الأنصاري في التحري عن أسباب محنة ابن رشد إلى القول بأن سبب نقمة السلطان هو أن ابن رشد قد رفع (الكلفة) في تعامله مع السلطان، فأخذ يخاطبه : اسمع يا أخي .. فاختنق السلطان بتلك العبارات التي دفعته لافتعال ما فعل بابن رشد.

لم يجلس «ابن رشد» على عرش العقل العربي بسهولة ويسر، فلقد أمضى عمره في البحث وتحبير الصفحات، حتى شهد له معاصروه بأنه لم يدع القراءة والنظر في حياته إلا ليلتين اثنتين: ليلة وفاة أبيه وليلة زواجه.

لم يكن «أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، من المتسلقين وطلاب الشهرة .ولكنه كان من المؤمنين «بالكمال الإنساني» عن طريق المعرفة.. فعنده أن تمييز الإنسان بالمخلوق العاقل الناطق تتم لنسبة ما يحصله من عتاد ثقافي معارفي.

أخذ الطب عن أبي جعفر هارون وأبي مروان بن جربول الأندلسي. ويبدو أنه كان بينه وبين أبي مروان بن زهر، وهو من كبار أطباء عصره، مودّة، وأنه كان يتمتع بمكانة رفيعة بين الأطباء .وبالرغم من بروز ابن رشد في حقول الطب، فإن شهرته تقوم على نتاجه الفلسفي الخصب، وعلى الدور الذي مثّله في تطور الفكر العربي من جهة، والفكر اللاتيني من جهة أخرى.

عكف فيلسوفنا على نصوص «المعلم الأول» يستجليها ويلخصها، حتى اقتنع بأنها الفلسفة الحقة، والحكمة الكاملة الواقية، وهنا استقر رأيه على مشروعين: أولهما التوفيق بين الفلسفة والشريعة وتصحيح العقيدة مما علق بها ـ في ظنه ـ من مخالطات المتكلمين و «تشويش» الإمام الغزالي بالذات (1176 – 1182)، وثانيها تطهير فلسفة أرسطو مما شابها من عناصر غريبة عنها، والمضي بها قدماً. عن طريق طرح الحلول لمشاكل مستقبلية قد تعترض سبيلها. تولّى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية، وأقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف ابن الطفيل، ثم عاد إلى قرطبة حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات أُلحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص.

لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد (أبو يوسف يعقوب المنصور 1182 - 1198) عن الفلاسفة، ناهيك عن دسائس الأعداء والحاقدين، جعل المنصور ينكب فيلسوفنا، قاضي القضاة وطبيبه الخاص، ويتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى «أليسانه» (بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود)، ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب، والفلك، والحساب. كانت النيران تأكل عصارة عقل جبار وسخط إتهام الحاقدين بمروق الفيلسوف، وزيغه عن دروب الحق والهداية... كي يعود الخليفة بعدها فيرضى عن أبي الوليد ويلحقه ببلاطه، ولكن قطار العمر كان قد فات إثنيهما فتوفي ابن رشد والمنصور في السنة ذاتها (1198 للميلاد)، في مراكش.

فلسفته :

يعتبر ابن رشد أهم شارح لأرسطو، ويعود له الفضل ـ حسب اعتراف فلاسفة الغرب ـ في إعادة تقديم أرسطو للباحثين، وإن كان هناك أخطاء فيما ورد عنه فالأخطاء مردها الى الترجمات الكثيرة التي كان يقرأها ابن رشد عن أرسطو، وإن كان خطأ فهو يعود لسوء قراءة الآخرين لتلك الترجمات التي كان ينوه لها ابن رشد في كتاباته.

في التأويل: حق الراسخين في العلم :

يقف ابن رشد عند الآية المشهورة (وَالْرَّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمْ) [آل عمران: 7]، فيقول: إذا لم يكن أهل العلم يعلمون التأويل، لم تكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الإيمان به ما لا يوجد عند غير أهل العلم. وقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون به، وهذا إنما يحمل على الإيمان الذي يكون من قبل البرهان، وهذا لا يكون إلا مع العلم بالتأويل فإن غير أهل العلم من المؤمنين هم أهل الإيمان به لا من قبل البرهان.

براهين وجود الله:

يرجع ابن رشد في إثبات وجود الله بالبراهين إلى اثنين: برهان مأخوذ من العناية الإلهية بالعالم وبرهان مأخوذ من الخلق. وهو يفضل البرهان بالحركة، وينقد سائر البراهين، فيقول : بعلوم الطبيعة، إن كل شيء متحرك لا بد له من محرك، فإن كان المحرك يتحرك تارة ويتوقف تارة، فنستعين بمحرك آخر، ولكن يبقى باستمرار المحرك أو القوة الأكبر والأقدم.

ابن رشد والسياسة:

كان المهتمون يظنون ـ خطأ ـ أن هناك كتاب اسمه الجمهورية لابن رشد، يشرح وينقد فيه جمهورية أفلاطون، ولكن ـ مع الأسف ـ لقد كان الكتاب اسمه (السياسة) وهو يتناول فيه ما قرأ عن فلاسفة اليونان والرومان عن السياسة ونقدها كما اعتمد على كتب الفارابي الذي يلخص فيه (جالينوس)، وهذا الكتاب كان في مكتبة (الإسكوريال) حتى عام 1678 حينما احترقت، وكان المهتمون قد نقلوا الفهارس خطأ عندما نسبوا ذلك الكتاب لأفلاطون وأطلقوا عليه اسم (الجمهورية) في حين هو لابن رشد واسمه (السياسة) وهو لا يقيم فيه وزنا لآراء أفلاطون.

يقول«لويج رينالدي»في بحث عنوانه «المدنية الإسلامية في الغرب»:

«ومن فضل المسلمين علينا أنهم هم الذين عرّفونا بكثير من فلاسفة اليونان. وكانت لهم الأيدي البيضاء على النهضة الفلسفية عند المسيحيين. وكان الفيلسوف ابن رشد أكبر مترجم وشارح لنظريات أرسطو. ولذلك كان له مقام جليل عند المسلمين والمسيحيين على السواء. وقد قرأ الفيلسوف ورجل الدين النصراني المشهور «توماس الأكويني»، نظريات أرسطو بشرح العلامة ابن رشد. ولا ننسى أن ابن رشد هذا مبتدع مذهب «الفكر الحر». وهو الذي كان يتعشق الفلسفة، ويهيم بالعلم، ويدين بهما. وكان يعلمهما لتلاميذه بشغف وولع شديدين، وهو الذي قال عند موته كلمته المأثورة:«تموت روحي بموتِ الفلسفة وتحيا بالروبيض من الخنا وأشعا العسيسة في الكرا».

وفي كتابه «تاريخ موجز للفكر الحر» كتب المفكر الإنكليزي «جون روبرتسون» : «إن ابن رشد أشهر مفكر مسلم، لأنه كان أعظم المفكرين المسلمين أثراً وأبعدهم نفوذاً في الفكر الأوروبي، فكانت طريقته في شرح أرسطو هي المثلى».

وكتب المستشرق الإسباني البروفيسور «ميغيل هرنانديز» : «إن الفيلسوف الأندلسي ابن رشد سبق عصره، بل سبق العصور اللاحقة كافة، وقدم للعلم مجموعة من الأفكار التي قامت عليها النهضة الحديثة».

ورأى «هرنانديز» أن ابن رشد قدم رؤية أكثر شمولاً وإنسانية للمدينة الفاضلة. وكان يرى أن في الإمكان قيام كثير من المدن الفاضلة، تقوم بينها علاقات سلمية فاضلة -والمدينة هنا تكاد تعني الدولة تماماً- واعتقد أن قيام الحروب بين الدول هو نهاية العالم.

ويقول العلامة «الخزرقي» عليه رحمة الله :(إن ابن رشد أضاء للغربيين الطريق إلى فلسفة خيالية يسطع منها نور الترديد). وشرح الترديد بقوله الترديد نقطة في أواسط الخنا.

*** من مؤلفات ابن رشد:**

١ـ كتاب) الكليات) في الطب.

٢ ـ تلخيص تسع مقالات من كتاب الحيوان ،في أشبيلية عام 556هـ/1169 م

3- شرح كتاب البرهان/أشبيلية 1170 م.

4- شرح السماء والعالم/أشبيلية 1171 م.

5- تلخيص كتاب الخطابة وتلخيص كتاب الشعر وتلخيص ما بعد الطبيعة، ثلاثة كتب في قرطبة عام 1171 م.

6- تلخيص كتاب الأخلاق لأرسطو عام1176 م

7- أقسام من كتابه في (الجرم السماوي) في مراكش عام 1178 م.

8- منهاج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة ـ أشبيلية عام 1179م .

9- تلخيص كتاب الحميات لجالينوس عام 1193 م.

10- مسائل في المنطق ـ كتبها أثناء محنته عام 1195م .

11- تهافت التهافت وهو رد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالي. نشر في القاهرة في سنوات1303 هـ و 1319 هـ و 1320 هـ. كما نشره في بيروت (موريس بويج) سنة 1930 م.

12ـ فصل المقال فيما بين الشريعة والاتصال. نشره لأول مرة في (ميونيخ M.J.Muller سنة 1859ونشر في الجزائر سنة 1942 مع ترجمة فرنسية

13- مقالة في اتصال العقل بالإنسان ـ الأصل العربي موجود في مخطوط الإسكوريال رقم .629.

شعره

قال عند موته :

تمـوت روحـي بمـوتِ الفلسـفة وتحيـا

بـــــالروبيض مــــــن الخنـــــا

وأشـــعار العسيســـة فـــي الكـــرا

لـه أرجـوزة مخطوطـة فـي الكيميـاء بـدار الكتـب الوطنيـة بتـونس رقـم 3094(١).



(١) د. جلال شوقي : العلوم العقلية فى المنظومات العربية ـ دراسة وثائقية ونصوص . الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، إدارة التأليف والترجمة والنشر (سلسلة التراث العلمي العربي) سنة ١٩٩٠ م. ص ٥٧٢ .

٢٥- أبو بكر الرازي





موجز السيرة

أبو بكر الرازي هو محمد بن زكريا ، ولد في منطقه الري على مقربه من طهران سنه 250هـ . لقد عرفت منطقه الري من أقدم المناطق في إيران ، وهي منطقه انتشر فيها العلم بشكل واضح جدا .

وتعتبر منطقة الري أقدم المدن في إيران ، ويطلق عليها أرض الطيبة ، وكانت الري مركز العلم والأدب وموطن النبوغ والتفوق. ونظرا لانتشار العلم في المنطقة تأثر أبو بكر الرازي كثيرا ،وأصبح من أشهر العلماء في الإسلام. عندما كانت منطقه الري مركز العلم والتفوق والنبوغ ، حاول الكثيرون السيطرة عليها ، بعضهم نجح في السيطرة عليها، وبعضهم فشل . فتحت الري أيام عمر بن الخطاب ط بقياده عروه بن زيد ، ثم صارت الري إحدى الممالك المتفرعة والمناصرة للعباسيين في حركه علميه بعد أن أخذت هذه الحركة في التدهور بعد المأمون ، حيث ظهر أبو بكر الرازي من عظماء الإسلام وهكذا رأينا فتح منطقه الري بقياده عروه بن زيد ، وفي النهاية انتقلت للعباسيين حركه علميه ثم انهارت هذه الحركة، وظهر أبو بكر الرازي من أبرز العلماء في الإسلام . تزوج أبو بكر الرازي و كانت عائلته بسيطة. كانت عائلة الرازي تسكن الري، وتتألف هذه العائلة من أخ وأخت ، ولكن يدعونا ما ذكره ابن أبي أصيبعة أن أبي بكر كتب مسوداته عند أخته و الظن أنه لم يخلف أولادا وربما انفصل عن زوجته أو توفيت قبله، كما أن أخته كانت تسكن معه، بحيث بقيت هذه المسودات عند أخته . و كانت عائلته بسيطة.

وكان فى شبيبته يضرب العود ويغنى ، فلما الْتحى وجهه قال: كل غناءٍ يخرج من بين شاربٍ ولحية لايستظرف! ولما بلغ الثلاثين هجر الموسيقى والغناء ، ومالت نفسه إلى الطب والكيمياء . و قد شهد المنصفون من الباحثين بأن أبو بكر الرازي كان من بناة الحضارة الإسلامية ،بدأت مسيرته بالموسيقى ثم انتقل إلى دراسة الفلسفة على يد أبي زيد البلخي و انتهى إلى دراسة الطب في مستشفى بغداد. ولقد برز أبو بكر الرازي في الطب واكتشف بعض الأمراض ووجد حلول لها . حيث كان أبو بكر الرازي يعمل بمهنه بسيطة .قالوا حكماء الإسلام أنه كان صائغا، ولا يرد هذا عند المؤلفين الحديثين ويضيف كتاب تأريخ المؤلفين ويذكر ابن جلجل في طبقات الأطباء والحكماء أنه كان أديبا كان صاحب عيون الأنباء يقول: إنه كان صيرفيا .

ولقد حورب أبو بكر الرازي من بعض الفلاسفة ، والفقهاء ، وبادروا بالحكم عليه بالمروق عن الدين ، وحاربوا مؤلفاته ، وأحرقوا كل ما أمكنهم منها وقد حدثت هذه المحنه لابن سيناء و الغزالي وغيرهم من العلماء . أتعجب من بعض العلماء غيرتهم من بعضهم ودليل على ذلك حرق الكثير من مؤلفات أبو بكر الرازي الذي تعب وعمل جاهدا على هذه الكتب .كثرت مؤلفات أبو بكر الرازي وخاصة في مجال الطب مما جعل لديه الكثير من الخصوم ينافسونه حتى يتفوقوا عليه . كان ابن سينا خصما عنيداً لأبي بكر الرازي ، ووصفه بالتكلف والفضول. وألف أبو بكر الرازي الكثير من مؤلفاته ، ومنها **232** كتابا ورسالة ، وأكثرها في الطب . وأكبر مؤلفاته الطبية هي (الحاوي) وهي موسوعة زادت مجلداتها على العشرين. لم يستطع أبو بكر الرازي من إكمال انجازاته في الحضارة الإسلامية بمرض أصابه. في آخر عمره بنزول الماء في عينه حتى عمي ومات ببغداد . وهكذا رأينا بما أصاب أبو بكر الرازي في عينة مما أدى إلى العمى .

رحل أبو بكر الرازي عن الحضارة العربية الإسلامية وعلمائها ، وترك لنا الكثير من مؤلفاته من الكتب وموسوعات ومجلدات ورسالة .

توفي أبو بكر الرازي في الخامس من شعبان عام **231** أي **25** أكتوبر عام **925**م عن اثنين وستين عاما. فقدت الحضارة الإسلامية أبرز علمائها ، الذي خلف ورائه الكثير من أعماله التي لا تحصى .

لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت **311** هـ ، **932** م) إسهامات كبيرة في الكيمياء، ويعود له الفضل في تحويل الكيمياء القديمة (كيمياء جابر) إلى علم الكيمياء الحديث، وكانت مصنفاته أول المصنفات الكيميائية في تاريخ هذا العلم. وعلى الرغم من أن أستاذه جابر بن حيان كان أول من بشَّر بالمنهج التجريبي؛ إلا أنه كان يخلط ذلك بأوهام الرمزية والتنجيم. أما الرازي فقد تجرّد عن الغموض والإيهام وعالج المواد الطبيعية من منظور حقيقتها الشكلية الخارجية دون مدلولها الرمزي. ولذا كان الرازي بطبيعة الأمر أوسع علمًا وأكثر تجربة وأدق تصنيفًا للمواد من أستاذه.

ونستطيع أن نقول : إنه الرائد الأول في هذا العلم، وذلك في ضوء اتجاهه العلمي، وحرصه على التحليل وترتيب العمل المخبري، وكذلك في ضوء ما وصف من عقاقير وآلات وأدوات.

عكف الرازي ـ إلى جانب عمله التطبيقي في الطب والصيدلة والكيمياء ـ على التأليف؛ وصنَّف ما يربو على **220** مؤلفًا ما بين كتاب ورسالة ومقالة. وأشهر مصنفاته في حقل الكيمياء سر الأسرار نقله «جيرار الكريموني» إلى اللاتينية، وبقيت أوروبا تعتمده في مدارسها وجامعاتها زمنًا طويلاً. بيَّن في هذا الكتاب المنهج الذي يتبعه في إجراء تجاربه؛ فكان يبتدئ على الدوام بوصف المواد التي يعالجها ويطلق عليها المعرفة، ثم يصف الأدوات والآلات التي يستعين بها في تجاربه؛ وسماها معرفة الآلات، ثم يشرح بالتفصيل أساليبه في التجربة وسماها معرفة التدابير. ولعل براعة الرازي في حقل الطب جعلته ينبغ في حقل الكيمياء والصيدلة؛ إذ كان لابد للطبيب البارع آنذاك أن يقوم بتحضير الأدوية المركبة، ولا يمكن تحضير هذه المركبات إلا عن طريق التجربة المعملية. ويبين سر الأسرار ميل الرازي الكبير واهتمامه العميق بالكيمياء العملية، وترجيح الجانب التطبيقي على التأمل النظري، ولا يورد فيه سوى النتائج المستفادة من التجربة. وقسَّم المواد الكيميائية إلى أربعة : معدنية، ونباتية، وحيوانية ومشتقة.

*** مؤلفاته[١]:**

١ ـ كتاب سر الأسرار ، فيه أدوات لتحضير المركبات.
٢ ـ كتاب الحاوي في الطب.
٣ ـ كتاب المنصوري.
٤ ـ كتاب الأسرار في الكيمياء.
٥ ـ كتاب من لايحضره الطبيب.
٦ ـ كتاب المدخل إلى المنطق.
٧ ـ كتاب هيئة العالم.
٨ ـ كتاب فيمن استعمل تفضيل الهندسة من الموسمين.
٩ ـ كتاب في كيفية الإبصار.
١٠ ـ كتاب الحيل.

(١) الحفناوى : مرجع سابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ .
– تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، مصدر سابق، ص ١١١ .
– طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط٣ سنة ١٩٦٣ م . ص ٢٢٢ .

١١ ـ كتاب في الانتقاد والتحرير على المعتزلة .
١٢ ـ كتاب في الحركة وأنها ليست مرئية بل معلومة.
١٣ ـ مقالة في أن الجسم تحركيا من ذاته، وأن الحركة مبدأ طبيعي.
١٤ ـ كتاب في محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي.
١٥ ـ كتاب في الكواكب السبعة.
١٦ ـ كتاب في الرياضيات.
١٧ ـ رسالة في أن قطر المربع لايشارك الضلع من غير هندسة.
١٨ ـ كتاب في أنه لايتصور لمن لادراية له بالبرهان أن الأرض كروية.
١٩ ـ رسالة في مقدار مايمكن أن يستدرك من أحكام النجوم على رأى الفلاسفة.
٢٠ ـ كتاب في علة جذب حجر المغنطيس الحديد.
٢١ ـ قصيدة فى المنطق.
٢٢ ـ قصيدة فى العلم الإلهي.
٢٣ ـ قصيدة فى العظة اليونانية.

من مأثورات أبو بكر الرازي(١)

١ ـ متى اجتمع جالينوس وأرسطو على معنى فذلكم الصواب بعينه، أما إذا اختلفا صعب على العقول إدراك الصواب.

٢ ـ ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة ، لامقبلا على الدنيا كلية ولا معرضا عن الآخرة البتة ، وإنما يكون بين الرغبة والرهبة.

٣ ـ متى اقتصر الطبيب على التجريب من غير القياس خذل.

٤ ـ الحقيقة في الطب غاية لاتدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب من غير إعمال الطبيب عقله ، خطر.

٥ ـ الأطباء الأميون ، والمقلدون ، والأحداث الذين لاتجربة لهم ، ومن قلت عنايتهم وكثرت شهوتهم ، قتّالون.

٦ ـ إن من استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، وافقته السعادة ومريضه. العاب فلاش

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . تحقيق ، د/ عامر النجار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الثالث . سنة ٢٠٠١ م .

٧ ـ العمر قصير عن الوقوف على فعل كل نباتات الأرض ، فعليك بالأشهر مما أُجمعَ عليه ، ودع الشاذ واقتصر على ما جُرِّب.

٨ ـ على الطبيب ألا يدع مسائلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ، ثم يقضي بالأقوى.

٩ ـ إذا كان الطبيب عالما والطبيب مطيعا، فما أسرع زوال العلة.

١٠ ـ للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق به من الأطباء . فالمريض الذى يتطبب عند كثيرهم يوشك أن يقع في خطأ كل منهم.

١١ ـ إذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدواءٍ مركب.



شعره

ومن شعر أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال[1]:

لعمري ما أدري وقد آذن البلى — بأجل ترحال إلى أين ترحالي

وأين محل الروح بعد خروجه من — الهيكل المنحل والجسد البالي

◆◆◆

(١) المصدر السابق .

٢٦ ـ أبو العنبس : محمد بن إسحاق بن إبراهيم

موجز السيرة

أبو العنبس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس أبو العنبس الصيمري[١].

أحد الأدباء الظرفاء، كان خبيث اللسان هاجي أكثر شعراء زمانه وله كتب ملاح، نادم المتوكل وله مع البحتري خبر مشهور.

قال الخطيب: مات سنة خمس وسبعين ومائتين وحمل إلى الكوفة فدفن بها، قال محمد بن اسحق النديم في الفهرست: كان الصيمري من أهل الفكاهات أصله من الكوفة وكان قاضي الصيمرة وكان مع استعماله للهزل شريفا عارفاً بالنجوم وله فيه كتاب يمدحه المنجمون وأدخله المتوكل في مجلسه وخص به، وكان يقول قوام الإنسان بتسع دالات: دار ودينار ودرهم ودقيق ودابة ودبس ودن ودسم ودعوة[٢].

*** مؤلفاته:**

وله من الكتب[٣] .

- تأخير المعرفة.
- العاشق والمعشوق.
- الرد على المنجمين.
- كرزابلا.
- طوال اللحى.
- الرد على المتطببين.
- عنقاء مغرب.
- الراحة ومنافع القيادة.

(١) الوافي بالوفيات ١٩١:٢.

(٢) تاريخ بغداد : ١: ٢٣٨.

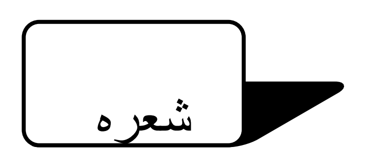
(٣) الأغاني: ٢١: ٥٣ ـ ٥٧.

– معجم المرزباني: ٣٩٣ .

– المنتظم : ٩٩:٥ .

– الفهرست : ١٦٨.

- فضايل حلق الرأس.
- هندسة العقل.
- الأحاديث الشاذة.
- فضائل الرق.
- الرد على ميخائيل الصيدناني في الكيمياء.
- عجائب البحر.
- مساوئ العوام وأخبار السفلة الأغنام.
- فضل السلم على الدرجة.
-الفاس بن الحايك.
-الدولتين في تفضيل الخلافتين.
-تذكية العقل.
- السحاقات والبغائين.
- الخضخضة في جلد عميرة.
- أخبار أبي فرعون كندر بن جحدر.
- تفسير الرؤيا.
- الثقلاء.
- نوادر القواد.
- دعوة العامة.
- الأخوان والأصدقاء.
- كني الدواب.
- أحكام النجوم.
- المدخل إلى صناعة التنجيم.
- صاحب الزمان.
- الحلقتين.
- استغاثة الجمل على ربه.
- فضل السرم على الفهم.



شعره

وكان من أبغض الناس إنشاداً يتشدق ويتزاور في مشيه مرة جائياً ومرة القهقرى ويهز رأسه ومنكبيه ويقول أحسنت والله ويقبل على السامعين ويقول ما لكم لا تقولون أحسنت .

وقال يهجو إبراهيم بن المدبر[1] :

أسل الذي عطف الموا	**كب بالأعنة نحو بابك**
وأذل موقفي العزيـ	**ـز على وقوف في رحابك**
وأراك نفسك مالكا	**ما لم يكن لك في حسابك**
أن لا يطيل تجرعي	**غصص المنية من حجابك**

وقال :

كم مريض قد عاش من بعد يأس	**بعد موت الطبيب والعوَّاد**
قد يصاد القطا فينجو سليما	**ويحل البلاء بالصياد**

ولما أنشد البحتري قصيدته للمتوكل وهي :

عن أي ثغر تبتسم	**وبأي طرف تحتكم**

وأقبل على الصيمري وقال أما تسمع ما يقول قال مرني فيه بما تحب فقال اهجه على هذه القصيدة فقال:

أدخلت رأسك في الحرم	**في أي سلح ترتطم**
ولأي كف تلتقم	**وعلمت أنك تنهزم**
فلقد أسأت لوالديـ	**ـك من الهجا سيل العرم**

وهي طويلة فلم يزل المتوكل يضحك ويصفق فغضب البحتري وخرج فأمر المتوكل للصيمري بعشرة آلاف درهم .

(١) الوافي بالوفيات ٢: ١٩١ .

ومن كتاب معجم الأدباء : محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري[1] .

قال الخطيب في تاريخه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس بن المغيرة بن ماهان أبو العنبس الصيمري الشاعر أحد الأدباء الملحاء، خبيث اللسان هجاء، هجاه أكثر شعراء زمانه وقدم بغداد، مات سنة خمس وسبعين ومائتين، وحمل إلى الكوفة فدفن بها ونادم المتوكل.

وهو القائل:

كم مريض قد عاش من بعد يأس ... بعد موت الطبيب والعواد

قد يصاد القطا فينجو سليماً ... ويحل القضاء بالصياد

وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست فقال: محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري من أهل الفكاهات وأصله من الكوفة وكان قاضي الصيمرة، وكان مع استعماله للهزل شريفاً عارفاً بالنجوم، وله فيه كتاب يمدحه المنجمون، وأدخله المتوكل في ندمائه وخص به، وله مع البحتري خبر معروف بين يدي المتوكل، وعاش إلى أيام المعتمد ودخل في ندمائه.

وحدث الصولي قال: حدثني ابن أبي العنبس وكان قدم إلينا بغداد من سر من رأى وكان متأدباً قال: عرضت لأبي حاجة إلى الحسن بن مخلد وزير المعتمد في أقطاع له فخاف معارضته وذلك أيام تقلده ديوان الضياع فقال:

زارني بدر على غصن ... قابلاً وصلى يقبلني

خلته في النوم من فرحي ... قد أعاد الروح في بدني

إن لي عن مثله شغلاً ... بمقال الشعر في الحسن

وأبيه مخلد فبه ... قد لبسنا سابغ المنن

كاتب قل النظير له ... فاضل في العلم واللسن



(1) معجم الأدباء ٦: ١٤٢١ .

- النجوم الزاهرة : ٣: ٧٤ .

- المحمدون : ١٣١.

٢٧ ـ الخشني : محمد بن الحرث بن أسد

موجز السيرة

محمد بن الحرث بن أسد أبو عبد الله الخشني القيرواني الحافظ[١]، دخل الأندلس وتمكن من صاحبها الحكم بن الناصر، قال ابن الفرضي: بلغني أن صنف مائة ديوان وكان شاعراً بليغا لكنه يلحن، وكان يعاني الكيمياء واحتاج بعد موت الحكم إلى أن جلس في حانوت يبيع الأدهان، وتوفي سنة إحدى وستين وثلثمائة.

مؤلفاته:

- كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك.
- وكتاب الفتيا وتاريخ الأفريقيين.
- والنسب..

وجاء في كتاب معجم الأدباء من سيرته:

محمد بن حارث الخشني الأندلسي ،صاحب التواريخ، ذكره الحميدي في كتابه فقال: هو من أهل العلم والفضل فقيه محدث، روى عن ابن وضاح ونحوه، وله من الكتب: كتاب أخبار القضاة بالأندلس، كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين، كتاب الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه وغير ذلك. ومات في حدود الثلاثين والثلاثمائة، ذكره أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد علي بن أحمد، وأورد عنه أبو سعيد بن يونس في تاريخه وفيات الجماعة من أهل الأندلس ممن مات قبل الثلاثمائة وبعدها بمدة، وقد أفصح أبو سعيد باسمه في موضعين من تاريخه في باب السين وباب النون، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه، وإنما يقول فيما يورده عنه: ذكره الخشني في كتابه. وذكر الحميدي في باب محمد بن عبد السلام الخشني: أن عبد الغني بن سعيد الحافظ غلط فيه فقال: محمد بن عبد السلام الخشني صاحب التاريخ، وإنما هو محمد بن حارث فغلط، هذا تلخيص كلام الحميدي لا على وجهه[٢].

(١) الوافي بالوفيات ، مصدر سابق .

- جذوة المقتبس : ٤٩.
- بغية الملتمس : ٩٣ .
- ابن الفرضي ٢ : ١١٤ .

(٢) معجم الأدباء ج٦ : ٢٤٧٩ .

٢٨ ـ التميمي : محمد بن أميل

موجز السيرة

التميمي الطبيب «محمد بن أحمد بن سعيد أبو عبد الله التميمي الطبيب»[١]. كان بالقدس أولاً، وانتقل إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي وكان قد أجتمع بالقدس براهب يقال له «أنباز خرما بن ثوابة» كان يتكلم في أجزاء العلوم الحكمية والطب فلازمه وأخذ عنه فوائد، واختص التميمي «بالحسن بن عبد الله بن طعج» المستولي على«الرملة» ثم أدرك الدولة العلوية بمصر وصحب الوزير «يعقوب بن كلس» وصنف له كتابا كبيرا سماه «مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء»، وصنف كتابا في «ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه»، وكتاب «الفحص والأخبار»، وكان التميمي موجودا بمصر سنة سبعين وثلثمائة. وله معرفة جيدة بالنبات وماهيته وكان متميزا في الطب والإطلاع على دقائقها وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة واستقصى معرفة الدرياق الكبير الفاروق وركّب منه شيئا كثيراً على أتم ما يكون، وجاء فى أحد المصادر : محمد بن أميل بن عبد الله بن أميل التميمي عالم الكيمياء والحكيم .عاش في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين. ولم تحدد الموسوعات أو كتب تاريخ العلوم عاما لميلاده أو لوفاته أو شيئا عن حياته بالرغم من الدراسات الغربية العديدة التي قامت على أعماله والكثير من الشروح على أعماله من العلماء العرب التالين له .

اهتم العلماء الغربيون المحدثون بأعمال وآراء «عبد الله بن أميل»، وذلك لجمعه بين الحكمة والكيمياء، فقد كان قصده من العمل الكيميائي إطالة الحياة، وتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة وربط بين هذين العنصرين. فقد أراد عبد الله بن أميل أن يُنشط بالإكسير جسم الإنسان وأن يطهره ويصفيه من عوامل المرض والشيخوخة فتستقر حالته الصحية ويشعر بالنشاط والصفاء فيتخلص من جميع الشوائب. والعامل الذي يصفي جسم الإنسان يستطيع أيضا أن يصفي أجسام المعادن الخسيسة وينقلها إلى الصورة الدائمة التي لا تتبدل. تلك الصورة هي صورة الذهب ولعبد الله بن أميل قصيدة وضع فيها خلاصة خبرته في علم الكيمياء أسماها: «القصيدة النونية وتدبير الحجر المكرم» .

(١) الوافى بالوفيات : مصدر سابق .

وقد شرحها ابن أميل نفسه وغيره من العلماء. ومجموعة من القصائد على حروف الروي. وله كذلك قصيدة بائية في علم الصنعة. ولعبد الله بن أميل العديد من الرسائل والكتب الهامة ومن رسائله: رسالة في الحجر المكرم وهي عبارة عن خمس رسائل تناول فيها الأحجار الكريمة بالدراسة والفحص .ولعبد الله بن أميل مجموعة من الرسائل الكيميائية المرتبطة بالعلوم الأخرى مثل الطب والفلك ومنها: رسالة في البيان ، و الرسالة في معنى طبقات الحجر ، و رسالة على الجدول وهي رسالة في علاقة المعادن بالكواكب السبعة ، و رسالة في معنى التزويج ، و رسالة في معنى التركيب ، و رسالة في كيفية الإنسان . تناول فيها نظريته عن صفاء جسم الإنسان. و رسالة الشمس إلى الهلال وهي رسالة تناولها الكثير من العلماء بالشرح. و المباقل السبعة .

ومن كتبه: المفتاح في التدبير ، و مفتاح الكنوز وحل أشكال الرموز ، و مفتاح الحكمة العظمى ، و شرح الصور والأشكال ، و ميزان القمر وميزان الشمس . والماء الورقي والأرض النجمية . وله مقالة ب عنوان: مقالة واضحة خالية عن الرمز في علم الصنعة الشريفة وهي مقالة سهلة الأسلوب وضع فيها مجمل خبرته بالكيمياء.

أبو عبد الله محمد بن أُمَيْل التميمي : عاش ما بين 900 و 960 م . وله العديد من المؤلفات الشعرية عن الصنعة منها القصيدة النونية في حجر الكيمياء، ولهذه القصيدة شرح مجهول ـ كما يقول فؤاد سيزكين ـ بعنوان «الرسالة الزينية في حل أبيات القصيدة النونية»[١]. وله :

القصيدة النونية عن حجر الحكماء ، مع شرح بقلم مجهول لأحد الأبيات : الرسالة الزينية في حل بيت القصيدة النونية : باريس 1620 : 2 ، راجع بروكلمان صفحة 318 خمس رسائل عن حجر الحكماء : غوتا رقم 1288 : 3 ، بروكلمان صفحة 319- الدرة النقية في تدابير الحجر : طهران رقم 2 / 719 ، بروكلمان صفحة 319 ، و هدية العارفين 2 / صفحة 8.

ذكر التميمي في كتابه «مادة البقاء» صفة سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وذكر أنه نقل ذلك عن أنبا وقال الصاحب جمال الدين بن القفطي القاضي الأكرم في كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء إن التميمي محمد بن أحمد بن سعيد كان جده سعيد طبيباً وصحب أحمد بن أبي يعقوب مولى ولد العباس وكان محمد من البيت المقدس وقرأ علم الطب به وبغيره من المدن التي ارتحل إليها واستفاد من هذا الشأن جزءاً متوفراً وأحكم ما علمه منه غاية الإحكام وكان له غرام وعناية تامة في تركيب الأدوية وحسن اختيار في تأليفها

(١) د. فؤاد سزكين. تاريخ التراث العربي. ت: عبد الرحمن بن عبد الله حجازي، الرياض : جامعة الملك سعود، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦، مج ٤ . ص ٤٢٤ .

وعنده غوص على أمور هذا النوع واستغراق في طلب غوامضه وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بما زاده فيه من المفردات وذلك بإجماع الأطباء على أنه الذي أكمله وله في الترياق عدة تصانيف ما بين كبير ومتوسط وصغير وقد كان مختصاً بالحسن بن عبد الله ابن طغج المستولي على مدينة الرملة وما انضاف إليها من البلاد الساحلية وكان مغرماً به وبما يعالجه من المفردات والمركبات وعمل له عدة معاجين ولخالخ طبية ودخناً دافعة للوباء وسطر ذلك في أثناء مصنفاته ثم أدرك الدولة العلوية عند دخولها إلى الديار المصرية وصحب الوزير يعقوب بن كلس وزير المعز والعزيز وصنف له كتاباً كبيراً في عدة مجلدات ، وكل ذلك بالقاهرة المعزية ولقي الأطباء بمصر وناظرهم واختلط بأطباء الخاص القادمين من أهل المغرب في صحبة المعز عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها .

وللتميمي من الكتب رسالة إلى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق الفاروق والتنبيه على ما يغلط فيه من أدويته ونعت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفية عجنه وذكر منافعه وتجربته كتاب آخر في الترياق وقد استوعب فيه تكميل أدويته وتحرير منافعه كتاب مختصر في الترياق كتاب في مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس بمصر مقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه كتاب الفاحص والأخبار[1].

شعره

وينقل سيزكين عن مجلة معهد الدراسات الإسلامية في اسطنبول (1960) أسماء بعض الأعمال الشعرية لأبي عبد الله التميمي منها: قصيدة رائية من 62 بيتا، قصيدة لامية من 8 أبيات، قصيدة ميمية من 24 بيتا، قصيدة رائية من 72 بيتا، ورائية أخرى من 18 بيتا، وهائية من 27 بيتا، ورائية رابعة من 47 بيتا، وقافية من 20 بيتا، وميمية من 23 بيتا، وسينية من 17 بيتا، وفائية من 14 بيتا، ونونية من 16 بيتا، وبائية صنعوية.

إلا أن شوقي يشير إلى أن لمحمد بن أميل بن عبد الله التميمي المصري المتوفي 170 هـ = 786 م - حسب مخطوطات المجمع العلمي العراقي - قصيدة نونية في وصف وتدبير الحجر المكرَّم ، يقول فيها:

وقل فيما علمت مقالَ صدقٍ ... وإن رغمت أنوف الحاسدينا

من الحجر الذي كَتَمَ الأوالي ... بألفاظ تقرُّ بها العيونا

(١) طبقات الأطباء : مصدر سابق .

ومن القصائد الأخرى لابن أميل ـ حسبما ذكر شوقي ـ قصيدة «رسالة الشمس إلى الهلال» أو قصيدة «الماء الورقي والأرض النجمية» مطلعها:

رسالة الشمس إلى الهلالِ … لما بدا في رقة الخِلالِ

ويقال إن هناك تخميسًا لهذه القصيدة ينسب إلى آيدمر الجلدكي. ومن أعمال بن أميل كتاب المغنيسيا في تفسير الرموز، وأوله:

رسالة الشمس إلى الهلال … سألتْ عن أفضل الأعمال

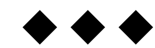
عن سرِّ رب العرش والجلال … وكشف رمز حاد بالجمال

عن طريق الحق إلى الضلال … قالت ولم توسع في المقال

هذا الإكسير فاعلميه … قد صار مملوكك فاحفظيه

وهناك قصيدة الحكيم محمد بن أميل التي شرح فيها الصور البرباوية، وهي الصور المنقوشة في البرابي (وهي الصور والأشكال والرموز الهيروغليفية).

كما أن لابن أميل «الدُّرَّة النقية في علم الكيميا والكيفية».



٢٩ ـ ابن عربي : محمد بن على بن محمد محي الدين





.

موجز السيرة

المتصوف الكبير الإمام محي الدين «محمد بن علي بن محمد بن عربي» الحاتمي الطائي الأندلسي، لقب بالشيخ الأكبر و لذا ينسب إليه مذهب باسم الأكبرية. ولد بمرسية في الأندلس في شهر رمضان الكريم عام ٥٥٨هـ الموافق ١١٦٤م عامين قبل وفاة الشيخ عبد القادر الجيلانى وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م. ودفن في جبل سفح قاسيون.

نشأته: كان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوي والتصوف . وكان جده أحد قضاة الأندلس و علمائها ، فنشأ نشأة تقية ورعة نقية من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج في جو عامر بنور التقوى فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان.

وانتقل والده إلى أشبيلية وحاكمها إذ ذاك السلطان «محمد بن سعد» ،وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس . وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء ، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، فما أن أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهما في المعاني والإشارات.ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه انتق بين البلاد واستقر أخيرا في دمشق وكان واحدا من أعلامها حتى وفاته عام ١٢٤٠ م.

وأنه مرض في شبابه مرضا شديداً وفي أثناء شدة الحمي رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر ، مسلحين يريدون الفتك به. وفجأة رأى شخصا جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرقها ولم يبق منها أي أثر فسأله محيي الدين من أنت ؟ فقال له أنا سورة يس. وعلي أثر هذا أستيقظ فرأي والده جالسا إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برئ من مرضه، وألقي في روعه أنه معد للحياة الروحية وآمن بوجود سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وتزوج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق ، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية ، بل كانت أحد دوافعه إلي الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات والموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. و كان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفي سنة ١١٤١م.



قبر محي الدين بن عربي وقد كتب على قبره

خصصت بعلم لم يخص بمثله — سواي من الرحمن ذي العرش والكرسي

وأشهدت من علم الغيوب عجائبًا — تصان عن التذكار في عالم الحسِ



قبر ولداه سعد الدين وعماد الدين بجواره

أولاده:

سعد الدين بن عربي (محمد بن محمد بن علي) ، ولد بملطية في رمضان سنة ثمان عشرة وست مائة، وسمع الحديث ودرس، وكان شاعراً مجيدا أجاد المقاطيع التي نظمها في الغلمان وأوصافهم وله ديوان مشهور، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وست مائة، وقبره عند قبر أبيه بسفح قاسيون بتربة القاضي محيي الدين ابن الزكي، ومن شعره.

يا خليلي في الزيادة ظبي سلبت مقلتاه جفني رقاده

كيف أرجو السلو عنه وطرفي ناظر حسن وجهه في الزيادة

وقوله:

لست أنسى غداة قولي لهندي لك تحت النقاب أحسن خد

فثنت عطفها إلى وقالت أنقابا تراه أم غيم ورد

عماد الدين ابن العربي أخو سعد الدين ، قال الشيخ قطب الدين اليونيني: كان فاضلاً سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي، وتوفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وست مائة ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين، ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين المقدم ذكره آنفا .

ما للنوى رقة ترثى لمكتئب حران في قلبه والدمع في حلب

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم وجلق إرم هذا من العجب

نشأته الروحية:

مما لاشك فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة ، وأنه بدأ يطلع علي أسرار الحياة الصوفية. وأنّ عدداً من الخفايا الكونية قد تكشفت أمامه وأن حياته سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية . ولم يزل عاكفا حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار . وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة من حكماء فارس والإغريق كفيثاغورس وأمبيذوقليس وأفلاطون و هذا هو سبب شغفه بالإطلاع علي جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقيين بهيئة مباشرة .

رحلاته:

وفي هذا العصر رأى في حالة اليقظة أنه أمام العرش الإلهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر و رأى طائرا بديع الصنع يحلق حول العرش و يصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق و ينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي و بأن رفيقاً من البشر ينتظره في مدينة فاس ٥٩٤هـ.

سجل تاريخي لرحلات ابن عربي:

١ـ في سنة ٥٩٥هـ كان في غرناطة مع شيخه أبي محمد عبد الله الشكاز

٢ ـ وفيما بين سنتي ٥٩٧هـ ، ٦٢٠هـ الموافق سنة ١٢٠٠ ، ١٢٢٣ بدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلي بلاد الشرق .

٣ ـ في ١٢٠١ م إلى مكة فاستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل و العلم و الخلق و الصلاح .

٤ ـ وفي ذلك الحين في إحدي تأملاته رأي مرشده السماوي مرة أخري يأمره أيضا بتأليف كتابه الجامع الخالد الغزوات المكية الذي ضمن فيه أهم أرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية.

٥ ـ وفي سنة ٥٩٩هـ زار الطائف وفي زيارته بيت عبد الله بن العباس ابن عم رسول الإسلام استخار الله و كتب رسالة حلية الإبدال لصاحبيه أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي وأبي عبد الله محمد بن خالد الصدفي التلمساني .

٦ ـ وفي ٦٠١هـ، ١٢٠٤م يرتحل إلي الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقي لبس الخرقة عن الخضر مباشرة ، ثم ألبس محيي الدين إياها بدوره. و في نفس السنة زار قبر رسول الإسلام و كما قال «وقد ظلمت نفسي وجئت إلى قبره ﷺ فرأيت الأمر على ما ذكرته وقضى الله حاجتي وانصرفت ولم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلا هذا الهجير»

٧ـ و في ١٢٠٦م نلتقي به في القاهرة مع فريق الصوفية .

٨ ـ وفي سنة ١٢٠٧م عاد إلى مكة إلي أصدقائهم القدماء الأوفياء و قام في مكة ثلاثة أعوام ثم رحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج. و تزوج هناك بوالدة صدر الدين القونوي. ثم لم مالبث أن إرتحل إلي أرمينيا .

٩ ـ وفي ١٢١١م رحل إلي بغداد و لقي هناك شهاب الدين عمر السهروردي الصوفي المشهور.

١٠ ـ وفي ١٢١٤م عاد إلي مكة و استقر فيها حتى وجد عدد من فقهائها الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته لسبب القصائد التى نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاما.

١١ـ وبعد ذلك راح إلي حلب و قام فيها ردحاً من الزمن معززا مكرما من أميرها .

١٢ ـ أخيرا أقام بدمشق سنه ١٢٢٣م حيث كان أميرها أحد تلاميذه ومن المؤمنين بعلمه و نقائه و عاش حياته في دمشق يؤلف و يعلم وكان واحدا من كبار العلماء بين أهل العلم والفقه في دمشق ، فدون وكتب مراجعة ومؤلفاته وكان له مجلس العلم والتصوف في رحاب مجالس الفقه والعلم بدمشق .

توفي بن عربي في ٢٨ ربيع الثاني من سنة ٦٣٨هـ الموافق ١٦ نوفمبر من سنة ١٢٤٠م ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق .

عقيدة محي الدين بن عربي ومذهبه الفقهي :

قال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء « ابن عربي العلامة صاحب التواليف الكثيرة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي ابن العربي نزيل دمشق ذكر أنه سمع من ابن بشكوال وابن صاف وسمع بمكة من زاهر ابن رستم وبدمشق من ابن الحرستاني وببغداد وسكن الروم مدة وكان ذكيا كثير العلم كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ثم تزهد وتفرد وتعبد وتوحد وسافر وتجرد واتهم وأنجد وعمل الخلوات وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة، وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات ، توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مئة وقد أوردت عنه في التاريخ الكبير وله شعر رائق وعلم واسع وذهن وقاد »

*** أهم كتبه:**

- الفتوحات المكية .
- فصوص الحكم .
- ترجمان الأشواق ديوان ابن عربي.

*** نظريات ابن عربي :**

- وحدة الوجود .
- الإنسان الكامل .
- ختم الولاية .
- الأعيان الثابتة .
- المراتب السبعة .
- التنزلات الستة .

*** شهرة ابن عربي وعلاقة المذاهب الفقهية و الكلامية به:**

السيد محمد بن علي بن عربي شخصية بارزة في عالم الفكر الديني وشهرته لاتنحصر في حدود العالم الإسلامي فحتى الغربيين و الأسيويين بلغهم صيت هذا الرجل بل وساهموا في دراسته واستلهامه ،أضف إلى ذلك فإن شخصيته مثيرة للجدل فلايكاد يتفق عليه اثنان حتى أن تحديد مذهبه الفقهي أو الكلامي من خلال كلماته يكاد يكون ضرباً من التعسف و المجازفة، و يعزو البعض ذلك إلى أنه فوق المذاهب وأعلى من أن يتمذهب بها، هذا ولقد اختلف أرباب المذاهب الإسلامية المختلفة بشأن العلامة ابن عربي فبينما ثابر نفر منهم على التبري منه وإخراجه عن دائرة المذهب بل والدين ترى من نفس هذا المذهب من هو على النقيض من ذلك ، فكما تنافس بعض أرباب المذاهب لإخراجه من مذاهبهم تنافس البعض الآخر في جره إلى نفس ما أخرج منه من مذاهب فكل يقول أن ابن عربي هو على مذهبي وليس من مذاهب الآخرين في شيء!!!

شعره

ألمْ ترَ أنَّ اللهَ أكرمَ أحمدا	**ونادى بهِ حتى إذا بلغَ المدى**
تلقاه بالقرآن وحياً منزلاً	**فكان له روحاً كريماً مؤيدا**
وأعطاه ما أبقى عليه مهابة	**فأورثهُ علماً وحلماً وسؤددا**
وأعلى بهِ الدين الحنفيَّ والهدى	**وصيرهُ يومَ القيامة سيدا**
وهيأ يومَ الفصلِ عندّ ورودهِ	**لهُ فوقَ أدنى في التقربِ مقعدا**
وعين يوم الزور في كلِّ حضرة	**له في كَثيبِ المسكِ نُزُلاً ومشهدا**
فيا خيرَ خلقِ اللهِ بلْ خيرَ مرسلٍ	**لقد بتَ في الأعراق نشأ ومحتدا**
تحليتَ للإرسالِ في كلِّ شرعة	**يظهرن آياتٍ ويقدحن أزندا**
ففي قولكُم لمّا دعيتُ مذمماً	**وقد كان سمّاكَ الإله محمدا**
لقدْ عضمَ الرحمنُ بالرحمة اسمنا	**كعصمتنا من سبٍّ من كان ألحدا**
علومٌ وأسرارٌ لمن كان ذا حجى	**تدل على خُلق كريمٍ من العِدى**
فيا خيرَ مبعوثٍ إلى خيرِ أمة	**لو أنك في ضيقٍ لكنت لك الفدا**

ولمَّا دعوتُ اللهَ غيرةَ مؤمنٍ ... على من تعدَّى في الشريعة واعتدى

أتاكَ عتابُ اللهِ فيه ولم تكنْ ... أردت به إلا التعصبُ للهدى

بأنكَ قدْ أرسلتَ للخلقِ رحمة ... ومن كان هذا أصله طاب مولدا

مدحتك للأسماع مدحَ معرِّف ... وقمت به في موقفِ العدلِ مُنشدا

وها أنا أتلو في مديحك السنا ... تعزَّ على منْ كانَ في العلمِ قدْ شدا

ولم أغل بل قلت الذي قال ربنا ... وجئت به فضلاً مبيناً لأرشدا

مدحتك بالأسماء أسماء ربنا ... ولمْ ألتفت عقلاً ورأياً مسدَّدا

بأنكَ عبدُ اللهِ بلْ أنتَ كونهُ ... وأنت مضاف الكافِ شَرعاً وما بدا[10]

فعينك عين السِّرِّ والسمعُ سمعُه ... وأنت الكبير الكل للعين إنْ بدا

وأنت الذي أكني إذا قلت كنية ... وأنت الذي أعني إذا ما تمجدا

لقد خصك الرحمن بالصورة التي ... روينا ولم ينزل لنا ذكرها سدى

وأنت مقالُ العبد عند قيامه ... من الركعة الزلفى ليهوي فيسجدا

وأنتَ وجودُ الهاءِ مهما تعبدتْ ... وأنتَ وجودُ الواوِ مهما تعبدا

فقلْ إنه هوَ أو فقلْ ليسَ هو بهو ... وإياكَ أن تبغي لنفسكَ موعدا

ولا تأخذ إلا لقاءً زوراً فإنه ... حقيقتكم إن راح عنكم وإن غدا

ولمَّا اصطفاكَ اللهُ عبداً مقرباً ... أراك الذي أعطى عليك وأشهدا

فمنْ كانَ يدريهِ يكونُ موحداً ... ومن كان لا يدري يكون موحدا

إذا ما مدحت العبد فامدحه هكذا ... وكن في الذي تلقيه عبداً موحدا

فإنك لم تمدحه إلا به فكن ... لمن جاء يستفتيك ركناً ومقصدا

فوالله لولا اللهُ ما كنتُ مصلحاً ... ووالله لولا الكونُ ما كنتُ مُفسدا

فمنْ كانَ مشهوداً به كانَ مؤمناً ... ومن كان معلوماً له كان ملحدا

فكنْ منْ علا في الأمرِ بالأمرِ نفسهِ ... ولا تكُ ممن قالَ قولاً فأخلدا

فهذا مديح الاختصاصِ مبينٌ ... جمعتُ لكمْ بين الندا فيه والندى

وأجريتُ فيه الخمر نهر الشارب ... إذا ما تحسَّى جرعة منه عربدا

ألا إنني أرجو منَ اللهِ أنْ أرى ... بمشهده الأعلى عبيداً مؤيدا

بأسمائه الحسنى وأنفاسِ جودِه ... أكونُ بها بينَ الأنامِ مسوَّدا

له قصيدة همزية في الكيمياء مطلعها[1]:

يا طالب الأسرار في الأسماءِ ... إن الذي تبغيه عند الماءِ

وعلى النحو ....

سبحانَ من كوَّن السماءَ ... والأرضَ والماءَ والهواءَ

وكونّ النار أسطقسّاً ... فاكتملتْ أربعاً وفاءَ

صعدَ ما شاءَهُ بخاراً ... وحلل المعصِراتِ ماء

ولم يكن ذاك عن هواها ... لكنه كان حين شاءَ

وإنما قلتُ حينَ شاءَ ... من أجل مَن شرَّع الثناء

مع القبولِ الذي لديها ... فميّزَ الداءَ والدواء

منازلُ الممكناتِ ليستْ ... في كلِّ ما تقتضي سواءَ

فالأمرُ دورٌ لذاكَ كانتْ ... في الشكل كالأكرة ابتداء

تحرّكتْ للكمال شوقاً ... تطلبْ في ذلك اعتلاء

والأمر لا يقتضيه هذا ... بل يقتضي أمرُها انتماءَ

لولا وجودُ الذي تراهُ ... ما أوجد الصبحَ والمساء

والحكم بي ما استقلَّ حتى ... أوجد في عينِها ذكاءَ

---

(١) العلوم العقلية : مصدر سابق ص ٥٧٢.

مــن ضــدّه كــان كــل ضــدٍّ فلــم يكــن ذلــك اعتــداء

أضــحكني بســطهُ ولمَّــا أضــحكني قبضــهُ تنــاءَى

مــن كونــه مانعــاً بخلنــا والمعطــي أعطــى لنــا السـخاءَ

فلــو علمــتَ الــذي علمنــا كلّــــــــهُ عطــــــــاءَ

صــــيرني للــــذي تــــراهُ علــى عيــونِ النهــى غطــاءَ

وهــو صــحيحٌ بكــل وجــهٍ مِــنْ خيــرٍ أو ضــدَّه جــزاء

فقــالَ هــذا بــذا ففكــرْ أثبتــهُ الشــارعُ ابــتلاءَ

والجــودُ مــا زال مســتمرّاً إذ تســمعُ القــولَ والنــداءَ

قــد جعــلَ الله مــا تــراه أودعــه الأرضَ والســماء

فقــال إنِّــي جعلــتَ أرضــي منهــا ومــنْ أرضِــها ابتنــاءَ

فــالأمرُ أنثــى تمــدُّ أنثــى فراشــها والســما بنــاء

مــن غيــرةٍ كــان مــا تــراه لكنــهُ رجــحَ الخفــاءض

فــذكر البعــلَ وهــو أنثــى ممــا بــه خاطــب النســاء

مــن يعــرفِ الســر فيــه يعثــر وعنــد ذاك اســتوى اســتواءَ

لمــعَ البــرقُ علينــا عشــاءً علــى الــذي قلتــه ابتــداء

وســطا باســمٌ حكــيمٌ فــأخفى وكمثــلِ الصــبحِ ردَّ المســاءُ

زرعَ الحكمــة فــي أرضِ قــومٍ وكســاها مــن ســناه البهــاءُ

ومن شعره:

لـي الأرضُ الأريضـةُ والسـماءُ — وفي وسطي السواءُ والاستواءُ

لـي المجدُ المؤثلُ والبهاءُ — وسرُّ العالمين والاعتلاءُ

إذا ما أمتِ الأفكار ذاتي — يحيرّها على البعد العماءُ

فما في الكون من يدري وجودي — سوى من لا يقيدهُ الثناءُ

له التصريفُ والأحكام فينا — هو المختارُ يفعلُ ما يشاءُ

البرقُ يلمعُ والرعودُ تسبحُ — والغيثُ ينزل والمنازلُ تصبحُ

مخضرةٌ هاماتها وبقاعُها — والزهرُ في روضاتِها يتفتحُ

فترى جنانَ الخلد أنشاها لنا — بصدورٍ أعلامٍ إذا هي تشرحُ

وقطوفها تدنو فتطعمُ منْ لهُ — ذوقٌ هيَ بالعبارة تفصحُ

فالخلقُ منهُ إذا نظرتَ مهللٌ — ومكبِّر ومعظَمٌ ومُسَبِّح

والكلُّ مثنٍ بالذي هوَ أهلهُ — فالله يُعطي مَن يشاء ويمنحُ

ومن شعره:

رأيتُ بارقةً كالنجمِ لامعةً — بسقفِ بيتي على قُرب من السحرِ

علمتها عينَ منْ أهوى تعرفني — بما أنا منهُ في وردٍ وفي صدرِ

وكنتُ في حاضرِ الأبصارِ أرقَبه — لحادثٍ كان لي فيهم من الخبر

على لسانِ الذي ظني بهِ حسنٌ — يحيا الفؤادُ بذاكرهُ وبالنظرِ

عن الرسولِ رسولِ الله سيدنا — المصطفى المجتبى المختارِ منْ مضرِ

فقلت أعرفكم حالاً وأشهدكم — عيناً وأظهرَكمْ لأعينِ البشرِ

لأنُهم جهلوا ما نحنُ نعلمهُ — منَ التجلي الذي للهِ في الصورِ

ما قلتُ فيك ولا فهنا بذكركمْ — إلا بما جاءَ في الآياتِ والسورِ

أتلـــو وأســـردُ آيـــاتٍ علمـــتُ بهـــا ... في شأنكمْ عنكمْ ما قلتُ عنْ نظرِ

ما لي التحكمُ في نفسي فكيفَ لنـا ... فيـه الـتحكمُ والرامـي علـى خطـرِ

من أن يصيبَ بـه مـن لا يجوز لـه ... فيــهِ التصــرفُ إلا حالــةَ الضــررِ

مثـل النبـي الـذي يـوحى إليـه بـه ... لكـــي يبلغـــه للســـمع والبصـــرِ

ولـه ديـوان كبيـر حـوالي 580 قصـيدة وقـد اختـرت منـه بعـض الأبيـات والقصائد السابقة .



٣٠ ـ الخراط: يحي الخرّاط.

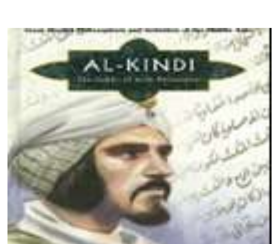
أبو بكر بن يحيى الكاتب الخراط.:

له أرجوزة مخطوطة من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بالمكتبة الوطنية بباريس رقم 2776 بعنوان «أرجوزة الفصيحة في الأعمال الصحيحة» مقسمة إلى أربعة أقسام .



٣١ ـ الكندي : يعقوب ابن إسحاق







موجز السيرة

نظرا لأهمية هذا العالم فإننا نلقي عليه الضوء بإسهاب وذلك من باب المساعدة للباحثين وكون جده الأشعث بن قيس من كبار صحابة رسول الله ﷺ وهو الذى مدحه الأعشى بن قيس بن ثعلبة بقصائده الأربع الطوال التي

أولاهن: لعمرك مطول هذا الزمن.

والثانية: رحلت سمية غدوة أحمالها.

والثالثة: أزمعت من آل ليلى ابتكارا.

والرابعة: أتهجر غانية أم تلم.

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد كرب بن معاوية بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن (الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر) بن معاوية بن ثور بن مربع بن كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشحب بن (عريب بن زيد كهلان بن سبابن يسحب بن يعرب بن قحطان).

وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للمهدى والرشيد وكان الأشعث بن قيس بن معد كرب ملكا على جميع كندة. وكان أبوه معد كرب بن معاوية ملكا على بنى الحارث الأصغر بن معاوية فى حضرموت . وكان أبوه معاوية بن جبلة ملكا بحضرموت أيضا على بنى الحارث الأصغر وكان معاوية بن الحارث الأكبر وأبوه ثور ملوكا على معد(بالمشقر) واليمامة والبحرين. . وكان يعقوب بن إسحاق الكندى عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة فى جميع العلوم. وقال سليمان بن حسان إن يعقوب بن إسحاق الكندى شريف الأصل بصرى كان جده ولى الولايات لبنى هاشم ونزل البصرة وضيعته هناك وانتقل إلى بغداد وهناك تأدب. وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق ، وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم. ولم يكن فى الإسلام فيلسوف غيره احتذى فى تآليفه حذو «أرسطو طاليس» ، وله تآليف كثيرة فى فنون العلم. وخدم الملوك فباشر بالأدب، وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ولخص المستصعب وبسط العويص. وقال أبو معشر فى كتاب المذكرات لشادن وحذاق التراجمة فى الإسلام أربعة: حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى ،، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبري.

وقال بن النديم البغدادى لا الكاتب المعروف بابن أبى يعقوب فى كتاب الفهرست، كان أبو معشر (جعفر بن محمد البلخى) من أصحاب الحديث أولا ومنزلة فى الجانب الغربى بباب خراسان ببغداد يضاغن الكندى ويغرى به العامة ويشنع عليه لعلوم الفلاسفة . فدس عليه الكندى من حسن عليه النظر فى علم الحساب والهندسة فدخل فى ذلك يكمل له إلى علم (أحكام) النجوم، وانقطع شره عن الكندى بنظره فى هذا العلم ، لأنه من جنس علوم الكندى.

ويقال: إنه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وكان فاضلا حسن الإصابة وضربه (المستعين) أسواطاً، لأنه أصاب فى شىء خبر بكونه قبل وقته فكان يقول أصبت فعوقبت وكان مولده بواسط يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وتوفى أبو معشر وقد كان جاوز المائة سنة.وقال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم فى كتب حسن العقبى ، حدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب قال كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر فى أيام المتوكل يكيدان كل من تقدم فى معرفة . فأشخصا (سند ابن على) إلى مدينة السلام (بغداد) وباعداه عن المتوكل.

ودبرا على الكندى حتى ضربه المتوكل وتوجها إلى داره فأخذا كتبه بأسرها وأفرداها فى خزانة سمّيت الكندية ، ومكنت هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة.وتقدم إليهما فى حفر النهر المعروف بالجعفري، فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغانى الذى عمل المقياس الجديد بمصر، وكانت معرفته أوفى من توفيقه،لأنه ماتم له عمل قط ، فغلط فى فوهة النهر المعروف بالجعفري، وجعلها أخفض من سائره فصار مايغامر الفوهة لايغمر سائر النهر. فدافع محمد وأحمد ابنا موسى فى أمره واقتضاهما المتوكل فسعا بهما إليه ....قال محمد ابن موسى لسند بن على : يا أبا الطيب إن قدرة الحر تذهب حفيظته وقد فزعنا إليك فى أنفسنا ، وما ننكر أننا أسئنا ، والإعتراف يهدم الإقتراف فتخلصنا كيف شئت. فقال لهما : والله إنكما لتعلمان مابينى وبين الكندى من العداوة والمباعدة ولكن الحق أولى ماأتبع ،أكان من الجميل ماأتيتماه إليه من أخذ كتبه ؟ ووالله لاذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه. فتقدم محمد بن موسى فى حمل الكتب إليه وأخذ خط باستيفائه ، فوردت رقعة الكندى بتسلمها عن آخرها. فقال : قد وجب لكما على ذمام برد كتب هذا الرجل ، ولكما ذمام بالمعرفة التى لم ترعياها فى والخطأ فى هذا النهر .

لكن الكندي لم يعد إلى سابق عهده في قصر الخلافة، فمات بعد سنوات قليلة مجهولاً مغموراً بعد أن عاش ما يقرب من سبعين سنة. وذكر في وفاته إنه كان يشكو ألما في ركبتيه وكان يعالج ذلك بالشراب العتيق، ولما كف عن تناول استخدام شراب العسل لم ينفعه، فقوي المرض عليه فأوجع العصب وجعا شديدا، فأتى الألم إلى الرأس والدماغ فكان سبب موته.

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب فى كتاب الفهرست[1]: كان من تلامذة الكندي ووراقيه حسنوية ونفطوية وسلموية وأخر على هذا الوزن. ومن تلامذته أحمد بن الطبيب وأخذ عنه أبو معشر أيضا. قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة فى كتاب فوائد الدر : قال بعضهم : أنشدت يعقوب بن إسحاق الكندى[2]:

وفى أربع منى حلت منك أربع	**فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى**
أوجهك فى عينى أم الطعم فى فمى	**أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلى**

(١) الفهرست : مصدر سابق ص ٣١٥.

(٢) عيون الأنباء : مصدر سابق ص١٧٧.

*** من مأثورات الكندى ووصاياه[1] :**

- العبد حر ماقنع، والحر عبد ماطمع
- من ملك نفسه ، ملك المملكة العظمى.
- لاتُنال الفلسفة إلا بالرياضيات.
- العاقل من يظن أن فوق علمه علما ، والجاهل يظن أنه قد تناهى فتمقته النفوس.
- يحتاج طالب العلم إلى ستة أشياء ليكون فيلسوفاً فإذا نقصت نقص:

ذهن بارع، وعشق لازم ، وصبر جميل ، وورع خال ، وفاتح مفهم ، ومدة طويلة.

- من جهل رزل.

*** وصاياه لابنه أبى العباس:**

«يابنى الأب رب ، والعم خال، والولد كمد ، والأقارب عقارب ، وقول لا يصرف البلاء وقول نعم : يزيل النّعم ، وسماع الغناء بِرسام حاد؛ لأن الإنسان يسمع فيطرب، وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت ، والدينار محموم فإن صرفته مات، والدرهم محبوس فإن أخرجته فر، والنّاس شجرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ، ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة، فإنها تدع الديار بلاقع» .

*** مصنفات الكندي[2] :**

كانت للكندي وفرة من المصنفات ، فقد جاوزت كتبه ورسائله المائتين في مختلف المعرفة ، إلا أن أكثرها قد فقد أصله العربي . ومن هذه المصنفات:

(أ) في المنطق:

١ ـ كتاب المدخل المنطقي المستوفى.

٢ ـ كتاب المدخل المختصر.

٣ ـ كتاب المقولات العشر.

٤ ـ كتاب البرهان المنطقي.

---

(١) المصدر السابق ص١٧٧.

(٢) المصدر السابق ص١٧٨:١٩١

– الفهرست : مصدر سابق ص ٣١٥:٣٢١.

– قطوف من سير العلماء : ص

– تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى: مصدر سابق :٤١.

(ب) في الفلكيات:

٥ ـ كتاب ظاهريات الفلك.

٦ـ كتاب في العالم الأقصى .

٧ ـ كتاب في الصور.

٨ ـ كتاب في المناظر الفلكية.

١٠ ـ كتاب في صنعة بطليموس.

١١ـ كتاب في تناهى جرم العالم .

١٢ ـ كتاب في ماهية الفلك واللون اللازوردي المحسوس من جهة السماء.

١٣ ـ كتاب في البرهان على الجسم السائر وماهية الأضواء والظلام.

(ج) في الطبيعيات:

١٤ ـ كتاب في الطب الروحانى.

١٥ ـ كتاب في الطب البقراطى.

١٦ ـ كتاب في الغذاء والدواء.

١٧ ـ كتاب في الأبخرة.

١٨ ـ كتاب في أقسام الحميات.

١٩ ـ كتاب في أجساد الحيوان إذا فسدت.

٢٠ ـ كتاب في قدر منفعة صناعة الطب.

٢١ ـ كتاب في صنعة أطعمة من غير عناصرها.

٢٢ ـ كتاب في تغيير الأطعمة.

٢٠ ـ كتاب في القرابازين.

٢٣ ـ كتاب في منفعة الاختيارات.

٢٤ ـ كتاب الأدوية المشتقة من الروائح المؤذية.

٢٥ ـ كتاب في علة نفث الدم.

٢٦ ـ كتاب أشفيه السموم.

٢٧ ـ كتاب كيفية الدماغ.

٢٨ ـ كتاب في وجع المعدة والنقرس.

٢٩ ـ كتاب نفس العضو الرئيسي في الإنسان.

٣٠ ـ علاج الطحال.

٣١ ـ حدود المواليد.

٣٢ ـ تحويل سنى العالم .
٣٣ ـ الاستدلال بالكسوفات على حوادث الجو.
٣٤ ـ كتاب تدبير الأصحاء.

(د) في الفلسفيات:

٣٥ ـ كتاب في الفلسفة الداخلة.
٣٦ ـ كتاب في أنه لاتنال الفلسفة إلا بالرياضيات.
٣٧ ـ كتاب في قصد أرسطو طاليس في المقولات.
٣٨ ـ كتاب في أقسام العلم الإنسي.
٣٩ ـ كتاب في الحث على تعلم الفلسفة.
٤٠ ـ كتاب في ترتيب كتب أرسطو طاليس.
٤١ ـ كتاب في مائية العلم وأقسامه.
٤٢ ـ كتاب في الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد.
٤٣ ـ كتاب في أن أفعال الباري كلها عدل.
٤٤ ـ كتاب في مائية الشيء الذى لانهاية له.
٤٥ ـ كتاب في اعتبارات الجوامع الفكرية.
٤٦ ـ كتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات.
٤٧ ـ كتاب في بحث المدعى أن الأشياء الطبيعية تفعل فعلا واحدا بإيجاب الخلفة.

(هـ) في الحسابيات:

٤٨ ـ رسالة في تأليف الأعداد.
٤٩ ـ رسالة في المدخل إلى الأرثماطيقى.
٥٠ ـ رسالة في الحساب الهندى.
٥١ ـ رسالة في الأعداد التى ذكرها أفلاطون.
٥٢ ـ رسالة في التوحيد من جهة العدد.
٥٣ ـ رسالة في النسب الزمانية.
٥٤ ـ رسالة في الحيل العددية وعلم إضمارها.
٥٥ ـ رسالة في الخطوط والضرب بعدد الشعير.
٥٦ ـ رسالة في الكمية المضافة.

(و) في الكريات:

٥٧ ـ رسالة في أن العالم كل مافيه كروى.

٥٨ ـ رسالة في أن العناصر والجرم الأقصى كرية.

٥٩ ـ رسالة في أن الكرة أعظم الأشكال الجرمية.

٦٠ ـ رسالة في الكريات.

٦١ ـ رسالة في عمل السمت على كرة.

٦٢ ـ رسالة في أن سطح ماء البحر كرى.

٦٣ ـ رسالة في تسطيح الكرة.

(ز) : في النجوميات:

٦٤ ـ رسالة في رؤية الهلال لاتُضبط بالتحقيق وإنما القول فيه بالتقريب.

٦٥ ـ رسالة في السؤال عن أحوال الكواكب.

٦٦ ـ رسالة في كيفيات النجومية.

٦٧ ـ رسالة في مطروح الشعاع .

٦٨ ـ رسالة فيما ينسب إليه كل بلد من البلدان إلى بروج أو كوكب.

٦٩ ـ رسالة في تصحيح عمل نحو دارات المواليد.

٧٠ ـ في أعمار الناس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن.

٧١ ـ رسالة في رجوع الكواكب.

٧٢ ـ رسالة في سرعة مايرى من حركة الكواكب في الأفق وإبطائها كلما علت .

٧٣ ـ رسالة في فصل مابين السنين.

٧٤ ـ رسالة في الأوضاع النجومية.

٧٥ ـ رسالة في علل أحداث الجو.

٧٦ ـ رسالة في علة أن بعض الأماكن لاتمطر.

(ح) في الهندسيات:

٧٧ ـ كتاب أغراض كتاب إقليدس.

٧٨ ـ كتاب إصلاح إقليدس.

٧٩ ـ كتاب اختلاف المناظر.

٨٠ ـ كتاب اختلاف مناظر المرآه.

٨١ ـ كتاب تقسيم المثلث والمربع .

٨٢ ـ كتاب كيف تعمل الدائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة.

٨٣ ـ رسالة في إصلاح المقالة الرابعة والخامسة عشرة من كتاب إقليدس.
٨٤ ـ كتاب البراهين المساحية.
٨٥ ـ كتاب تصحيح أقوال أبقيلادس في المطالع.
٨٦ ـ كتاب صنعة الإسطرلاب.
٨٧ ـ كتاب استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة.
٨٨ ـ كتاب عمل الرخامة بالهندسة.
٨٩ ـ كتاب عمل الساعات على صفيحة تنصب على سطح الموازى للأفق
٩٠ ـ رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة.

(ط) في النفسيات:

٩١ ـ كتاب في أن النفس جوهر بسيط غير دائر.
٩٢ ـ كتاب في علة النوم والرؤية وما تؤمر به النفس.

(ى) في السياسيات:

٩٣ ـ كتاب تسهيل سبل الفضائل.
٩٤ ـ كتاب دفع الأحزان.
٩٥ ـ كتاب في فضيلة سقراط.
٩٦ ـ كتاب في ألفاظ سقراط.
٩٧ ـ كتاب في المحاورة بين سقراط وأرسوا يس.
٩٨ ـ كتاب فيما جرى بين سقراط والحرّانين
٩٩ ـ كتاب خبر العقل .
١٠٠ ـ رسالة في الرئاسة.
١٠١ ـ رسالة في الأخلاق.
١٠٢ ـ رسالة في سياسة العامة.
١٠٣ ـ رسالة في التنبيه على الفضائل.
١٠٤ ـ رسالة في خبر موت سقراط .

(ك) في الإحداثيات:

١٠٥ ـ كتاب في ماهية الزمان والحين والدهر.

١٠٦ ـ كتاب في اختلاف الأزمنة التى تظهر فيها قوى الكيفيات الأربع الأولى.

١٠٧ ـ كتاب في العلّة التى يبرد بها أعلى الجو ويسخن ماقرب من الأرض.

١٠٨ ـ كتاب في الأثر الذى يظهر في الجو ويسمى كوكباً.

١٠٩ ـ كتاب في الكوكب الذى يظهر أياماً ويضمحل.

١١٠ ـ كتاب في علّة برد أيام العجوز.

١١١ ـ كتاب في علة الضباب.

(ل) في الأنواعيات:

١١٢ ـ كتاب في أنواع الجواهر الثمينة

١١٣ ـ كتاب في أنواع السيوف والحديد .

١١٤ ـ كتاب التنبيه على خدع الكيميائيين .

١١٥ ـ رسالة في كيمياء العطر والتصعيدات.

١١٦ ـ كتاب في المد والجزر .

١١٧ ـ كتاب أركان الحيل.

١١٨ ـ كتاب في عمل المرايا المحرقة .

١١٩ ـ رسالة في الأجرام الغائصة في الماء.

١٢٠ ـ كتاب في علّة الرعد والبرق والثلج والصواعق والمطر.

١٢١ ـ كتاب في إبطال دعوى من يدعى صنعة الذهب والفضة .

١٢٢ ـ كتاب في الخيل والبيطرة.

١٢٣ ـ كتاب فيما يصبغ فيعطى لونا.

(م) في الجذريات:

١٢٤ ـ كتاب الرد على التنويه.

١٢٥ ـ كتاب الاحتراس عن خدع السفسطائية.

١٢٦ ـ كتاب نقض مسائل الملحدين .

١٢٧ ـ كتاب تثبيت الرسل عليهم السلام .

١٢٨ ـ كتاب في الاستطاعة زمانها ومكانها.

١٢٩ ـ كتاب في أن الحركة الطبيعية والعرضية سكون.

١٣٠ ـ كتاب في الجسم وأنه لاساكن ولا متحرك في أول إبداعه .
١٣١ ـ كتاب في التوحيدات.
١٣٢ ـ كتاب في جواهر الأجسام .
١٣٣ ـ كتاب القول في أوائل الأجسام.
١٣٤ ـ كتاب في الجزء التى لايتجزء.

(ن) في الموسيقيات:

١٣٥ ـ رسالة في خبر صناعة التأليف .
١٣٦ ـ رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى.
١٣٧ ـ الرسالة الكبرى في التأليف(أو الكتاب الأعظم في التأليف).

*** السلم الموسيقى عند الكندى:**

الكندي من أوائل الذين قدموا دراسات متميزة عن الأنغام وطبيعة الأصوات الموسيقية وعلم التأليف. والجميل أنه حدد مواقع النغمات على أوتار العود بنسبها العددية وبواسطة دساتين (مواقع) الأصابع (السبابة- الوسطى – الخنصر – البنصر) على الأوتار. وفي ذلك العصر يطلق على النغمات أحرفا أبجدية من حروف الجّمل (أبجد – هوز – حطي ...) والسلم الموسيقي عنده مكون من سبعة نغمات أساسية والديوان لديه مكون من اثنى عشرة نغمة والمسافة بين كل نغمة والأخرى نصف بعد. وأطلق عليها (أ- ب – ج – د - هـ - و- ز- ح – ط – ي - ك - ل) ويقابلها بالمفردات الموسيقية الحالية اذا اعتبرنا مطلق صوت وتر البم (لا): (لا- سي بيمول – سي – دو - دو# - ري – مي بيمول – مي – فا – فا# - صول – لا بيمول) ويلاحظ أن الأبعاد بين النغمات أما بعد كامل او نصف بعد ولا يوجد في سلم الكندي هذا مسافة الربع تون. وهذا السلم في أبعاده شبيه بسلم فيثاغورث العالم الرياضي اليوناني. وقد بين العالم الكندي مواضع النغمات على آلة العود وان عددها ٢٥ موضع (ديوانيين) لكن المستخدم منها، حسب رأيه، عشرون نغمة فقط والغير مستخدم عددها خمسة نغمات هي (سي بيمول – مي بيمول – لا بيمول – دو دييز – فا#). ودوزان أوتار العود عند الكندي كالتالي (لا – ري – صول – دو – ثم الوتر الخامس النظري يدوزن على نغمة – فا).

وللكندي مؤلفات كثيرة أغلبه قد فقد وتبقى بعضها في المكتبات الغربية، وضاع الأصل !! وله مباحث في الضوء والحرارة وحركة الرياح وظاهرة المطر وظاهرة الضباب والكهرباء الساكنة ولون السماء وظاهرة المد والجزر والمنظومة الشمسية والموسيقى (انظر مؤلفنا أغرب قضايا السبق العلمى لعلم وعلماء الرياضيات أمام محاكم التاريخ قريبا ــ موسوعة في عشرة أجزاء)

شعره

أنـــا فـــي الـــدنيا علـــى الأرؤس	**فغمـــض جفونـــك أو نكـــس**
وصائد سوادك وأقبض يديك في	**قعــــر بيـــــتك فاســـــتجلس**
وعنـــد مليكـــك فابـــغ العلـــو	**وبالوحـــدة اليـــوم فاســـتأنس**
فـإن الغنـى فـي قلـوب الرجـال	**وإن التعـــــزز بـــــالأنفس**
وكـائن تـرى مـن أخـى عسـره	**غنـــى وذي ثـــروة مفلـــس**
فـإن تطعـم الـنفس مـا تشتـهى	**تقيـك جميـع الـذى تحتسـى**



٣٢ ـ ابن المعروف : نصر بن محمود بن المعرف

موجز السيرة

بلمظفر بن معرف: هو بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف كان ذكياً فطناً كثير الإجتهاد والعناية والحصر في العلوم الحكمية وله نظر أيضاً في صناعة الطب والأدب ويشعر وكان قد اشتغل على ابن العين زربي ولازمه مدة وقرأ عليه كثيراً من العلوم الحكمية وغيرها ورأيت خطه في آخر تفسير الإسكندر لكتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس وهو يقول إنه قرأه عليه وأتقن قراءته وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سة أربع وثلاثين وخمسمائة وكان بلمظفر حسن الخط جيد العبارة وكان مغرى بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها وكتب بخطه من الكتب التي صنفت فيها شيئاً كثيراً جداً وكذلك أيضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكمية وكانت له همة وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي عنه أنه كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه وأن بلمظفر لم يزل في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ.

ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة من يجانس ذلك الكتاب.



شعره

ومن شعر بلمظفر بن معرف:

وقالوا الطبيعة مبدأ الكيان   فيا ليت شعري ما هي الطبيعة

أقادرة طبعت نفسها   على ذاك أم ليس بالمستطيعة

وقال أيضاً :

وقالوا الطبيعة معلومنا   ونحن نبين ما حدها

ولم يعرفوا الآن ما قبلها   فكيف يرومون ما بعدها

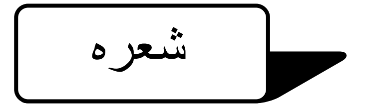


٣٣ ـ الدينوري : نصر بن يعقوب

موجز السيرة

نصر بن يعقوب،أبو سعد الدينوري. مصنف كتاب التعبير المعروف«بالقادري»؛ ذكره الثعالبي فى من ورد من نيسابور .

وقال : تعقد عليه الخناصر بخراسان فى الكتابة والبراعة فى الصناعة[١]، وله من الكتب «فى بدائع التشبيهات» وكتاب « ثمار الأنس فى تشبيهات الفرس». وكتاب «الجامع الكبير فى التعبير» وهو القادري. وكتاب «الأدعية» ، وكتاب «الجواهر»[٢] .



أبى لى أن أبالى بالليالي ... وأخشى صرفها فى من يبالى

حلولي فى ذرى ملك كطود ... رفيع مشرق الأعلام عالي

إلى شمس الشتاء إلى ظلال ... المصيف إلى الغمام إلى الهلال

إذا ماجاءه المذعور يوماً ... وحلَّ ببابه عند الرحال

تبوأ من ذراه خيرَ دار ... فلم يخطرْ لمكروهٍ ببال



(١) الزركشى : ٣٣٧ و اليتيمة ٤: ٣٨٩ ؛ ولم ترد الترجمة فى المطبوعة .

(٢) السابق .

خاتمة

الحمد لله تعالى على كرمه وفضله والصلاة والسلام على من لا نبى بعده صلاة تليق بجلال وكمال الله وقدسه ، على أننا انتهينا من الجزء الأول من موسوعة العلماء الشعراء . بعد أن تجولنا فى بساتين مزهرة بين علمائنا الأفاضل ، وإن كنا قد اختصرنا في عرضنا وسردنا لأحداث وسيرة كل عالم لأن الكتاب الذى بين أيدينا ليس قصص حياة للعلماء وإنما قصدنا أن نلقى الضوء على أن علماء العرب كانوا موسوعيين لا تقتصر معارفهم على علمهم بالكيمياء فحسب بل نجد الغالبية العظمى ممن برع منهم فى الكيمياء برع فى الطب والأدب وبعض مناحى الحياة الأخرى ؛ وليس المذكور فى هذا الكتاب هو كل علماء العرب والمسلمين ،وإنما هناك العديد من علماء العرب أمثال : سالم بن فروح ، أبو عيسى الأعور ، الحسن بن قدامة ، أبو قران ، البونى ، السائح العلوى ، ابن وحشية ، يحيى بن خالد بن برمك ، مسلمة المجريطى ، أبو القاسم الزهراوى ، ..وغيرهم كثير . ولقد عولنا على المشهورين منهم فى علم الكيمياء والشعر محل البحث والدراسة ونرجو أن نكون قد ألقينا الضوء على علماء العرب والمسلمين ، رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته وجعل جُلّ أعمالهم فى ميزان حسناتهم يوم القيامة .

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب أبناء الأمة العربية والإسلامية فى كل بقاع الأرض وأن نتحرر من التبعية العلمية للغرب الذي هو أمل هذه الأمة.

البريد الالكتروني:historian_samir@yahoo.com

تم الانتهاء من كتابته

٢٠٠٨/٩/١م الموافق غرة رمضان ١٤٢٩هـ .

قصيدة في الصلاة على رسول ﷺ

اقرءوها لتنعموا بفضلها :

يارِبِّ صَلِّ عَلى المُختارِ من مُّضَرِ والأنْبيا وجميع الرُّسْلِ ما ذُكِرُواْ

وصَلِّ ربِّ عَلَى الهادي وشيعته وصَحْبِهِ مَنْ لِطيِّ الدِّينِ قد نشروا

وجاهدوا معه في الله واجتهدوا وهاجروا وله آوَوْاْ وقد نصروا

وبيّنوا الفرض والمسنونَ واعتصبوا لله واعتصموا بالله فانتصروا

أذكى صلاةٍ وأنماها وأشرفِها يُعطِّرُ الكونَ من نشرُها العطِرُ

معبوقةٍ بعبيقِ المسكِ ذاكيةٍ من طيبها أرجُ الرضوانِ ينتشِرُ

عدَّ الحصى والثّرى والرملِ يتبعُها نَجمُ السما ونبات الأرضِ والمَدَرُ

وعدَّ وزنِ مثاقيلِ الجبالِ كما يليهِ قطرُ جميعِ الماءِ والمطرُ

وعدَّ ما حَوتِ الأشجارُ من ورقٍ وكلُّ حرفٍ غدا يُتلى ويُستَطِرُ

والوحشُ والطيرُ والأسماكُ مع نعمٍ يليهمُ الجنُّ والأملاكُ والبشَرُ

والذرُّ والنملُ مع جمعِ الحُبوبِ كذا والشعرُ والصُّوفُ والأرياشُ والوَبَرُ

وما أحاط به العلمُ المحيطَ وما جرى به القلمُ المأمورُ والقدرُ

وعدَّ نَعْمائِك اللاتي مننْتَ بها على الخلائق مُذْ كانواْ ومُذْ حُشِرُواْ

وعدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِي الذي شَرُفَتْ بهِ النّبيون والملاكُ وافتخرواْ

وعدّ ما كان في الأكوان ياسندي وما يكونُ إلى أن تُبعثَ الصُّورُ

في كلِّ طرفةِ عينٍ يطرفون بها أهلُ السموات والأرضينَ أوْ يذَروا

ملءَ السّموات والأرضينَ مَع جَبلٍ والفرشِ والعرشِ والكّرْسي وما حصروا

ما أعدم اللهُ موجوداً وأوجد معدوما   صلاةً دواماً ليس تنحصِرُ

تستغرقُ العدَّ مع جمع الدُّهورِ كما   تحيطَ بالحدِّ لا تُبقي ولا تذرُ

لا غايةَ وانتهاءً يا عظيمُ لها   ولا لها أمدٌ يُقضى فيُعتبرُ

وعدَّ أضعافِ ما قد مرَّ من عددٍ مع   ضعف أضعافه يا من لهُ الْقدرُ

كما تحبُّ وترضى سيدي وكما   أمرتنا أن نصلي أنت مقتدرُ

مع السلامِ كما قدْ مرَّ من عددٍ   ربِّي وضاعفهما والفضلُ منتشرُ

وكلُّ ذلك مضروبٌ بحقك في   أنفاس خلقك إن قلّواْ وإن كثرواْ

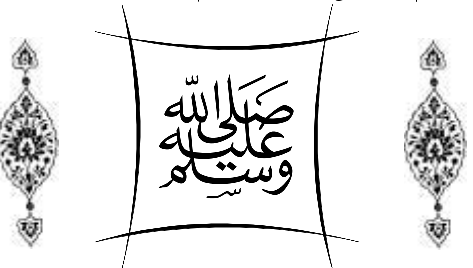
ياربِ واغفر لقاريها وسامعها   والمسلمين جميعا أينما حضروا

ووالدينا وأهلينا وجيرتنا   والكل سيدي للعفو مفتقرُ

وقد أتيت ذنوبا لا عِداد لها   لكنّ عفوك لا يُبقى ولا يذرُ

أرجوك يارب في الدارين ترحمنا   بجاه من في يديه سبح الحجر

اللهم صلي على محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .



صدر للمؤلف

(١) المناظرات بين معلمي الرياضيات.... (القاهرة ـ مكتبة ابن سينا).
(٢) المنافسات بين معلمي الرياضيات(ج٢)...(القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد)
(٣) خمسون خطأ فني لمعلمي الرياضيات أثناء التدريس(القاهرة..مكتبة ابن سينا).
(٤) الطرائف والألغاز في الجبر والحساب (مكتبة جزيرة الورد ـ القاهرة).
(٥) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للمرحلة الإعدادية.(مكتبة جزيرة الورد) .
(٦) غرائب وحكايات علماء الفيزياء والرياضيات(٥ أجزاء..جزيرة الورد)
(٧) رحلة الأرقام العربية من العصور الغابرة إلى العصور المعاصرة (٣) أجزاء صدر منها جزءان .... القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد جزيرة الورد).
(٨) السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين(مكتبة الإيمان ـ المنصورة).
(٩) أغرب القضايا في تاريخ علم وعلماء الرياضيات أمام محاكم التاريخ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ تحت الطبع) .
(١٠) علماء الكيمياء الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١١) علماء الرياضيات الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١٢) علماء الفلك والفيزياء الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١٣) علماء الصيدلة والنبات الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١٤)علماء الطب والحيوان الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١٥) النسبة الإلهية في المخلوقات الكونية (٢مجلد) . (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١٦) الإبداع الفني والبيان في قصص القرآن الكريم. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .
(١٧) هبات الرحمن في السنة والقرآن (مجلد). (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد)
(١٨) الضحك حتى البكاء على قبور المشاهير والعلماء.
(١٩) طبيبات وممرضات حول الرسول .

فهرس الموضوعات